

www.kotobarabia.com
د. محمد حسن غانم
علم النفس الفارقي
www.kotobarabia.com

علم النفس الفارقي

دكتور محمد حسن غانم

الفهرس

مقدمة



﴿وجعلْنَاكُم شعُوبا وقَبائِلَ لِتَعارفُوا إِن أَكْـرمكُم عِنْـد ا ـِ أَتْقَاكُم﴾

صدق ا   العظيم

شاءت حكمة ا   عز وجل أن يجعل البشر مختلفين فـي الصفات والطبائع والألوان وحتى اللغة. وهذا الاخـتلاف إن دل على شيء فإنما يدل من جهة على قدرة ا ، ومن جهـة أخرى يشير إلى أن هذا التنوع هام ومفيد؛ لأننا لو تصـورنا أن الجميع قد رزق الذكاء الخارق، وأن الجميع قـد حصـل على أعلى الشهادات والمناصب، فمن إذن سيقوم بالأعمـال المهنية التي تتطلب ذكاء أقل.. وقس على هذا المثال العديـد من الأمثلة الخاصة بالثراء، وتولي المناصب، وغيرها.

وينهض علم النفس الفارقي على دراسـة الفـروق بـين الأفراد من جهة، وداخل الفرد الواحد من جهة أخرى، وهي دراسة ضرورية حتمتها طبيعة العلم لسبر أغـوار الإنسـان والاقتراب منه؛ إذ ما زالت صرخة سقراط "أيهـا الإنسـان اعرف نفسك" صادقة تماما، ففي الوقت الـذي غـزا فيـه الإنسان الفضاء، وتجرى تجارب محمومة لمعرفـة أسـرار

الكون وفهمه، ثم التحكم فيه والتنبؤ بمساره.. ما زال هذا الإنسان عاجزا عن سبر أغواره، والاقتراب من نفسه، وفهم العديد من الظواهر التي تحدث دون أن يعي لها سببا محددا.

ولعل هذا المدخل هام لفهم طبيعة مادة "علم النفس الفارقي"؛ حيث سنتعرض لبدايات علم النفس الفارقي من حيث الملاحظات والتجارب، والتي أدت في نهاية الأمر إلى بلورة هذا العلم، مع إشارة إلى تعريف هذا العلم، وخصائص الفروق الفردية، ثم نتعرض في الفصل الثاني إلى أهم قضية في الفروق الفردية، وخاصة الوراثة والبيئة، وفي الفصل الثالث نتعرض لمناهج وطرق جمع البيانات في الفروق الفردية؛ ففي الفصل الرابع نتعرض للجوانب التي يهتم بها "علم النفس الفارق"؛ مثل الذكاء، والميول والقدرات، محاولين قدر الإمكان تقديم عرض مختصر لبعض الاختيارات التي تعكس هذا الجانب أو ذاك. وأخيرا نتعرض لقضية هامة؛ ألا وهي قضية المتخلفين عقليا، وكذا المتفوقين عقليا. ونأمل بذلك أن نسد عجزا ملحوظًا في هذا التخصص الهام من فروع علم النفس، وحاولنا في الجزء الثاني أن نقدم بعض الإسهامات الميدانية في مجال الفروق الفردية، مركزين قدر

الإمكان على نتائج البحوث المصرية، ونحن غير متعصبين لذلك، وإن كانت الخصوصية الحضارية والفكرية تحتم علينا ذلك، آملين أن نفتح باب المناقشة، وآملين في نفس الوقت أن نقوم بإجراء العديد من التعديلات التي تقتضيها العديد من المتغيرات.

وا   من وراء القصد

د. محمد حسن غانم

الجزء الأول

مدخل نظري

الفصل الأول

محاولة تأريخية لميلاد علم الفروق الفردية

مقدمة

من المؤكد أنه مع تقدم العلم تزايدت النظرة إلى الفروق الفردية، وإلى الاهتمام بها، ودراستها وتوظيفها التوظيف الأمثل. وهذا في حد ذاته مفيد للفرد وللمجتمع، وآية ذلك أن الفرد الذي يتم توجيهه إلى العمل أو الدراسة - أو حتى الزواج - الذي يتفق مع ميوله وإمكانياته وقدراته؛ سيكون أكثر إبداعا وتفوقًا وانسجاما، وهذا بلا شك يعود بالنفع على الفرد أولاً، ثم على الآخرين ثانيا.

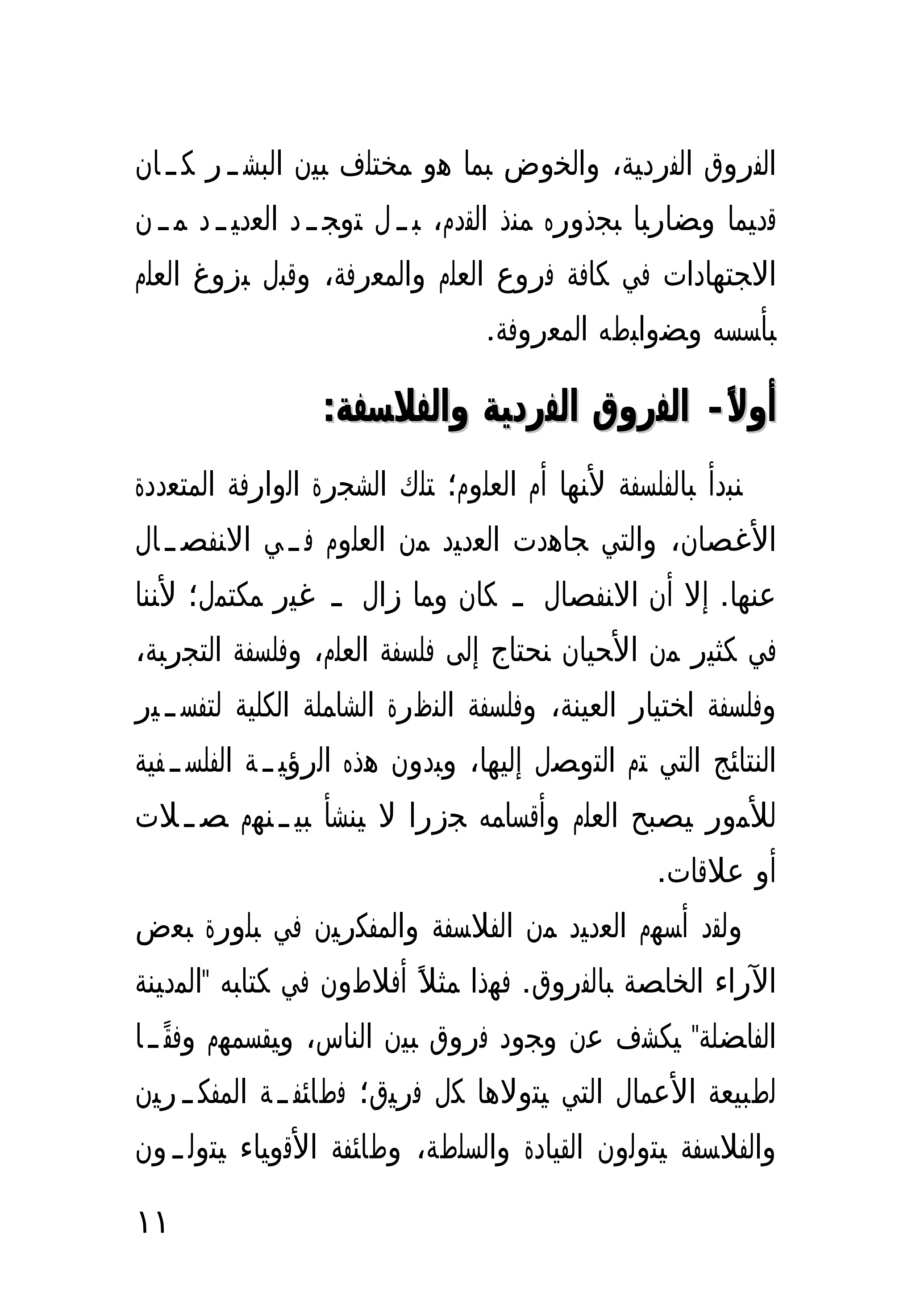
ولعل من أهم التعريفات التي قدمت لمفهوم علم النفس Psyhology أنه: "العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، ويحاول تفسيره". وقد اختلف العلماء في تحديد معنى السلوك Behaviour؛ فهل السلوك يمكن أن يقتصر فقط على كل ما يصدر عن الإنسان من نشاط خارجي (كالمشي والضحك)؟ ومنهم من يجعل هذا النشاط يشمل المظاهر الداخلية كالتفكير والتذكر. لكن نظن أن كل ما يصدر عن الإنسان يحاول علم النفس أن يخضعه للدراسة، فالفرد لا يوجد في معزل عن العالم الخارجي؛ بل يتعرض للعديد من المنبهات Stimulus، ويحاول الاستجابة Response

لها، وقد تتنوع الاستجابة من فرد إلى آخر، بل إن اســتجابة الفرد نفسه قد تختلف من موقف إلى آخر وفقًا للعديــد مــن المحكات، سواء الداخلية أو الخارجية المتعلقة بالبيئة، لكــن علم النفس (بصفة عامة) يحاول دراســة ســلوك الإنســان للوصول إلى كل ما هو عام ومشترك بين البشــر، محــاولاً الكشف عن المبادئ والقوانين التي تفسر سلوك الناس بوجــه عام؛ سلوك الإنسان لا الحيوان، الراشد لا الطفــل، الســوي لا الشاذ؛ وهذه مهمة تختلف عن مهمة علم النفس الفارق.

ولذا فالإنسان إنسان بما يشترك فيه مع غيره من صفات، ومن العيش في حضارة واحدة، والتعرض لأنواع متقاربــة من الخبرات العامة، ويشترك مثلهم في المجتمــع الإنســاني الأكبر؛ فهو بذلك يشبه غيره من بني الإنسان، والإنسان فرد بما ينفرد به عن غيره من تكوين نفسي معين، وهــو بــذلك يختلف عن غيره من بني البشر.

نشأة علم النفس الفارقي:

يتفق معظم العاملين في مجال علم النفس أن بداية العلــم كانت على يد العالم فونت Vundit، والذي أنشأ أول معمــل لعلم النفس في جامعة ليبزج عام ١٨٧٩، لكــن الواقــع أن



الفروق الفردية، والخوض بما هو مختلف بين البشـر كـان قديما وضاربا بجذوره منذ القدم، بـل توجـد العديـد مـن الاجتهادات في كافة فروع العلم والمعرفة، وقبل بزوغ العلم بأسسه وضوابطه المعروفة.

أولاً- الفروق الفردية والفلاسفة:

نبدأ بالفلسفة لأنها أم العلوم؛ تلك الشجرة الوارفة المتعددة الأغصان، والتي جاهدت العديد من العلوم فـي الانفصـال عنها. إلا أن الانفصال - كان وما زال - غير مكتمل؛ لأننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى فلسفة العلم، وفلسفة التجربة، وفلسفة اختيار العينة، وفلسفة النظرة الشاملة الكلية لتفسـير النتائج التي تم التوصل إليها، وبدون هذه الرؤيـة الفلسـفية للأمور يصبح العلم وأقسامه جزرا لا ينشأ بيـنهم صـلات أو علاقات.

ولقد أسهم العديد من الفلاسفة والمفكرين في بلورة بعض الآراء الخاصة بالفروق. فهذا مثلاً أفلاطون في كتابه "المدينة الفاضلة" يكشف عن وجود فروق بين الناس، ويقسمهم وفقًـا لطبيعة الأعمال التي يتولاها كل فريق؛ فطائفـة المفكـرين والفلاسفة يتولون القيادة والسلطة، وطائفة الأقوياء يتولـون

مهمة الدفاع عن الوطن وترابه، وطائفة الحرفيين ينهضون بكافة الأعمال التي تيسر الحياة داخل المدينة، بل ويذهب إلى القول بأنه يجب على الذين يتولون بناء المجتمع المنشود أن يميزوا الأحداث الصغار ذوي الاستعداد الحربي فيجعلون منهم مجموعة مستقلة ليتعهدوهم بالتربية والرياضة البدنية، ومن خلال التدريب يكونون أقوياء. ويرى ضرورة أن تكون التربية بالنسبة لهؤلاء الصغار واحدة إلى سن الثامنة عشر، ثم بعد ذلك تتبلور الفروق بين الأفراد، وبناء على النبوغ في سمة ما يتم ضمه إما إلى مجموعة الأقوياء أو المفكرين، أو الحرفيين؛ وفقًا لقدرات وإمكانيات الفرد؛ ولذا فإن نظرته للفروق الفردية تتلخص في: "كلكم إخوان في الوطنية، ولكن ا هو الذي جبلكم ووضع في طينة بعضكم ذهبا ليمكنهم من أن يكونوا حكاما؛ فهؤلاء هم الأكثر احتراما، ووضع في جبلة المساعدين فضة، وفي الزراع والعمال وضع نحاسا وحديدا. ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض؛ فالأولاد يمثلون والديهم؛ إلا أنه قد يلد الذهب فضة والفضة ذهبا". ولعل النظرة الفاحصة للفروق الفردية من وجهة نظر أفلاطون تتمثل في بقايا أقوال الناس في وصف الآخرين

كالآتي: إن الناس معادن، أفضل أنواع المعادن الذهب، ليس كل ما يلمع ذهبا، وغيرها من الأقوال التي تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة الفروق الفردية.

ثم نجد أرسطو يناقش هذا الأمر، ويذكر أن الفروق بين الجماعات والأجناس ليست واحدة في كافة الخصائص والسمات؛ بل إن هذه السمات قد توجد في حالة زيادة أو نقصان أو توسط، بل ونسب الفروق بصورة جزئية إلى الفطرة (الوراثة)؛ حيث تميل الطبيعة إلى إيجاد تمايز بين الناس؛ بأن تجعل بعضهم قليلي الذكاء أقوياء البنية، وبعضهم أكفاء للحياة السياسية، وعلى ذلك فمن الناس من هم أحرار ومن هم عبيد. بل يتمادى أرسطو إلى مناقشة الفروق بين الجماعات فيقول إن شعوب الشمال الجليدي وأوروبا شجعان؛ ولذلك لا يكدر أحد عليهم صفو حريتهم، لكن ينقصهم الذكاء والمهارة، أما الشرقيون فيتميزون بالذكاء والمهارة، ولكنهم خلو من الشجاعة، وكذا فهم مغلوبون إلى الأبد.

وأما فلاسفة_المسلمين؛ فنجد أنهم قد فطنوا إلى معنى الفروق الفردية، وهذا الأصمعي يقول: "لن يزال الناس بخير ما تباينوا"؛ أي اختلفوا وتعددت آرائهم ومذاهبهم، وسماتهم

وخصائصهم. فإذا تساووا هلكوا. وهذا القول هو عين الحقيقة؛ لأن تساوي الجميع في القدرات يجعلهم مهيئين فقط لعمل واحد؛ بل لا بد من التعدد والاختلاف، وما يصلح فيه شخص قد لا يصلح فيه آخر. ومن أقوال العرب أيضا: خير الناس هذا النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم العالي. وهم بذلك يقسمون الناس في أي صفة من الصفات أو سمة من السمات إلى ثلاث فئات: الأعلى، والأوسط، والأدنى؛ وهو تقسيم يدخل في صميم علم النفس الفارق. ويقول مسلم ابن قتيبة: إن ا خلق آدم من قبضة جميع الأرض، وفي الأرض السهل والحزن (أي المرتفع من الأرض)، والأحمر والأسود، والخبيث والطيب؛ فجرت طبائع الأرض في ولده، فكان ذلك سببا لاختلافهم؛ فمنهم الشجاع، والجبان، والبخيل، والجواد، والحليم، والعجول، والشكور، والكفور، وسببا لاختلاف ألوانهم وهيئاتهم؛ فمنهم الأسود والأبيض، والخفيف على القلوب والثقيل، والمحبب إلى الناس من غير إحسان، والمبغض إليهم من غير ذنوب، وسببا لاختلاف الشهوات والإرادات؛ فمنهم من يميل به الطبع إلى العلم، ومن يميل به الطبع إلى المال، ومن يميل به

الطبع إلى اللهو، ومن يميل به الطبع إلى الفروسية، ثم يختلفون أيضا في ذلك. وواضح أن هذه العبارة التي اقتبسناها تفيد الآتي:

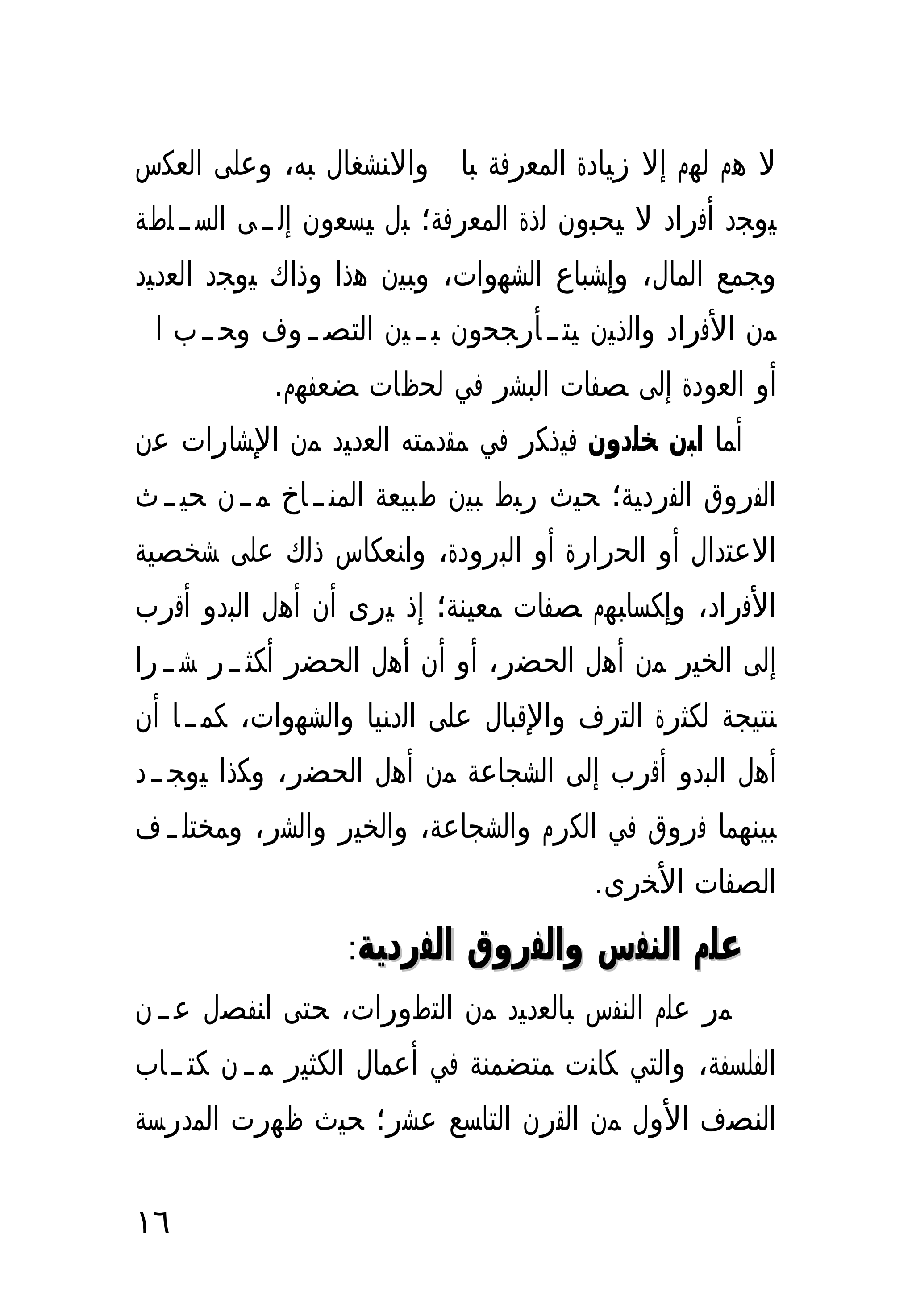
١- أن ا حين خلق آدم قد قبض قبضة من جميع الأرض.

٢- أدى ذلك إلى تنوع النسل واختلاف الوراثة.

٣- إن الفروق الفردية بين جميع البشر تتعدد وتتنوع في جميع الخصائص والصفات.

٤- إن هذه الفروق تظهر أكثر ما تظهر في سرعة فهم البعض (لما نسميه مجازا ما بين السطور)، وبطء الفهم عند البعض الآخر (مما نطلق عليه عبارتنا الشهيرة: في الإعادة الإفادة).

ومن أشهر من تحدث عن الفروق الفردية أيضا "الفارابي" الملقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو؛ حيث قام يشرح كيفية تطور الكائنات وتدربها، إضافة إلى ذلك رأيه في الاختلاف بين البشر، وخاصة فيما يتعلق بعامل اللغة والقدرة اللفظية كذلك آراء أبو حامد محمد الغزالي، وتقسيمه للنفس الإنسانية، ووجود فروق فردية بين الأفراد؛ حيث يوجد أفراد

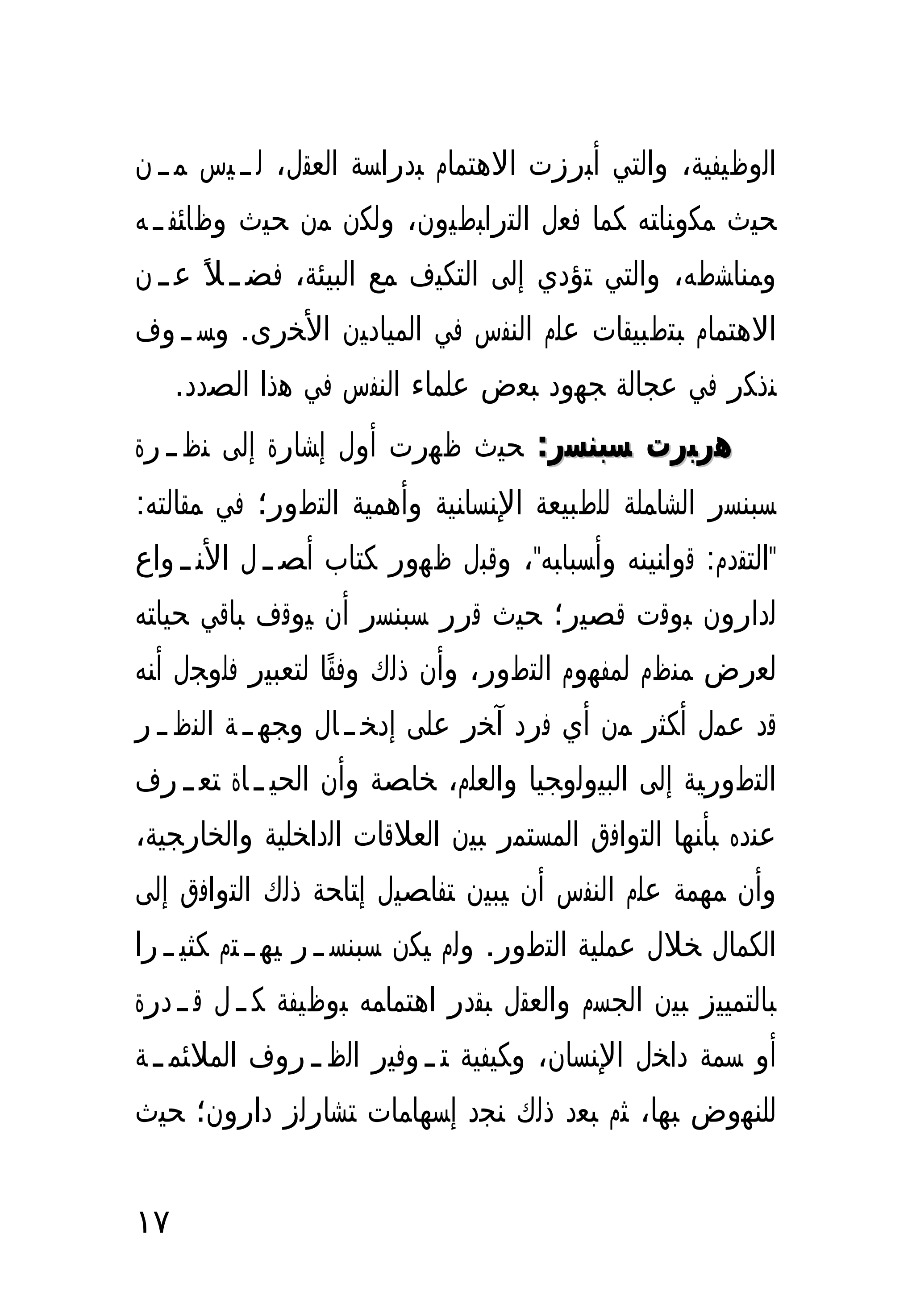


لا هم لهم إلا زيادة المعرفة با والانشغال به، وعلى العكس يوجد أفراد لا يحبون لذة المعرفة؛ بل يسعون إلى السلطة وجمع المال، وإشباع الشهوات، وبين هذا وذاك يوجد العديد من الأفراد والذين يتأرجحون بين التصوف وحب ا أو العودة إلى صفات البشر في لحظات ضعفهم.

أما **ابن خلدون** فيذكر في مقدمته العديد من الإشارات عن الفروق الفردية؛ حيث ربط بين طبيعة المناخ من حيث الاعتدال أو الحرارة أو البرودة، وانعكاس ذلك على شخصية الأفراد، وإكسابهم صفات معينة؛ إذ يرى أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، أو أن أهل الحضر أكثر شرا نتيجة لكثرة الترف والإقبال على الدنيا والشهوات، كما أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، وكذا يوجد بينهما فروق في الكرم والشجاعة، والخير والشر، ومختلف الصفات الأخرى.

علم النفس والفروق الفردية:

مر علم النفس بالعديد من التطورات، حتى انفصل عن الفلسفة، والتي كانت متضمنة في أعمال الكثير من كتاب النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ حيث ظهرت المدرسة



الوظيفية، والتي أبرزت الاهتمام بدراسة العقل، ليس من حيث مكوناته كما فعل الترابطيون، ولكن من حيث وظائفه ومناشطه، والتي تؤدي إلى التكيف مع البيئة، فضلاً عن الاهتمام بتطبيقات علم النفس في الميادين الأخرى. وسوف نذكر في عجالة جهود بعض علماء النفس في هذا الصدد.

هربرت سبنسر: حيث ظهرت أول إشارة إلى نظرة سبنسر الشاملة للطبيعة الإنسانية وأهمية التطور؛ في مقالته: "التقدم: قوانينه وأسبابه"، وقبل ظهور كتاب أصل الأنواع لدارون بوقت قصير؛ حيث قرر سبنسر أن يوقف باقي حياته لعرض منظم لمفهوم التطور، وأن ذلك وفقًا لتعبير فلوجل أنه قد عمل أكثر من أي فرد آخر على إدخال وجهة النظر التطورية إلى البيولوجيا والعلم، خاصة وأن الحياة تعرف عنده بأنها التوافق المستمر بين العلاقات الداخلية والخارجية، وأن مهمة علم النفس أن يبين تفاصيل إتاحة ذلك التوافق إلى الكمال خلال عملية التطور. ولم يكن سبنسر يهتم كثيرا بالتمييز بين الجسم والعقل بقدر اهتمامه بوظيفة كل قدرة أو سمة داخل الإنسان، وكيفية توفير الظروف الملائمة للنهوض بها، ثم بعد ذلك نجد إسهامات تشارلز دارون؛ حيث

قامت نظريته على أساسين؛ أولهما الصراع من أجل البقاء، وثانيهما الانتخاب الطبيعي، وأن الأفراد الذين يمتلكون سـمة معينة تساعدهم في الصراع القائم سيزيد بلا شك ذلـك مـن فرص بقائهم مقارنة مع الآخرين اللذين يمتلكون مـن هـذه القدرة مقدارا أقل، إضافة إلى أن هؤلاء الأشخاص سيفيدون أولادهم - وفقًا لقوانين الوراثة - لأن هـذه السـمة التـي تميزهم سوف يورثونها إلى أبنائهم؛ ولذلك نستطيع القول إن هذه النظرية قد أثرت في العديد من علماء النفس بعد ذلـك؛ وذلك مما سيتضح في ثنايا الحديث.

الفروق الفردية وبداية نشأة العلم:

من الطريف أن أول من اكتشف الفروق الفردية هو عالم فلكي؛ إذ حدث في ١٧٩٦ أن طرد أحد الفلكيين مساعده في المرصد لأنه أخطأ في رصد الزمن الذي يقضـيه كوكـب معين في مروره على لوحة التليسكوب أمام هذا المسـاعد. وكان مقدار هذا الخطأ هو ثانية واحدة. وربما لم تكن لهـذا الحادث في ذاته أهمية لولا أن جاء العالم بسل Bessel سنة ١٨١٦ واهتم بجميع البيانات عن الأخطـاء فـي تقـديرات الفلكيين المختلفين. وخلص من دراسته لهذه الفـروق إلـى

ما عرف بالمعادلة الشخصية Personal equation والتـي تعني أن الأفراد يختلفون من حيث سرعة "زمن الرجع"؛ أي أن الزمن الذي يمر بين حدوث المثير وحـدوث الاسـتجابة يختلف طوله من فرد إلى آخر. وجاء بعد ذلـك فونـدنت، والذي أنشأ أول معمل في علم النفس بجامعة ليبزج بألمانيـا عام ١٨٧٩، الذي أخضع الظواهر النفسية للدراسة الكميـة، كما انعكس تأثيره على من تعلموا على يديه علـم وظـائف الأعضاء؛ فاهتموا بالحساسـية للمثيـرات الحسـية؛ مثـل المثيرات البصرية، والسـمعية، وبدراسـة زمـن الرجـع Reaction time، وكان لهذا الاتجاه صداه في الاختبـارات النفسية الأولى التي ركزت على الظواهر الحسية.

وجاء بعد فوندنت تلميذه الشهير السير فرانسيس جـالتون Grancis Galton، والذي اهتم بدراسة الملكـات العقليـة، محاولاً بذلك إثبات أثر العوامل الوراثية في تحديد الـذكاء. وقد أدى به هذا الهدف لأن يرتحل في أرجاء المسـتعمرات الإنجليزية في آسيا وإفريقيا وغيرها، وأن يصل إلى صياغة مقولة نظرية مؤداها: إن هناك حقيقة قاطعة بوجود الفـروق بين البشر؛ لا في اللغة والشكل والملامح واللون فحسب؛ بل

في التعامل والفهم والتفكير وحل المشكلات، وما إلى ذلك من فروق. وقد تأكد أن هذه الفروق موجـودة بـين الشـعوب المختلفة التي عايشها ولاحظها ملاحظة دقيقة، وليس هذا بين الشعوب فحسب، وإنما داخل الشعب الواحـد. وعلـى هـذا الأساس حاول وضع مقياس من أربع عشرة رتبـة؛ رتـب الأفراد على أساسها ترتيبا هيراركيا؛ حيث وضع في القمـة العباقرة ورجال العلم، والأدباء والمفكرين، ووضع في قاعدة هذا التنظيم الهرمي المعتوهين من ضعاف العقـول. وبهـذا التصور نجح جالتون في وضع أول تصور نظري اعتـدالي عن القدرات في العالم، وليس هذا فحسب؛ بل حاول جالتون أن يختبر هذا التصور.

ولعل من بين الاختيارات التي طورهـا جـالتون ذلـك الاختبار الذي عرف باسـم "ذراع جـالتون" Galton bar؛ والذي يقيس التمييز البصري في الطول، وكذا اختبار صفارة جالتون؛ والذي يهتم بتحديد وقياس حـدة السـمع، واختبـار تمييز الأوزان. ومن خلال تطبيق الاختيارات لاحظ جالتون أن المعتوهين ليست لديهم القدرة على التمييز الحسي لدرجة الحرارة والبرودة والألم، في حين أن هذه القدرة عالية لـدى

الأذكياء. ومن هذا جاء اعتقاده بإمكانية قياس القدرات الذهنية باستخدام الاختبارات الحسية الحركية.

ولا يقتصر إسهام جالتون على ما سبق ذكره فحسب؛ بل ساهم في بلورة العديد من أساليب البحث؛ مثل الاستبيانات، وطريقة التداعي الحر Free association، وكذا تنمية الأساليب الإحصائية المستخدمة في قياس الفروق الفردية.

أما جيمس ماكين كاتل .Cattell, J. M؛ فقد أعجب بآراء جالتون، ونشأ بينهما نوع من التعاون، وقد ساهم مجهوده في تطوير حركة القياس النفسي التجريبي، كما أن دراسته لأطروحة الدكتوراة التي أعدها في جامعة ليبزج كانت في موضوع الفروق الفردية، وتحديدا في زمن الرجع Reaction time، كما استخدم اصطلاح "الاختبار العقلي" Mental test عام ١٨٩٠ لأول مرة؛ إذ تعرض لبطارية اختبارات لقياس الكثير من السمات الحسية؛ الحركية والنفسية، وأشار إلى أن الوظائف العقلية يمكن أن تقاس عن طريق اختبارات التميز الحسي وزمن الرجع، ويرجع تفضيله لمثل هذه الاختبارات إلى إيمانه بأن الوظائف البسيطة يمكن

أن تقاس بتحديد ودقة؛ مثل اعتقاد جالتون تمامـا بأفضـلية قياس القدرات العقلية باستخدام الاختبارات الحسية والحركية.

وتعلق على ذلك أن أنستازي: "إن اتفاقهما لا يعني دوما صدق أو عمق رؤيتهما بشأن قياس الذكاء عن طريق تلـك البطارية من الاختبـارات التـي تتضـمن مجموعـة مـن الاختبارات الحسية الحركية، ومن ثم لا يكون التميـز بـين الأفراد على أساسها مؤثر على ذكائهم، لكن مع ذلك يمكـن القول إن ادعاء كاتل إمكانية قياس الذكاء في تلك المجموعة من الاختبارات (الحسية الحركية) كان ادعاء علميا آنـذاك، تدعمه حقيقة هامة هي: إن الوظائف العقلية العليا بنفس القدر من الدقة والموضوعية. وعلى هذا فإن كاتل قد وعـى هـذه الحقيقة، وقام بقياس الوظيفة العقلية الكليـة (الـذكاء) بهـذا الأسلوب الذي اتبعه فرنسيس جـالتون. ولقـد كـان مـن المفترض في تلك الحقبة الباكرة من البحث والتنقيـب فـي إمكانية قياس الذكاء أن يتوصـل جـالتون أو كاتـل إلـى اختبارات ومقاييس موضوعية مقننة لقياس القدرات العقليـة في جوانبها المختلفة، والتي تستخدم أمثلة ونماذج منها الآن، لكن ذلك المطلب كانت دونه عقبات؛ تمثلت في عدم وجـود

تعريف إجرائي دقيق متفق عليه لمفهومي الذكاء والقـدرات. لكن على أي حال تعد بطارية "جالتون/ كاتل" بطارية صالحة للاستخدام في مجالات كثيرة في أواخر القرن الماضي وحتى أوائل القرن الحالي. وبذلك كانت البدايـة الحقيقيـة لقناعـة علماء النفس والمشتغلين به آنذاك بأهمية وجـدوى القيـاس السيكولوجي للوقوف بصورة قاطعة على الفروق الفردية".

وجاء بعد ذلك جاسترو Jastro، والذي دعي فـي عـام ١٨٩٣ إلى القيام باختبارات للعمليـات الحركيـة والحسـبة والإدراكية البسيطة، وإلى الاهتمام بالمعـايير Norms، ثـم جاء أسكيرول Esquirol (وهو طبيب فرنسي)، وقـام فـي عام ١٨٣٨ بتقسيم الضعف العقلي إلى مستويات ثلاثة، تبـدأ بالعته، وأشار إلى أن المقاييس الجسمية (الحسية – الحركية) ليست حاسمة في تحديد الضعف العقلـي، واهـتم بأهميـة التركيز على عامل اللغة.

ثم جاء سيجون Seguin، والذي نـادى ببقـاء الفكـرة السائدة؛ ألا وهي استحالة الشفاء من النقص العقلي؛ ولذا يعد رائد تدريب ضعاف العقول؛ إذ أنشأ مدرسة لضعاف العقول وتدريبهم، كما كان له الفضل في ابتكار العديد من الوسـائل

التي ما زالت مستخدمة في "تدريب الحس" و"تدريب الفصل"، كما ساهم في اختبارات ذكاء الأداء Performance، وصمم لوحة باسمه.

كما جاء كريبلين Kraepelin والذي كانت اهتماماته الأولى تنصب على مجال البحث الإكلينيكي للحالات المرضية؛ إذ أعد سلسلة لقياس العوامل الأساسية في شخصية الأفراد، وبيان أثر التدريب، وكذا أثر التعب على الذاكرة.

ثم جاء أوهرن Oehrn (تلميذ كريبلين)، والذي استخدم اختبارات الإدراك والذاكرة والتداعي في بحث عن العلاقات المتبادلة بين الوظائف النفسية، وجاء هرمان إبنجهاوس H. Ebinghaus العالم الألماني، والذي طبق اختبارات لقياس الاستدلال الحسابي والذاكرة، وتكملة الجمل على أطفال المدارس، وكان اختبار تكملة الجمل هو الاختبار الوحيد الذي وجدت علاقته الواضحة بالتحصيل المدرسي للتلاميذ.

أما عالم النفس الإيطالي فواري Ferrari؛ فقد اهتم بتطبيق الاختبارات على المرضى العقليين، ومن هذه

الاختبارات ما يقيس النواحي الفسيولوجية الحركية والفهـم، وتفسير الصور.

وبعد عام ١٨٩٥ كانت نقطة البداية في قيـاس الفـروق الفردية؛ وذلك عندما قام العالم النفسي بيتيه وهنـري بنشـر مقالة لهما بعنوان "علم النفس الفردي"، حددا فيها هدف علـم النفس الفارق Diff erental Pzydnalagy في أنه يتمثـل في دراسة مدى وطبيعـة الفـروق الفرديـة، كمـا انتقـدا الاختبارات السائدة حينذاك، والتي كانت تركز على الجوانب الحركية والقدرات البسيطة. وقام بيتيه بقياس الوظائف الأكثر تعقيدا؛ حيث تكون الفروق الفردية أكبر في هذه الوظـائف؛ وهي: الذاكرة، والتخيل، والانتباه، والفهم، والتقـدير. ولقـد قضى بيتيه ومساعديه عدة سنوات عمل دائب نشط من أجل تنمية طرائق قياس الذكاء، وقد أثمرت هذه الجهود الدءوبـة مقياس بيتيه/ سـيمون عـام ١٩٠٥، والـذي تكـون مـن ٣٠ سؤالاً، ثم ترتيب الأسئلة تصاعديا وفقًا لصعوبة الأسئلة؛ حيث نبدأ بالأسئلة السهلة لقاعدة الاختبار، ثم نتـدرج حتـى نصل إلى أكثر الأسئلة صعوبة (سقف الاختبار)؛ علما بـأن هذا الاختبار تجري له العديد من المراجعات، وخاصة تلـك

المراجعات التي جرت في أمريكا على يد ترمـان Terman بجامعة ستانفورد، والتي استخدمت شبه الذكاء F. Q التـي يتم الحصول عليها بقسـمة العمـر العقلـي علـى العمـر الزمني × ١٠٠؛ لنحصل على النسبة المئوية للـذكاء، كمـا ظهرت مراجعة أخيرة لهذا المقيـاس أطلـق عليهـا اسـم كولمان/ بيتيه، وكذا مراجعة نيرمان ميريل، ثم بعـد ذلـك تواصلت الجهود؛ مثل مقياس كسلر بلفيو لـذكاء الراشـدين والمراهقين، وكذا فـي عـام ١٩١٧ ظهـرت الاختبـارات الجمعية Groub tests التي جاءت لتسد العجز الناشئ مـن وجود أعداد كبيرة من الأفراد، مع نقص الباحثين المدربين، إضافة إلى الرغبة في توفير الوقت والجهد.

ويحدد المؤرخون لمسيرة علم النفس والفروق الفرديـة عام ١٩١٧ الذي بدأ فيه بزوغ نجم الاختبـارات الجمعيـة؛ حيث تم تصنيف مليون ونصف على الأسلحة المختلفة فـي الجـيش الأمريكـي وفقًـا لمسـتويات الـذكاء والقـدرات والاستعدادات، وما زالت هذه الاختبارات الجمعية تسـتخدم في القوات المسلحة، وكذا المدارس، وغيرها من التجمعات، وما زالت جهود الباحثين تتوالى - من كافة دول العالم، ومن

كافة المنطلقات النظرية والفلسفية - لإثراء تيـار الفـروق الفردية، وتزويده بالعديد من الاختبارات والمقاييس، والتـي تحاول جاهدة سد أغوار النفس الإنسانية؛ للوقوف على ما هو متشابه بينه وبين آخر، وما هو فردي مميـز بـين الفـرد والآخرين؛ وهذا في حد ذاته صميم علم النفس الفارق.

وقبل أن نختتم هذه العجالة النظـرة التاريخيـة؛ يجـب التأكيد على الملامح الآتية:

١- إن الاهتمام بموضوع الفروق الفردية قد بدا بشـكل عملي في مجال الفلك، وليس في مجال علم الـنفس أو الفلسفة؛ إذ يسجل التاريخ أنه في عام ١٧٩٦ قـد طرد أحد الفلكيين مساعده في المرصد لأنه أخطـأ في رصد الزمن الذي يقضيه كوكـب معـين فـي مروره على لوحة التلسكوب أمام هـذا المسـاعد، وكان مقدار هذا الخطأ ثانية واحدة، وربما لم يكـن لهذا الحادث في حد ذاته أهمية، لولا أن جاء العـالم بسل Bessel عام ١٨١٦، واهتم بجمع البيانات عن الأخطاء في تقديرات الفلكيين المختلفين، وخاص من دراسته لهذه الفروق إلـى مـا يسـمى بالمعادلـة

الشخصية Personal equpation، وخلاصـتها أن الأفراد يختلفون من حيث سرعة زمن الرجـع؛ أي الزمن الذي يمر بين حدوث المثيـر والاسـتجابة، ويختلف طوله من فرد لآخر، بل في الفرد الواحـد من مرة إلى مرة أخرى. وقـد أدى هـذا الحـدث التاريخي إلى لفت أنظار البـاحثين وتحديـدا فـي النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ إلـى قيـاس الفروق الفردية، بعد أن كان الاعتقاد السائد آنـذاك هو كيفية التخلص من هذه الأخطاء، والعمل علـى التوصل إلى سلوكيات موحدة يمكن تعميمها علـى الجميع بلا استثناء.

٢- أدى الاهتمام بالفروق الفردية إلى نشأة العديد مـن الاختبارات، وظهور ما يسمى بتقنـين الإجـراءات Standard ddization، وكـذا الاهتمـام بـزمن الرجع Reaction time خاصة في البدايات الأولى لنشأة الاختبارات، والتي كانت تأخذ شـكلاً حسـيا، وكذا أهمية تحديد التعليمات، وضبط كافة المتغيرات وتقنينها.

٣- إن هذه التطـورات قـد أدت إلـى التمييـز بـين الاستعدادات والقدرات الموجودة لدى الفرد، وهـل هذه الفروق ترجع إلى استعدادات فطرية موروثة أم إلى الخبرة والمران، أو التمييز بـين الاختبـارات اللفظية والاختبارات الأدائية؛ بهدف الكشـف عـن الفروق المماثلة في هذين المستويين، أو التمييز بين الاختبارات الفردية (والتي تهدف إلى الوقوف علـى الفروق داخل الفرد) وبين الاختبـارات الجماعيـة (التي تهدف إلى الكشف عن الفروق بـين الأفـراد والجماعات) مقارنة درجات الاختبارات بالتقديرات التي يقدمها أشخاص آخرون (الصـدق)، محاولـة الكشف عن الفروق الفردية في العديد من المجالات والأنشطة الإنسانية.

٤- إن بلورة علم الإحصاء قد لعب دورا هاما في تقـدم هذا العلم الوليد خطوات وثابة؛ حيث ترجع أهميـة الإحصاء في مجال علم النفس إلى عدة اعتبـارات: تساعد الباحث على إعطاء أوصاف على جانب كبير من الدقة العلمية، وتساعد الإحصاء على تلخـيص

النتائج في شكل ملائم مفهوم، وتساعد الباحث علـى استخلاص النتائج العامة من النتائج الجزئية، وتمكن الباحث من التنبؤ بالنتائج التي يحتمـل أن يحصـل عليها في ظروف خاصة.

٥- وأخيرا فإن الاهتمام بهذا العلم رغم أهميته بالنسـبة للأفراد وللجماعات وللمجتمعـات؛ إلا أننـا نلحـظ خفوتًا في الاهتمام بـه فـي جامعاتنـا المصـرية والعربية، ومن يفحص لائحة تدريس أقسـام علـم النفس فلن يجد سوى مقرر يـدرس لمـدة فصـل دراسي واحد، رغم إيماننا أن فهم فلسفة هذا العلـم سيجعل الرؤية للأمور أكثر اتساعا وفهما لطبيعـة النفس الإنسانية وسبر أغوارها، وصولاً إلى ما هو حقيقي داخل النفس.

الفصل الثاني

علم النفس الفارق مدخل وتعريف

مقدمة

لكي تتضح الأمور لا بد من أن نعرض للمفاهيم الآتيـة:

علم النفس الفارق:

وهو فرع من فروع علم النفس، يهدف إلى التعرف على الفروق الفردية، وفي جميع المجالات؛ محققًا أهـداف العلـم الثلاثة؛ من فهم، وتحكم وتنبؤ. وغني عن البيان أنه كلما كان الفهم علميا وموضوعيا كاملاً؛ كانت خطوتي التحكم والتنبـؤ صحيحتين، والعكس بالعكس. كما تلزمنا معرفة الفروق بين الأفراد بعضهم وبعض؛ حتى نعامل كلاً منهم بالطريقة التي تناسبه؛ فأسلوبنا في التعامل مع المريض النفسـي يجـب أن يختلف عن تعاملنا مع إنسان سـوي، أو إنسـان مـن ذوي الاحتياجات الخاصة مثلاً؛ لأننا نعلم أن الأفراد تختلف فيمـا بينها في الخصائص والسمات؛ مما يجعل في نفس الوقت كل شخصية متفردة في حد ذاتها، وفي نفس الوقت أيضا توجـد خطوط عامة ومشتركة بين جميع أبناء الجنس البشري، كما أن دراسة الفروق الفردية والاستفادة التطبيقية منها، خاصـة إذا كانت هذه الدراسات دراسات علمية هادفة؛ تـؤدي إلـى تنظيم العلاقات الاجتماعية المهنية والإدارية، وتـؤثر علـى

الأعضاء في كافة أدوارهم الحياتية، كما أنه لولا وجود الفروق الفردية كحقيقة واقعية ما كان هناك أصلاً حاجة إلى الاختبارات والمقاييس النفسية والعقلية والجسمية (فرج طه ١٩٩٢ عن ٥٨٧).

أولاً: تعريف علم النفس الفارق: التعريف الإجرائي:

ليس من السهولة بمكان تقديم تعريف محدد وواضح في العلوم الإنسانية؛ ولذا يلجأ الباحث إلى استخدام ما يسمى بالتعريفات الإجرائية؛ لكي يقدم مفهومه عن العلم أو المصطلح الذي يستخدمه. وعموما فإن علم النفس الفارق هو ذلك الفرع من فروع علم النفس، والذي يدرس ما بين الأفراد أو الجماعات أو السلالات من فروق، سواء في الذكاء أو الشخصية، أو الاستعدادات، كما يدرس أسباب هذه الفروق ونتائجها، مستندا إلى الحقائق التي يكشف عنها علم النفس العام.



وإذا كان علم النفس يدرس كل ما هو مشترك وعام بين البشر؛ فإن علم النفس الفارق يدرس ما ينشأ بينهم من اختلافات وفروق.

ونستنتج من التعريف الإجرائي السابق؛ وجود أربع طوائف ينشأ بينهم الاختلاف والفروق وهم:

١ - الفروق بين الأفراد Inter individual:

ويهدف إلى قياس ما يوجد بين الفرد وغيره من فروق؛ بهدف مقارنة الشخص بأشخاص آخرين يشتركون معه في عدة صفات مشتركة كالعمر، أو الفرقة الدراسية، أو في ناحية من النواحي النفسية أو التربوية أو المهنية؛ لتحديد مركزه النسبي بناء على معايير محددة.

٢ - الفروق في ذات الفرد (داخل الفرد) Inter Individual:

حيث نهدف من القياس إلى مقارنة الفرد بنفسه، من خلال ما يمتلكه من إمكانيات وقدرات مختلفة؛ حيث نقارن بين

ذكاء الفرد العام في مجال معين، وقدراته في مجـال آخـر؛ بهدف التعرف على الخريطة السيكولوجية للشـخص؛ مـن حيث نواحي القوة والضعف؛ للتعرف على أقصى إمكانياتـه في كل مجال، بغرض الوصول إلـى تخطـيط أفضـل لأي برنامج يريد الفرد الالتحاق به.

٣ ـ الفـــروق بـــين المهـــن

Inter occupational:

حيث إن دراسات تحليل العمل Jope Analysis توضح أن لكل مهنة شروطًا معينة، واستعدادات وقدرات لا بد مـن توافرها في الشخص الملحق بهذا العمل؛ ولذا فإن التعـرف على هذه السمات والقدرات هام جدا في إفادة الشخص فـي التوجيه إلى العمل الذي يتفق مـع إمكانياتـه؛ وبـذا نضـع الشخص المناسب في المكان المناسب.

٤ ـ الفـــروق بـــين الجماعـــات

Inter – group:

لقد أثبتت العديد من الدراسات عبر الحضارية Cros culture وجود فروق بين الجنسين، وبين شعب معين وشعب آخر، تحت فئة الطابع القومي، وقياس هذه الفروق يفيدنا في التعرف على سيكولوجية الجماعات، وخصائص النمو، والجوانب العقلية والانفعالية؛ بل والحسية والخلقية المعينة، وهذا يفيد في إمكانية التقارب بين الجماعات والشعوب.

أهداف الفروق الفردية:

تهدف الفروق الفردية Individual difference إلى البحث العلمي والكيفي للفروق بين الأفراد والجماعات، سواء كانت هذه الفروق في الخصائص الجسمية أو العقلية أو الانفعالية، وجوانب الشخصية المختلفة؛ بهدف التعرف على مدى هذه الفروق، والعوامل المتعددة التي تكمن خلفها، وكذا معرفة آثار عاملي التدريب والنمو فيها؛ بهدف تحقيق أهداف العلم من حيث:

أولاً: المسح Survey: الدراسة العلمية الشاملة لكل أعضاء مجتمع معين، كقرية أو مدينة.. بهدف إعطاء صورة شاملة ووافية عن الظاهرة التي ندرسها فيهم؛ كدراسة

مستوى ذكائهم، أو اتزانهم النفسي. كما يطلق المسح أحيانًـا على البحوث التي تستخدم عينة أو عينات من المجتمع بغض النظر عن شمولها لكل أعضاء المجتمع.

ثانيا- التنبؤ: ويشير إلى إمكانية التنبؤ بمسار السـلوك (سواء سلوك الفرد والجماعة) على أساس مـا تـوفر مـن معلومات عن هذا السلوك، وعلى أسـاس افتـراض ثبـات السلوك الإنساني في حدود معينة ومرونته في حدود معينة - كل ذلك يساهم ي تقدير المستوى المتوقع.

ثالثًا- التشخيص: تستخدم الاختبارات المختلفـة فـي تحديد نواحي القصور، وبيان جوانب الضعف والقـوة فـي قدرات الفرد، وعند إجراء الاختبارات على ضوء هذا الهدف نهتم بمعرفة الجوانب التي يعاني منها الفرد، أو يحتمـل أن تسبب اضطرابه مستقبلاً. وكلما كانـت أدوات التشـخيص علمية وسليمة كان التشخيص جيدا والعكس صحيح.

رابعا- العلاج: تعد هذه الخطوة تتويجا لكل الخطـوات السابقة إذ بعد التعرف على طريقة الفـرد مـن الإمكانيـات وجوانب القوة والضعف تبدأ خطـوة العـلاج مـن خـلال المؤهلين لذلك من خلال برامج متعددة مثل التعلـيم وإعـادة

التدريب أو حتى العلاج النفسي بهدف إعادة توافق الشخص (أو الجماعة) مع نفسه أولاً ثم مع البيئة الخارجية ثانيا.

خصائص الفروق الفردية:

تتميز الفروق الفردية بعدد من الخصائص هي:

أولاً- الفروق بين الأفراد فروق كمية وليست كيفية:

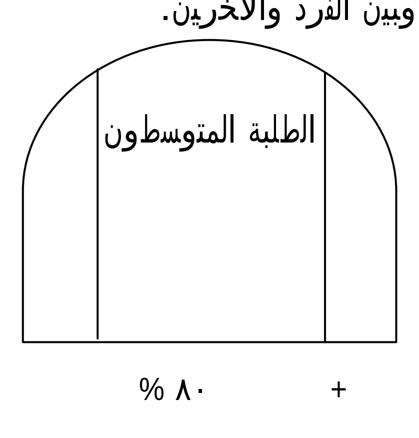
أي إننا كأفراد نمتلك كافة الخصائص والصفات والسمات، ولكن هذه الخصائص توجد بين الأفـراد بنسـب متفاوتـة. ونقصد بالكيف أن الصفة متواجدة لدى الأفراد، في حـين أن الكم (أي الدرجة ومقدارها) هو الذي يشير إلى وجود فروق بين الفرد ونفسه، وبين الفرد والآخرين.

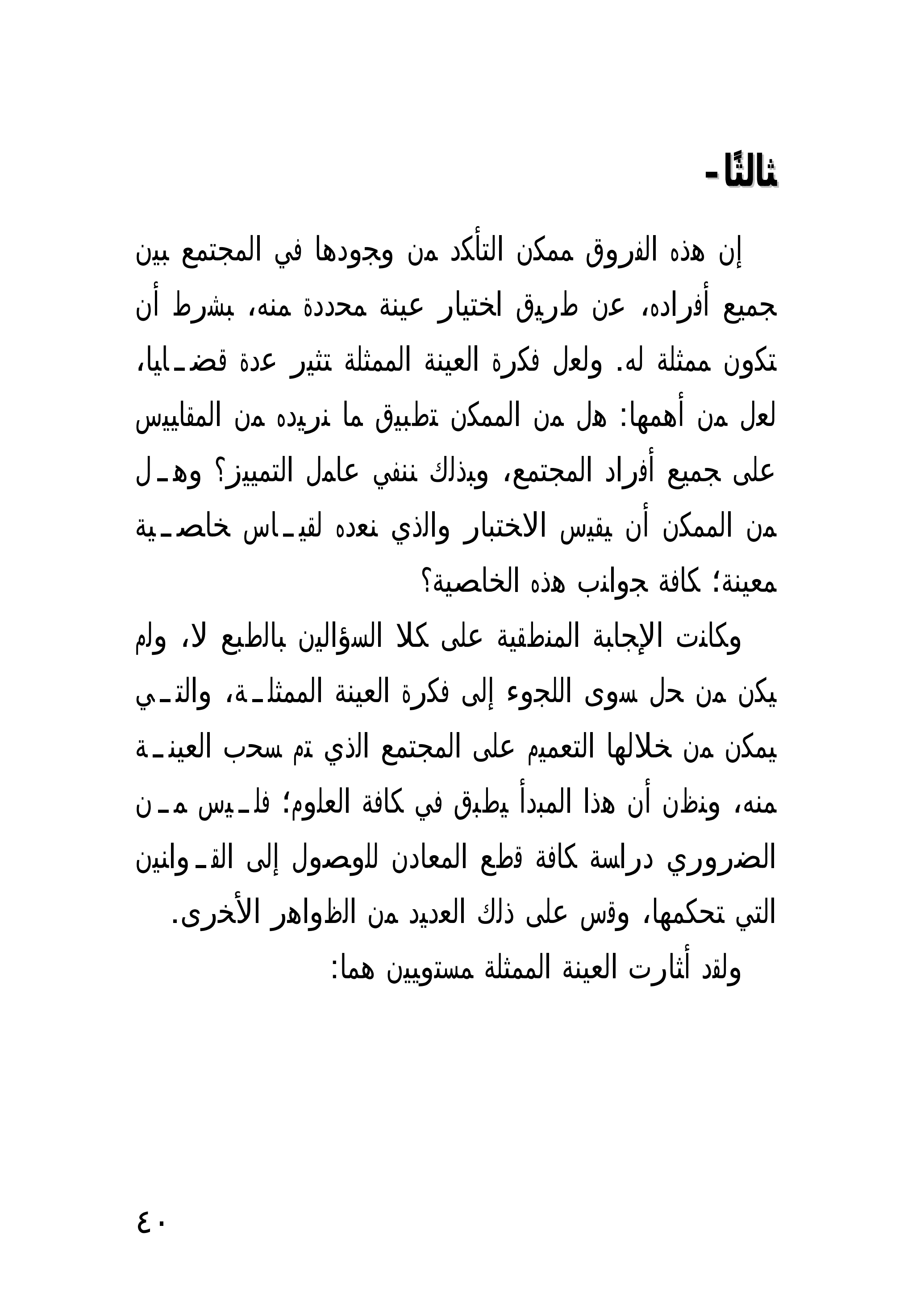
مثال: لدينا جميعا صفة الـذكاء، إلا أن هـذه السـمة أو الصفة تختلف درجة تواجدها من شخص إلى آخر، بل فـي الشخص الواحد من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى، وقس على هذا المثال كافة الخصائص والسمات الأخرى.

ثانيا- الفروق بين الأفـراد تتـوزع توزيعـا اعتداليا:

وتنتهي هذه الخاصية على أساس فكرة أن الأفـراد مـن حيث امتلاكهم لأي خاصية نفسية أو عقلية أو حتى جسـمية؛ لا يتوزعون توزيعا عشوائيا، بل إن ما يحكم هذا التوزيع هو ما يسمى بقانون المنحنى الاعتدالي، بمعنى أن غالبية الأفراد من حيث امتلاكهم لصفة ما متوسطون، وتوجـد فئـة مـن الأفراد يتفقون على هذا المتوسط، وفي المقابل فئة أخرى تقل عن المتوسط.

ويمكن استخدام المنحنى الاعتدالي كأساس للمقارنة بـين الفرد ونفسه، وبين الفرد والآخرين.





ثالثًا-

إن هذه الفروق ممكن التأكد من وجودها في المجتمع بين جميع أفراده، عن طريق اختيار عينة محددة منه، بشرط أن تكون ممثلة له. ولعل فكرة العينة الممثلة تثير عدة قضـايا، لعل من أهمها: هل من الممكن تطبيق ما نريده من المقاييس على جميع أفراد المجتمع، وبذلك ننفي عامل التمييز؟ وهـل من الممكن أن يقيس الاختبار والذي نعده لقيـاس خاصـية معينة؛ كافة جوانب هذه الخاصية؟

وكانت الإجابة المنطقية على كلا السؤالين بالطبع لا، ولم يكن من حل سوى اللجوء إلى فكرة العينة الممثلـة، والتـي يمكن من خلالها التعميم على المجتمع الذي تم سحب العينـة منه، ونظن أن هذا المبدأ يطبق في كافة العلوم؛ فلـيس مـن الضروري دراسة كافة قطع المعادن للوصول إلى القـوانين التي تحكمها، وقس على ذلك العديد من الظواهر الأخرى.

ولقد أثارت العينة الممثلة مستويين هما:

أ ـ عينة التقنين:

نقصد بها اختيار عينة صغيرة وممثلة لأفـراد المجتمـع الأصلي محل الدراسة؛ بحيث تتوفر في هـذه العينـة كافـة الخصائص الممثلة للمجتمع، بحيث نستطيع التعمـيم ونحـن مطمئنون.

ب ـ العينة السلوكية:

أي اختيار عينة صغيرة نسبيا من القطاع السلوكي المراد دراسته؛ بحيث يراعى أن تتوافر فيها كافة الخصائص الهامة والمميزة لهذا القطاع السلوكي.

رابعا:

تعميم النتائج الخاصة بالفروق الفردية، والمسـتمدة مـن العينة المحدودة من الأفراد، والعينة الممثلة علـى المجتمـع الأصلي كله.

ولا شك أن هذه الخطوة تعد تتويجـا لكافـة الخطـوات السابقة. فإذا كان اختيار العينة المراد دراستها (من الأفراد)، والجوانب السلوكية المراد قياسها (من السلوك)؛ ينهض على

أساس علمي إمبريقي بدون تحيز؛ فأنت في هذه الحالة تستطيع أن تعمم النتائج، ونحن على ثقة من إمكانية التعميم.

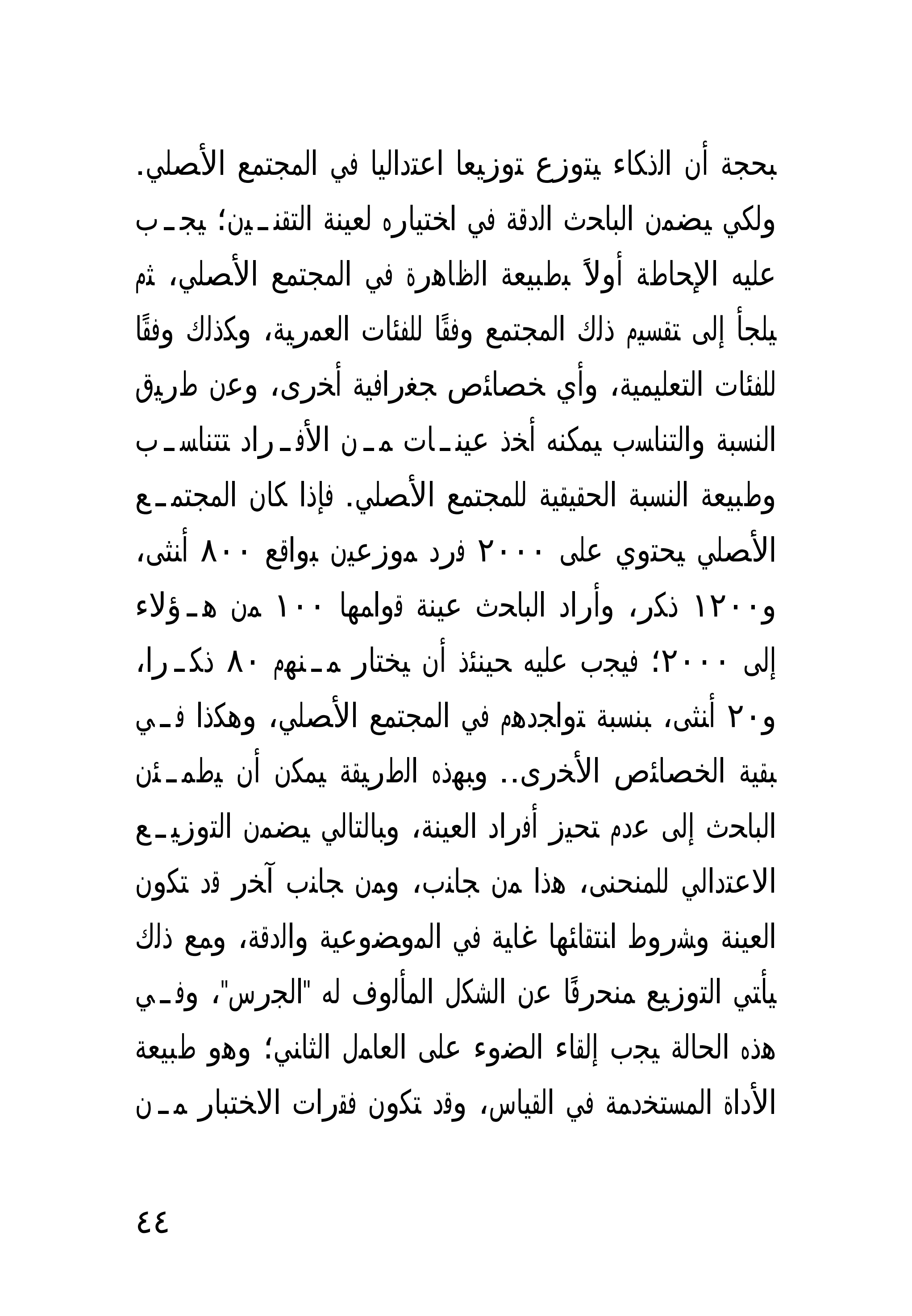
والدراسات التي ينهض بها "البرنامج الدائم لبحوث تعاطي المخدرات في مصر" خير مثال على ذلك؛ إذ تستخدم عينات (سواء من الطلبة في المدارس الثانوي والجامعي، أو حتى العمال) بكميات كبيرة؛ حتى تمثل الشريحة من خلالها سحب العينة. فعلى سبيل المثال في دراسة "بعض ملامح اتجاهات تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب لدى تلاميذ المدارس الثانوي العام بمدينة القاهرة الكبرى بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٦؛ كانت نسبة العينة إلى الجمهور الأصلي في الدراستين حوالي ٦ %، وبلغ عدد أفراد عينة الدراسة المسحية لعام ١٩٨٦ حوالي ٥١٩٤ تلميذًا، وكان عدد أفراد عينة الدراسة المسحية لعام ١٩٧٨ هو ٥٥٣٠ تلميذًا، وفي كليهما تم تمثيل الصفوف المختلفة، وكذا تمثيل كل من المدارس الحكومية الخاصة واللغات.

مدى وطبيعة الفروق الفردية:

من المؤكد أن الأفراد في مراحل نموهم المختلفة يتباينون فيما بينهم من حيث قدراتهم واستعداداتهم.. إلخ.

من هذا المنطق تستدعي الضـرورة أن نتسـاءل عـن مكونات الفروق الفردية بين الأفـراد، وهـل تتغيـر هـذه المكونات بتغيير مراحل النمو المختلفة؟..

إن ما سبق تناوله من حيث توزيـع الأفـراد وفقًـا لمـا يمتلكون من خصائص وسمات عقلية وشخصية ومزاجية أمر يكاد يكون من الصعوبة، خاصة أن هناك العديد من العوامل التي تؤثر على الشكل المألوف للمنحنـى الاعتـدالي يجـب وضعها في الاعتبار، يأتي في مقـدمتها أن الاختيـارات إذا كانت تقوم في أساسها على مفهوم العينة؛ فهذا يعني أن تلـك العينة يجب أن تضاهي وتماثل من حيث الطبيعـة والنسـبة خصائص المجتمع الأصلي الذي أخذت منه، وبالتالي إذا لـم يراعِ الباحث هذه الخصائص أثناء الانتقـاء جـاءت العينـة متحيزة؛ مما يترتب عليه تباعـا اخـتلاف شـكل التوزيـع الاعتدالي. فلو أجرينا اختبارا للذكاء علـى مجموعـة مـن المتفوقين، فلا بد أن ينحرف التوزيع عن الاعتدال. ورغم أن الطرق الإحصائية قد تقدمت بشـكل ملحـوظ فيمـا يتعلـق بمعاملات تحويل التوزيعات المختلفة إلـى أقـرب توزيـع اعتدالي؛ إلا أنه في هذه الحالة لا يمكننا إحداث ذلك التحويل


بحجة أن الذكاء يتوزع توزيعا اعتداليا في المجتمع الأصلي. ولكي يضمن الباحث الدقة في اختياره لعينة التقنـين؛ يجـب عليه الإحاطة أولاً بطبيعة الظاهرة في المجتمع الأصلي، ثم يلجأ إلى تقسيم ذلك المجتمع وفقًا للفئات العمرية، وكذلك وفقًا للفئات التعليمية، وأي خصائص جغرافية أخرى، وعن طريق النسبة والتناسب يمكنه أخذ عينـات مـن الأفـراد تتناسـب وطبيعة النسبة الحقيقية للمجتمع الأصلي. فإذا كان المجتمـع الأصلي يحتوي على ٢٠٠٠ فرد موزعين بواقع ٨٠٠ أنثى، و١٢٠٠ ذكر، وأراد الباحث عينة قوامها ١٠٠ من هـؤلاء إلى ٢٠٠٠؛ فيجب عليه حينئذ أن يختار مـنهم ٨٠ ذكـرا، و٢٠ أنثى، بنسبة تواجدهم في المجتمع الأصلي، وهكذا فـي بقية الخصائص الأخرى.. وبهذه الطريقة يمكن أن يطمـئن الباحث إلى عدم تحيز أفراد العينة، وبالتالي يضمن التوزيـع الاعتدالي للمنحنى، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد تكون العينة وشروط انتقائها غاية في الموضوعية والدقة، ومع ذلك يأتي التوزيع منحرفًا عن الشكل المألوف له "الجرس"، وفـي هذه الحالة يجب إلقاء الضوء على العامل الثاني؛ وهو طبيعة الأداة المستخدمة في القياس، وقد تكون فقرات الاختبار مـن

السهولة الشديدة؛ حيث يجيب عليهـا كافـة أفـراد العينـة، وبالتالي تنتفـي الفرضـية الخاصـة بـالتوزيع الاعتـدالي Skewed سالب الالتواء Negatively.. أو العكس قد تكون فقرات الاختبار من الصعوبة بحيث لا يجيب عليها من أفراد العينة، وبالتالي يأتي المنحنى حـاملاً لخاصـية الانحـراف والالتواء الشديد Skewed موجب الالتـواء Positlvely، وهذا العامل يمكن التغلب عليه عن طريق وضع أسئلة تبـدأ بالسهولة ("أرضية الاختبار")، ثم تتدرج في الصعوبة إلى أن نصل إلى ما يعرف "بسقف الاختبار"، وبين هذا وذاك يوجد تدرج طبيعي في مستوى السهولة والصعوبة، وبهذه الطريقة نضمن تشكيلة من التباينات الفردية في الإجابة على فقـرات الاختبار؛ مما يضمن لنا التنوع أثناء توزيع الظـاهرة علـى المنحنى الاعتدالي النموذجي، فتحسب درجة سهولة الفقـرة وفقًا للمعادلة التالية:

معامل السهولة:

= الإجابات الخاطئة/ (الإجابات الصحيحة + الإجابات الخاطئة).

ومن جانب آخر قد تكون العينة قد تم انتقاؤهـا بطريقـة موضوعية، وكذلك تمت صياغة البنود والفقـرات صـياغة

موضوعية، ومع ذلك يأتي التوزيع الاعتدالي منحرفًا عن شكله المألوف، حينئذ يجب النظر بعين الاعتبار إلى العامل الثالث، ألا وهو طبيعة الظاهرة، أو الخاصية التي تقوم بقياسها ودراستها؛ لأنها قد تكون ذات طبيعة نوعية معينة في المجتمع الأصلي، وهذه الطبيعة تتميز أصلاً بالانحراف والابتعاد عن التوزيع الاعتدالي. فإذا قمنا باستطلاع اتجاهات أهل الكويت الشقيقة فيما تعرضت له بلادهم على أيدي القوات العراقية؛ لوجدنا أن معظم الإجابات ستصب في جانب واحد بعينه، وبالتالي إذا وزعنا الاستجابات على المنحنى الاعتدالي لوجدنا التواء تاما في شكله.

إن هذا الانحراف في الشكل لا يعني أن العينة غير ممثلة، أو أن الأداة غير مقننة موضوعيا، وإنما طبيعة الظاهرة تحوي في طياتها مثل ذلك الانحراف. وفي حالة التأكد من سلامة العوامل الثلاثة السابقة يمكن للباحث القيام بتحويل المنحنى إلى أقرب توزيع اعتدالي، وذلك عن طريق ما يسمى بالمتوسطات المتحركة، أو الأساليب الإحصائية الأخرى.

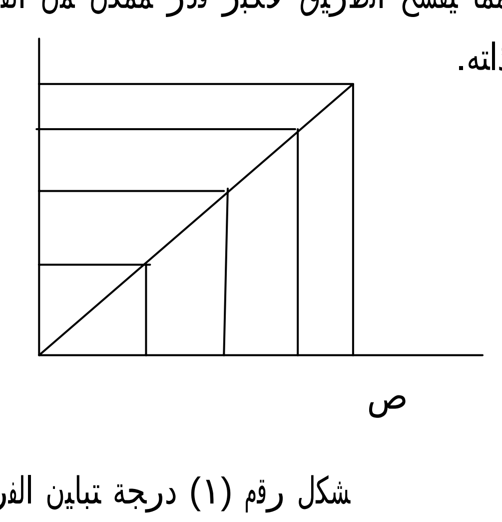
مكونات الفروق الفردية

١- إن الفرد الواحد إذا ما تفاعل في مواقف مختلفة نجد أن مستوى أدائه يختلف من موقف لآخر وفقًا لطبيعة تلك المواقف، فيكون ذلك عبارة عن "فروق فردية ذاتية"؛ أي تخص كل فرد على حدة Intra – Individual differences.

وهناك علاقة ارتباطية بين درجات تباين الأنشطة المختلفة التي يقوم بها الفرد، ودرجة تباين الفروق لديه. انظر الشكل رقم (١).

فكلما كان الموقف أو النشاط الذي يتعرض له الفرد في إطار العلاقة التفاعلية بسيطًا والعكس صحيح، كلما زادت درجة تعقيد تلك الأنشطة كلما قابلها في الوجه الآخر درجة من التعقيد في الفروق الفردية عنده فإذا كان النشاط مجرد القيام بتركيب أو فك قطعة من الخشب فيقابلها على المحور (السيني) عدد من الفقرات يختلف بالقطع عن القدرات التي يمكن أن تظهر لو كان النشاط المعنى هذا القيام بحل مسألة رياضية، أو موقف اجتماعي معقد، ففي هذه الحالة تتطلب الضرورة تكاتف عدد أكبر من القدرات والاستعدادات.. الخ

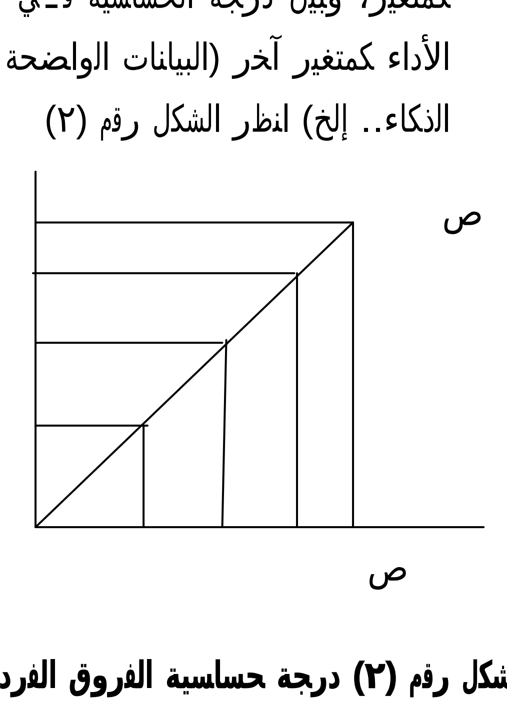
مما يفسح الطريق لأكبر قدر ممكن من الفروق لدى الفـرد ذاته.



شكل رقم (١) درجة تباين الفروق

٢- كذلك الحال فيما يتعلق بالأفراد، فعندما يقـوم عـدد معين من الأفراد بعمل ما، فنحن نجـد أن مسـتوى أداء هؤلاء الأفراد يتبـاين بالنسـبة لهـذا العمـل، وبطبيعة الحال فإن هذه الفروق بينهم تزداد بالنسـبة لهذا العمل، وبطبيعية الحال فإن هذه الفروق بيـنهم تزداد حساسيتها كلما كان الموقف صعبا ويحتاج إلى استخدام عدد من العوامل العقلية وغير العقليـة؛ أي إن هناك علاقة ارتباطية بين صعوبة درجة الموقف

كمتغير، وبين درجة الحساسية فـي الأداء، وبـين الأداء كمتغير آخر (البيانات الواضحة على اختبـار الذكاء.. إلخ) انظر الشكل رقم (٢)



شكل رقم (٢) درجة حساسية الفروق الفردية بين الأفراد

٣- والفروق الفردية تهتم أساسا بما يطلق عليه مستوى الأداء Level of performance؛ هذا المسـتوى من الأداء ما هو إلا المحصلة النهائية الناتجة عـن تفاعل الفرد أو الأفراد مع المواقف المختلفة، فعندما نعرض على الأفراد اختبارا للذكاء، فـنحن نقـيس مستوى أداء الفرد على هذا الاختبار فـي موقـف

معين، ثم نستنتج أن مستوى أداء الفرد مساويا لمستوى ذكاء معين، ولكي نفهم الفروق الفردية لا بد من أن نفهم المكونات أو العوامل أو القوى الناتجة، التي تتفاعل وتؤدي إلى المحصلة (مستوى الأداء).

ومصطلح مستوى الأداء قد يحمل في حد ذاته أكثر من معنى:

١- مستوى الأداء الفسيولوجي:

والمقصود به أعلى مستوى من الأداء يستطيع أن يصل إليه الفرد طبقًا لاستعداداته الوراثية، إذا كانت جميع العوامل الأخرى المصاحبة عوامل إيجابية.

٢- مستوى الأداء الدافعي:

وهو الذي يتوقف بالدرجة الأولى على الميل أو الرغبة في القيام بعمل معين، وتلعب العوامل المكتسبة (بالدرجة الأولى) دورا كبيرا في رفع مستوى هذا الأداء، على عكس مستوى الأداء الفسيولوجي؛ حيث تكون الغلبة للعوامل الوراثية، ضمن العوامل المكتسبة التي تساهم في رفع أو خفض مستوى الأداء الدفاعي لدى الفرد.

٣- النواحي المعرفية Knowledge:

أي مستوى المعرفة التي يرغب الفرد في اكتسابها، فـإذا كانت لدى الفرد الرغبة في معرفة أو قراءة موضـوع مـا، يكون مستوى الأداء الدافعي لديه عاليا، بعكس آخر لا تتوافر لديه هذه الرغبة.

٤- النواحي المهارية:

فالفرد الذي لديه مهارة معينة، نجد لديه دافعـا لأن يكـون أكثر تكيفًا مع المواقف التي تتناسب وطبيعة تلـك المهـارة، بعكس فرد آخر يعاني من قلة المهارات الموجودة لديه؛ مما يقلل في المقابل من انخفاض المستوى الدافعي لديه.

٥- النواحي الاتجاهية Attitudes:

وهي تعني أن الأفراد قد يكونون اتجاهات معينـة نحـو بعض القضايا؛ مما يرفع لديهم مستوى الأداء الدافعي.

وطالما أن النواحي المعرفية، والنواحي المهارية، والنـواحي الاتجاهية مكتسبة؛ يمكن التحكم فيها من خلال تفاعل الكـائن الحي مع الظروف البيئية التي يعيش فيهـا، فـنحن تباعـا قادرون على رفع مستوى الأداء الدافعي لدى الفـرد، عـن

طريق التحكم فيها، مع الأخذ في الاعتبار سلامة مستوى الأداء الأول الفسيولوجي (التمرين ـ التدريب).

٦- مستوى الأداء الفعلي:

والمقصود به مستوى الأداء الفعلي للفرد، في ظل مواقف مجتمعية متفاعلة، وتتعرف عليه بسهولة من خلال موقف معين؛ بحيث يتعين على الفرد أن يأخذ فيه موقفًا محددا.

مستوى الأداء الفعلي
مستوى الأداء الدافعي
مستوى الأداء

بيئي
مكتسب
وراثي

وبداية يجب أن نذهب إلى كل مستوى من هذه المستويات الثلاثة، يحمل في طياته تباينًا بـين الأفـراد. فمـن حيـث المستوى الفسيولوجي؛ نجد أن الأفراد يتباينون فيما يمتلكونه من خصائص وراثية، على حين أن التباين يظهر بوضـوح في المستوى الثاني من حيث عدم رغبة الأفراد في اكتسـاب الاتجاهات المعرفية أو المهاريـة. أمـا المسـتوى الأخيـر (العمل) فيبدو أشد ما يكون في التباينات الشديدة بين الأفراد في أي موقف من المواقف الحياتية المعاشـة، سـواء كـان معرفيا أم مهاريا أم شخصيا أم مزاجيا أم انفعاليـا.. إلـخ. ويرجع التباين في المستوى الأخير إلى التباين في المستويين الأول منه (الدافعي والفسيولوجي).

- إن المستوى الفعلي للفرد = عدد من التفـاعلات بين المتغيرات المختلفة المتعددة.
- المحصلة = عوامل جسمية × عوامل عقليـة × عوامل انفعالية بشكل انفعالي.

المحصلة لا يمكن فهمها إلا من خلال نسق بيئـي معـين يتواجد فيه السلوك المعني بالدراسة.

والتفاعل بين العناصر المكونة للمحصلة أكبر من مجموع الأجزاء المكونة له.

والمحصلة أكبر من كل مجموع الأجزاء.

وبالتالي عندما نتحدث عن التفاعل نـتكلم عـن درجـة حساسية المحصلة بالنسبة لأي تعديل يحدث في الجزء.

هل الاضطرابات الجسمية تؤثر على الذكاء؟ (إذا اعتبرنا الذكاء هو المحصلة التي تهدف إلى قيـاس مسـتوى الأداء فيها).

هل النواحي الانفعالية والمزاجية تؤثر بدورها في مستوى الأداء الفعلي على اختبارات الذكاء؟ إذن التفاعـل يسـتدعي بالضرورة التعرف علـى طبيعـة العلاقـة بـين الأجـزاء المتفاعلة، وتحديد الأثر النسبي للجزء في الأداء (هـذا مـن جانب)، وكذلك لفهم الأجزاء المتفاعلة في علاقتها بعضـها ببعض ينبغي الأخذ في الاعتبار طبيعة النسق البيئـي الـذي يحوي بين طياته كافة التفاعلات السابقة، فـإذا مـا تواجـد الفرد أ مع المجموعـة س؛ فـإن أسـلوبه سـيختلف عـن المجموعة ص؛ وذلك لاختلاف النسق في الحالتين.

- إن التفاعل بين الأجزاء المكونـة للخاصـية أو السلوك المراد دراسته؛ يؤثر بالقطع على درجة المحصلة الناتجة؛ لأن أي تعديل أو تغير في هذه القوى الجزئية سيؤثر ويغير من تلك المحصـلة النهائية.

مثال ذلك: عوامل جسمية × عوامل عقلية × عوامل انفعالية

الفرد س ٥٠٠٠ × ١٠ × ١٢ = ٦٠٠

الفرد ص ٥٠٠٠ × ١٠ × ١٠ = ٥٠٠

فنقص درجتان في إحدى العوامل أدى إلـى نقـص فـي المحصلة بدرجة كبيرة، وهذا يدل على أن المحصـلة علـى درجة عالية من الحساسية، وتتأثر تباعا من التغير في القوى المكونة لها؛ ولذلك فمستوى الأداء كالزئبق الذي يتأثر بدرجة الحرارة، ومن هنا نجد العديد من موضوعات علـم الـنفس العام تهتم بقضايا التدريب والتمرين، وانتقال أثر التـدريب، واستثمار الطاقات لدى الأفراد والتدعيم.. إلخ.

- هذا ولقد تباينت المدارس المختلفة في تفسـيرها للمحصلة النهائيـة لمسـتوى الأداء، فـالبعض يفسرها في ضوء المحددات الوراثية فقط (مثـل

المدرسة الألمانية)، والبعض الآخر يفسرها بقوى بيئية مجتمعة (المدرسة الإنجليزية)، وبين هـذا وذاك تأتي المدرسة الأمريكيـة والتـي تعطـي للمحددات الحضارية والوراثيـة نسـبة معادلـة قوامها ٥٠ % لكل منهما. **وإذا حاولنا أن نتناول القضية من منظور توضيحي أكثر لوجدنا:**

أ – الاستعدادات الوراثية Apitudes:

وهي تلك الطاقات الكامنة داخل كل منا، وهي عبارة عن سعة بحيث تتفاعل مع الظروف البيئية المختلفة، فينتج عـن ذلك طاقة متاحة مستعدة لأن تعمل، ويطلق عليها فـي هـذه الحالة قدرات Abilities، وبالتالي فجميع الاختبارات العقلية هي اختبار قدرات؛ لأن الذكاء أو أي قدرات خاصة أخـرى نقوم بقياسها بناء على ما تعلمه الفرد ومارسه.

- مستوى أداء معين = طاقة مستعدة لكي تعمل × ظروف بيئية تعمل فيها (المناخ).

ولكن المعادلة السابقة ينقصها أحد الجوانب الأساسية فـي الحكم على مدى تباين الفروق بين الأفراد، فقد توجد الطاقـة المستعدة للعمل، وقد تتوافر الظروف البيئية التي تعمل فيها،

ولكن قد لا يتواجد الدافع أو الرغبة الدافعة لمثل هـذا الأداء، وبالتالي تصبح المعادلة على النحو التالي:

مستوى الأداء = الطاقة المستعدة لكي تعمل × ظـروف بيئية معينة × دافعية الفرد.

والشكل التالي يوضح طبيعة العلاقـة بـين المتغيـرات السابقة.

طاقة متاحة منخفضة خبرة وممارسة كبيرة B	طاقة متاحة منخفضة خبرة وممارسة غزيرة C
D طاقة متاحة كبيرة خبرة وتعلم بسيط	A استعداد وراثي مع ممارسـة وخبرة بسيطة

شكل رقم (٤) الاستعدادات (المعطيات) التي لا يمكن تغيرها

فالشـخص (A) لديـه اسـتعدادات وراثيـة وخبـرات وممارسات بيئية ضعيفة وبسيطة.

والشخص (B) لديه طاقة كبيرة ودرجة كبيرة أيضا مـن الخبرات والممارسات البيئية.

والشخص (C) لديه طاقة متاحة منخفضة، مـع درجـة كبيرة من الخبرات والممارسات البيئية.

والشخص (D) لديه طاقة متاحـة كبيـرة، مـع درجـة منخفضة من الخبرات والتعليم البيئي (الحرمان الثقافي).

يتضح لنا من خلال الشكل السابق أن هناك نـوعين مـن العلاقة:

الأولى- علاقة إيجابية بين الطاقة والخبـرة تفـرض مبـدأ التوازن، وفي ذلك طمس للفروق الفردية.

فالشخص (C) لديه طاقة منخفضة، ثـم نقـوم بإعطائـه ممارسات وخبرات مرتفعة، حينئذ يحدث عدم التكيف، ومن ثم عدم تمثيل الخبرات المكتسبة؛ فلكي نصل بهذا الفرد إلـى مرحلة التوازن ينبغي السير فـي خطـى معتدلـة لإيجـاد التوازنية بين طاقته وخبراته. ولعل الدليل علـى ذلـك فـي المجال التربوي أننا نجد بعض التلاميذ المتباينين في طاقاتهم المتاحة، وقد أجبروا على تمثيل مناهج دراسية معينة، فنجـد البعض منهم استطاع أن يحقق التفاعلية المتوازنة بين طاقته وممارساته وخبراته التعليمية، على حين يفشل آخرون نظرا لضعف طاقاتهم المتاحة، وبالتالي إذا أردنا اتجاهـا متفـردا وليس نمطيا فيجب أن يكون لتلك الفئـة منـاهج وأسـاليب دراسية تساير - على الأقل - طاقاتهم المتاحة، وإلا فوجئنا

في النهاية بشتى أساليب عدم التكيف مع المجتمع المدرسـي أو الجامعي، فالطاقة المتاحة لهؤلاء الأفراد غيـر مسـتغلة الاستغلال الأمثل؛ لأننا نتعامـل معهـم بواسـطة خبـرات لا تتلائم ولا تتوافق معهم.

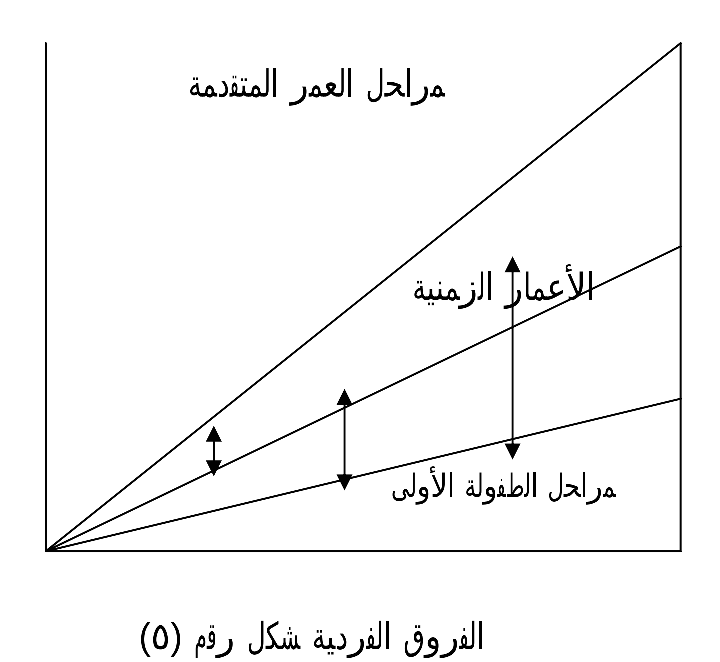
أما الشخص (D) فيوجد لديه هدر واضـح فـي طبيعـة الطاقات المتاحة للأفراد؛ مما يحقق أيضا عدم التوازن لديه، فالشخص (D) لديه طاقات عالية، ولكن العوامـل التعليميـة والثقافية والمجتمعية غير قادرة على استغلال تلك الطاقـات. لعل هذا يفسر لنا سر طبيعة وعبقرية ونبوغ المصري خارج حدود مجتمعه، عندما تتاح له الظـروف البيئيـة الملائمـة لاستغلال طاقاته المتاحة.

وظـاهرة الحرمـان الثقـافي Cultural deprivation والحرمان البيئي Environmental كثيرا ما نقابلهـا فـي المجتمعات النامية.

هل هناك علاقة بين الفروق وبين تقدم الأفراد في العمر؟

من الأمور الشائعة في مجال علم نفس النمو أنه كلما زاد العمر كلما زادت الفروق انتشارا، فالفروق بين الأفراد تزداد بازدياد الأعمار، في إطار مبدأ تحقيق التوازن، بمعنـى أن الأفراد متشابهون أكثر منهم مختلفون في الأعمـار الزمنيـة الصغيرة، والعكس صحيح تماما. (انظر شكل رقم ٥).

وينطبق ذلك على كافة الخصائص الشخصية والقـدرات العقلية والميول والاتجاهات.. إلخ.



الفروق الفردية شكل رقم (٥)

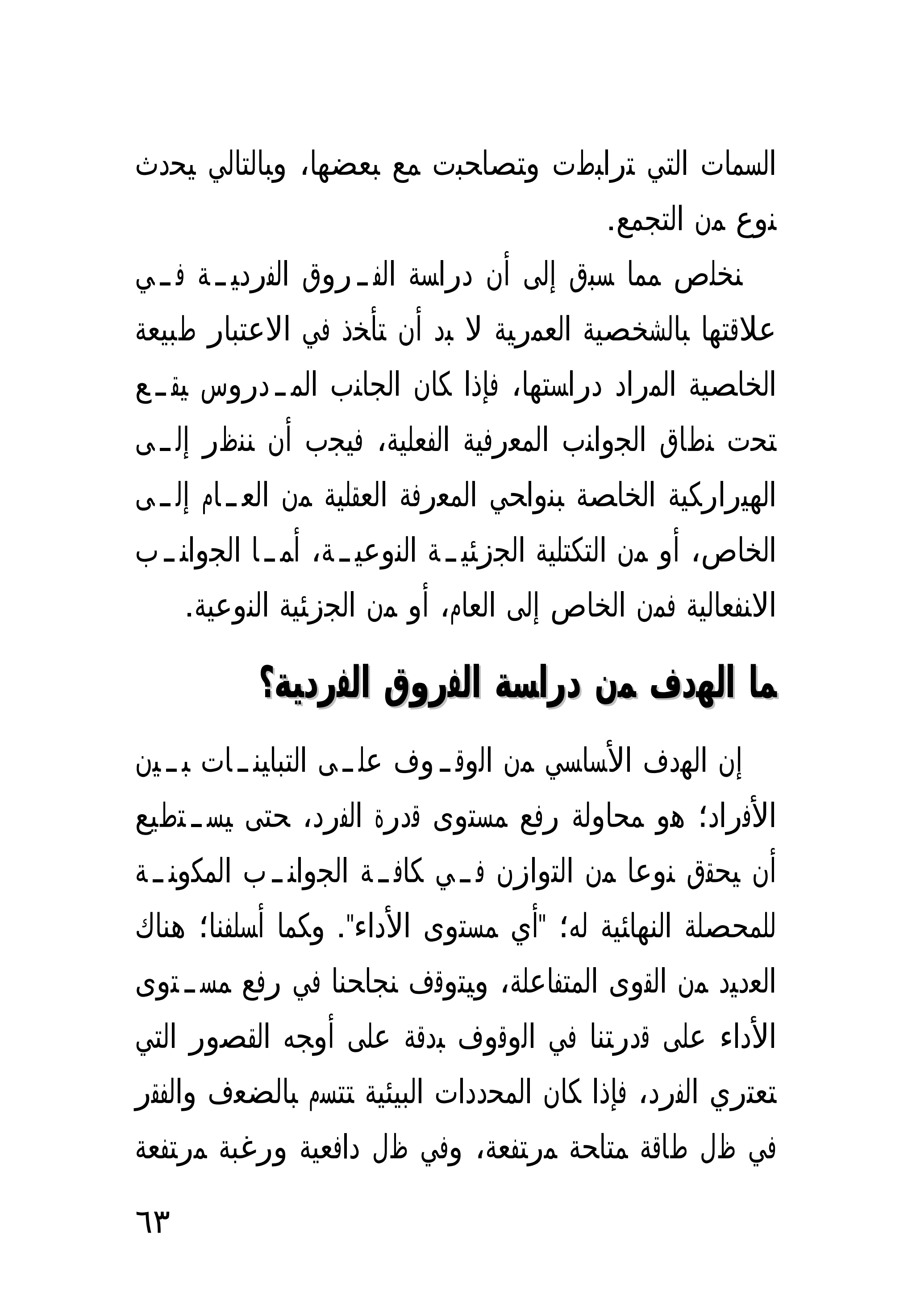
درجة حساسية الفروق الفردية بين الأفراد

ولكن من الأمور التي تفيدنا في إلقاء الضوء على قضـية الفروق الفردية أن الفروق الفردية بالنسبة للنواحي المعرفيـة العقلية للأعمار هي فروق كتلية Totality؛ بمعنـى فـروق تعرف بما يسمى بالقدرة العامة، ومعنى عامة أي إنها تدخل في كل لون من ألوان السلوك الذي يقوم به الفرد، وكلما تقدم الفرد في العمر زادت القدرات وتحولت من قـدرات كليـة (كتلية) إلى قدرات خاصة، وقدرات طائفية؛ مما يسهم فـي زيادة واتساع رقعة الفروق الفردية بين الأفراد، فحينما نطبق اختبار ذكاء على طفل فما يهمني في هذه الحالة هو الوصول إلى الدرجة الكلية لمستوى أدائه، على حين يختلـف الأمـر بالنسبة للأعمار الزمنية المتقدمة؛ حتـى يهمنـي بالدرجـة مكونات الدرجة الكلية (راجع سـتانفورد بينيـه، ووكسـلر بلفيو)؛ ولذلك ليس من الغريب أن العديد من الاختبارات في مجال القياس النفسي بعضها يسعى للوقوف على الخاصـية العامة المراد دراستها، على حين اختبارات أخـرى تهـدف للوقوف على العوامل الجزئية النوعيـة المكونـة للخاصـية المراد دراستها.

عندما نحاول تقصي الفروق بين الأفراد فيما يتعلق بالنمو العقلي؛ فيجب أن نضع في الاعتبار الشجرة التنظيمية للنمـو العقلي، والتي تبدو من الفروق الكتلية، وتتشعب بعد ذلك إلى الفروق الجزئية النوعية البيئية (وفقًا لإطار العمر الزمني).

أما الإطار النفسي والانفعالي؛ فيسير على وتيرة معاكسة للنواحي المعرفية، بمعنى أن النـواحي المعرفيـة علاقتهـا بالعمر تبدأ من التكتلية إلى الجزئية النوعيـة وفقًـا لطبيعـة الخبرات البيئية، ودور الخبرة والتعليم والتدريب.. إلخ.

فإن الجوانب الانفعالية والنفسية تبدأ من الجزئية، وتنتهي بالكتلية؛ ففي بداية الأمر يلجـأ الطفـل إلـى مـا يسـمي بالاستجابات العفوية العشـوائية، القائمـة علـى المحاولـة والخطأ، تلك التي لا تعتمد على أي عامل من عوامل الخبرة أو المران أو الممارسة. وبالتدريج تبدأ نوعية أخـرى مـن الاستجابات يطلق عليها الاستجابات التعودية؛ وهي تلك التي يتعود الفرد على الإتيان بها في ظل ظروف ومحـددات تـم استيعابها من قبل؛ فالاستجابات التعودية المتشابهة قد تفـرز لنا في النهاية سمة ومجموعة من الأنماط، الناتجة عن بعض

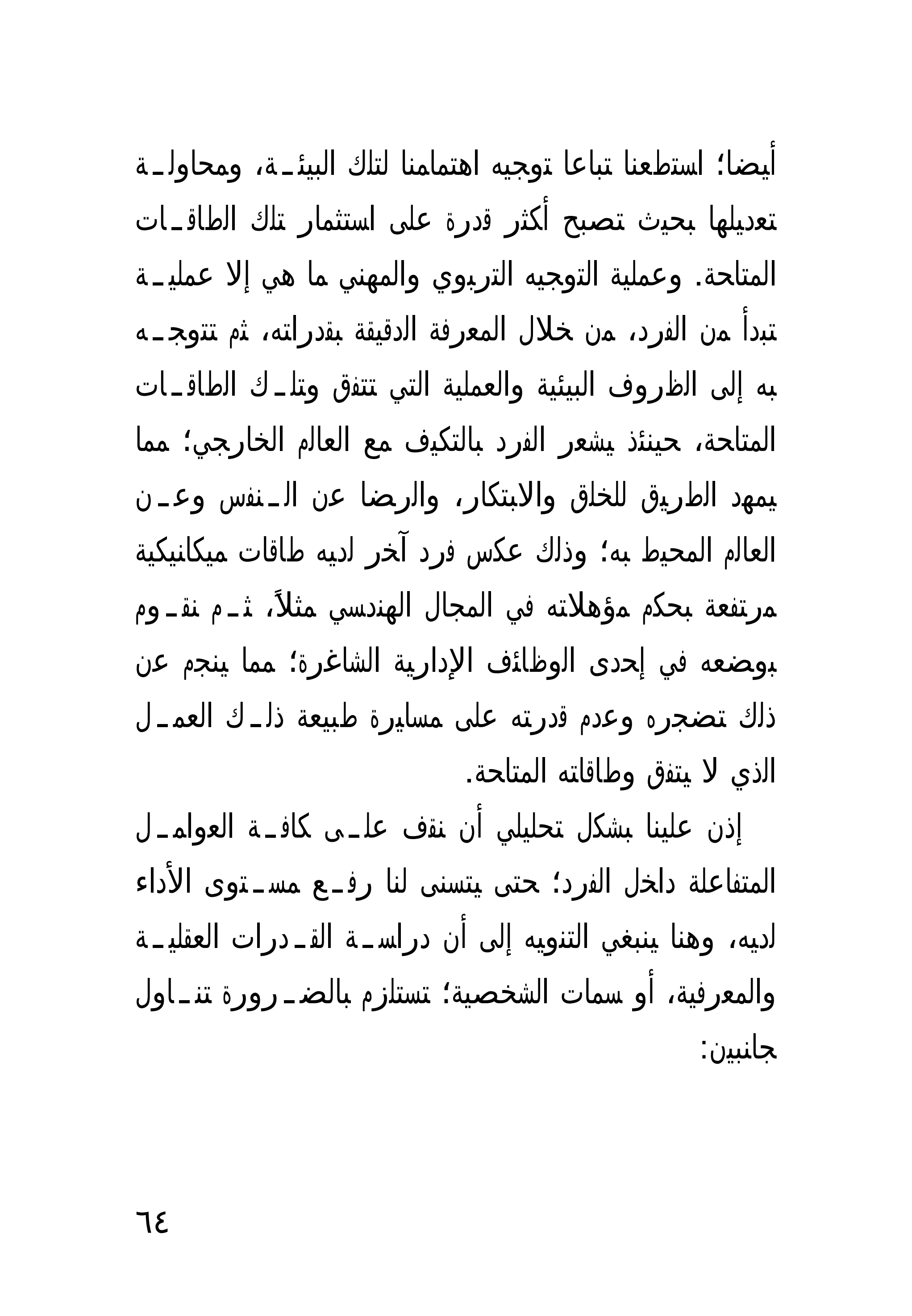


السمات التي ترابطت وتصاحبت مع بعضها، وبالتالي يحدث نوع من التجمع.

نخلص مما سبق إلى أن دراسة الفروق الفردية في علاقتها بالشخصية العمرية لا بد أن تأخذ في الاعتبار طبيعة الخاصية المراد دراستها، فإذا كان الجانب المدروس يقع تحت نطاق الجوانب المعرفية الفعلية، فيجب أن ننظر إلى الهيراركية الخاصة بنواحي المعرفة العقلية من العام إلى الخاص، أو من التكتلية الجزئية النوعية، أما الجوانب الانفعالية فمن الخاص إلى العام، أو من الجزئية النوعية.

ما الهدف من دراسة الفروق الفردية؟

إن الهدف الأساسي من الوقوف على التباينات بين الأفراد؛ هو محاولة رفع مستوى قدرة الفرد، حتى يستطيع أن يحقق نوعا من التوازن في كافة الجوانب المكونة للمحصلة النهائية له؛ "أي مستوى الأداء". وكما أسلفنا؛ هناك العديد من القوى المتفاعلة، ويتوقف نجاحنا في رفع مستوى الأداء على قدرتنا في الوقوف بدقة على أوجه القصور التي تعتري الفرد، فإذا كان المحددات البيئية تتسم بالضعف والفقر في ظل طاقة متاحة مرتفعة، وفي ظل دافعية ورغبة مرتفعة



أيضا؛ استطعنا تباعا توجيه اهتمامنا لتلك البيئـة، ومحاولـة تعديلها بحيث تصبح أكثر قدرة على استثمار تلك الطاقـات المتاحة. وعملية التوجيه التربوي والمهني ما هي إلا عمليـة تبدأ من الفرد، من خلال المعرفة الدقيقة بقدراته، ثم تتوجـه به إلى الظروف البيئية والعملية التي تتفق وتلـك الطاقـات المتاحة، حينئذ يشعر الفرد بالتكيف مع العالم الخارجي؛ مما يمهد الطريق للخلق والابتكار، والرضا عن الـنفس وعـن العالم المحيط به؛ وذلك عكس فرد آخر لديه طاقات ميكانيكية مرتفعة بحكم مؤهلاته في المجال الهندسي مثلاً، ثـم نقـوم بوضعه في إحدى الوظائف الإدارية الشاغرة؛ مما ينجم عن ذلك تضجره وعدم قدرته على مسايرة طبيعة ذلـك العمـل الذي لا يتفق وطاقاته المتاحة.

إذن علينا بشكل تحليلي أن نقف علـى كافـة العوامـل المتفاعلة داخل الفرد؛ حتى يتسنى لنا رفـع مسـتوى الأداء لديه، وهنا ينبغي التنويه إلى أن دراسـة القـدرات العقليـة والمعرفية، أو سمات الشخصية؛ تستلزم بالضـرورة تنـاول جانبين:

الأول- يتصل بمضمون Content القدرة أو الخاصية المراد دراستها.

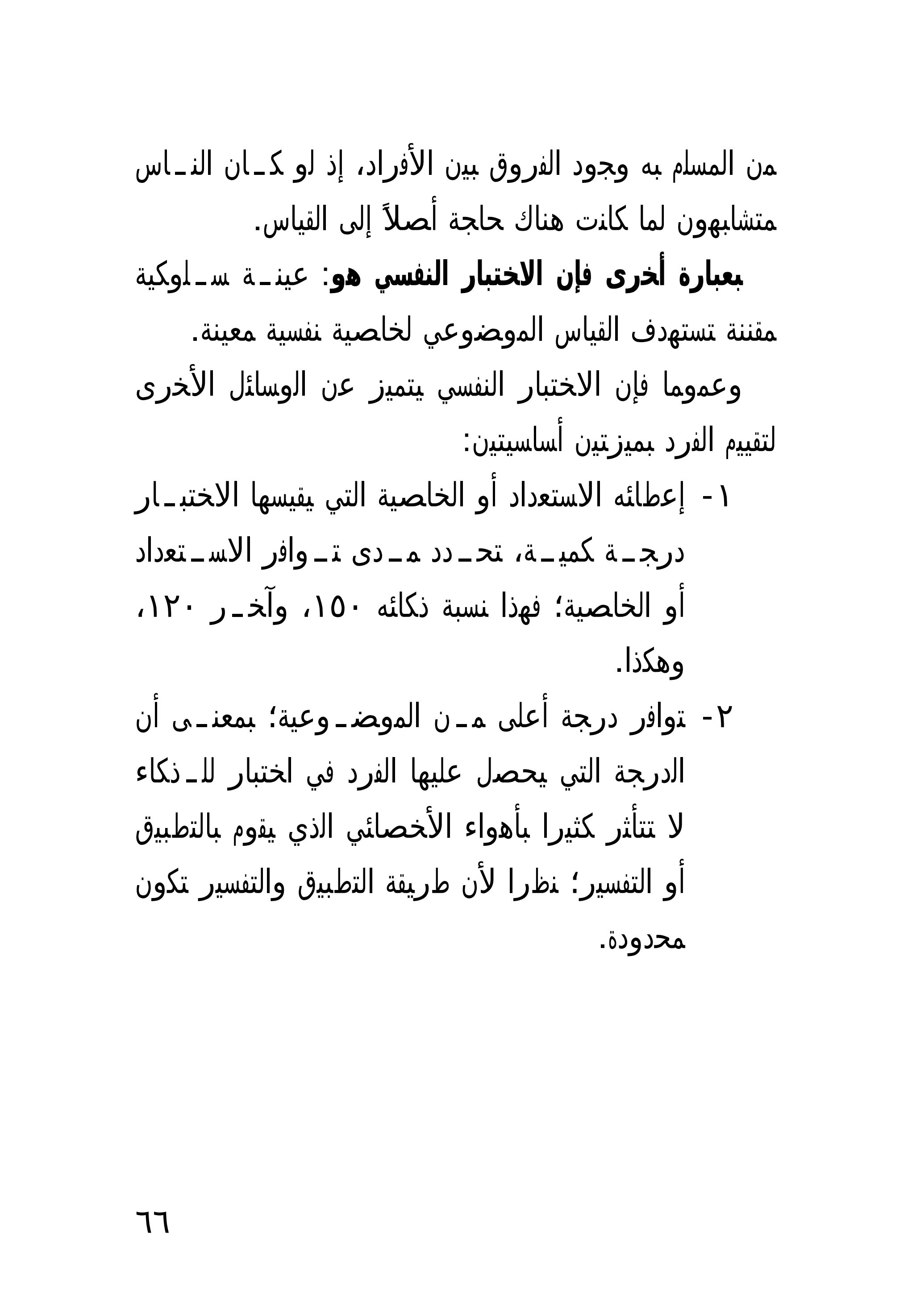
الثاني- الأسلوب الذي من خلاله يمكن التعبير عن هذه القدرة process، وبالتالي فالمحصلة النهائية للفروق الفردية في القدرة مثلاً = الفرق في المحتوى + الفرق في الأسلوب الذي يعبر الفرد من خلاله عن تلك القدرة.

الاختبار النفسي:

نتعرف على الفروق من خلال الاختبارات النفسية؛ لذا كان من الضروري أن نتعرض لبعض المفاهيم بالاختبار النفسي:

أ ـ تعريف الاختبار النفسي: Psychological test:

الاختبار النفسي عبارة عن مواقف مصطنعة، تنظم بطريقة خاصة، وتعرض على الفرد لكي تؤخذ استجاباته المختلفة عنها أساسا لتقدير استعداداته وخصائصه المختلفة؛ أي بقياس الفروق بين الأفراد على الاستعداد أو الخاصية؛ إذ



من المسلم به وجود الفروق بين الأفراد، إذ لو كان الناس متشابهون لما كانت هناك حاجة أصلاً إلى القياس.

بعبارة أخرى فإن الاختبار النفسي هو: عينة سلوكية مقننة تستهدف القياس الموضوعي لخاصية نفسية معينة.

وعموما فإن الاختبار النفسي يتميز عن الوسائل الأخرى لتقييم الفرد بميزتين أساسيتين:

١- إعطائه الاستعداد أو الخاصية التي يقيسها الاختبار درجة كمية، تحدد مدى توافر الاستعداد أو الخاصية؛ فهذا نسبة ذكائه ١٥٠، وآخر ١٢٠، وهكذا.

٢- توافر درجة أعلى من الموضوعية؛ بمعنى أن الدرجة التي يحصل عليها الفرد في اختبار للذكاء لا تتأثر كثيرا بأهواء الأخصائي الذي يقوم بالتطبيق أو التفسير؛ نظرا لأن طريقة التطبيق والتفسير تكون محدودة.

ب - تقنين الاختبار النفسي:

Test standerdiration:

لما كان الاستعداد أو الحالة النفسية شيئًا معنويا بالدرجة الأولى، بحيث لا نستطيع تحديده ماديا أو عينيا تحديدا ملموسا؛ لذا فإن الاختبار النفسي يمر بالعديد من الخطوات وهي:

خطوات إعداد الاختبار النفسي:

١- تحديد الهدف من تصميم الاختبار تحديدا واضحا، بالإجابة عن تساؤل مؤداه: ما هي الخدمات التي سوف يقوم بها هذا الاختبار؟

٢- تحديد الوظائف الفعلية التي يهدف الاختبار إلى قياسها. يقوم الباحث بتحديد الخصائص الأساسية المطلوب قياسها؛ لتحديد كافة الأبعاد التي يشتمل عليها الاختبار أو المقياس.

٣- تحديد الإطار النظري الذي يلتزم به الباحث في معالجة ما يستهدف قياسه.

٤- تحديد طبيعة الأفراد الذين سوف تطبق عليهم الأداة من حيث: السن والتعليم والجنس والإطار الثقافي... إلخ.

٥- تحديد الشكل المناسب للاختبار؛ هل هو اختبار قوة أم سرعة؟ هل هو ورقة وقلم أو اختبار عملي؟ هل هو فردي أم جماعي؟ هل هـو اختبـار إسـقاطي أم استبيان.. إلخ.

٦- البحث في الاختبارات المتوفرة، وهل بها ما يصلح لأهدافه أم لا؟

٧- تحديد شكل الفقرات؛ هل يكون الشكل مثلاً اختيـار إجابة من إجابتين؟ أم يكون إجابة من عدة إجابات؟ وهل يقوم على أساس التكملة؟ وهل يقوم على أساس المطابقة واختيار القرين؟ أم يقـوم علـى أسـاس الاستجابة الحرة؟ هل يقـوم علـى أسـاس إعـادة الترتيب؟

٨- تصميم ضعف عدد الفقرات المطلوبة على الأقل.

٩- إعداد تعليمات الاختيار، من خلال صياغة واضحة تراعي مستويات الأفراد الذين يتم التطبيق علـيهم؛

من حيث السن، والمستوى التعليمي، وهل ستكون التعليمات مكتوبة يقرأها الباحث. وتعليمات الاختبار تنقسم إلى قسمين:

أ- تعليمات خاصة بالأخصائي النفسي القائم بالتطبيق.

ب- تعليمات للمبحوثين. (قدري حفني ب ت، ص ٢٧ و٣٥).

١٠ ـ اختيار عينة التقنين: يبدأ الباحث بعد إعداد الاختبار في شكله الأول، بالتأكد من صلاحيته للاستخدام، من خلال اختيار عينة ممثلة لأفراد المجتمع الذين يتم التطبيق عليهم، ولها نفس الخصائص والمواصفات.

والهدف من التطبيق على عينات التقنين يتلخص في التعرف على:

- فهم بنود الاختبار وتعليماته.
- درجة صعوبة الاختبار ومناسبته لعينة التطبيق.
- التأكد من ترتيب البنود وفقًا للصعوبة، خاصة في مقاييس الذكاء والقدرات والعقلية.
- التأكد من ثبوت الاختبار.
- التأكد من صدق الاختبار.

- وضع معايير للاختبار تكشف عن مركز الفرد في الجامعة.
- تحديد الزمن المناسب لتطبيق الاختبار.

وقد يمر الاختبار خلال فترة الإعداد بأكثر من عينة تقنين حتى يتأكد الباحث من صلاحيته للتطبيق.

١١ ـ تقنين الاختبار.

ويمر تقنين الاختبار بالخطوات التالية:

أولاً- تحليل الوحدات Item Analysis:

الاختبار النفسي يتكون من وحدات Items؛ وهي الأجزاء الصغيرة أو العبارات، وحسن اختيار هذه العبارات، ومدى قدرتها على قياس الخاصية أو السمة؛ هو الأساس في صلاحية الاختبار كله. ولتحليل الوحدات خطوات عديدة أهمها:

- **محتوى الوحدة وشكلها Item & Content & From:**

الخاصية النفسية لا تقاس بشكل مباشر؛ وإنما من خلال المظاهر التي تدل عليها من سلوك الفرد (وصف السلوك

المراد قياسه). وعند قيامنا بقيـاس هـذه الخاصـية تحـدد المظاهر المحسوسة التي تدل على وجودها من خلال عينـة من السلوك؛ وذلك بعد تحليل السلوك المطلوب قياسه.

يتم بعد ذلك تحديد نوعية السلوك الصـالح لقيـاس هـذه الخاصية، وتختار منه عينة تمثله صدقًا.

يتطلب ذلك قدر كبير من المعلومات والأطـر النظريـة المرتبطة بالسمة المراد قياسها. ويتم صياغة هذه الوحـدات بلغة وبشكل مناسب؛ حيث يتم وضع عدد كبير من الوحدات يفوق ضعف العدد المطلوب فـي الاختبـار النهـائي؛ لأن الاختبار سيتعرض للكثير من الحذف نتيجة تحليل الوحدات، ثم يتم تطبيق الوحدات التي وضعها الباحـث علـى عينـة التقنين، ونقوم بدراسة كل وحدة لنعرف مـدى صـلاحيتها، ومـا إذا كانـت تحتـاج إلـى تعـديل نتيجـة الغمـوض أو الازدواجية.

وهناك قواعد عامة في كتابة الوحدات تساعد الباحث إلى الوصول إلى مستوى صدق جيد للاختبار:

أ ـ من حيث الشكل:

١. أن تتسم بنود الاختبار بسهولة القراءة والتعبير؛ لأن ذلك يؤثر على استجابة الأفراد غير المتعلمين مثلاً.

٢. تجنب التعبيرات المضللة.

٣. أن تتلاءم مع عينة الدراسة من حيث المستوى الثقافي والتعليمي.

ب ـ من حيث المضمون

١- الاحتواء على فكرة واحدة.

٢- أن تشتمل الفقرات على جوانب هامة من السلوك، وليست عبارات تقيس أبعادا هامشية.

٣- أن يستقل كل بند أو عبارة عن باقي العبارات.

٤- البعد عن الاستثناءات؛ فالإجابة لا بد أن تكون محددة واضحة.

٥- الإقلال من الجمل المنفية.

٦- أن يتضمن عينة ممثلة للمجال الذي أقيسه.

- **صعوبة الوحدة Item difficulty:**

تحقق دراسة صعوبة الوحدة الأهداف التالية:

١- التعرف على صعوبة الوحدة.

٢- وضع الوحدة في الترتيـب المناسـب فـي حالـة اختبارات القدرات.

٣- ضمان تساوي مستوى الصعوبة بين الوحدة والتـي بعدها، وبالتالي نضمن أن فرق ثلاث درجات بـين فرد حصل على ١٩، ٢٢ = الفـرق بـين آخـرين حصلوا على ٨، و١١؛ على نحو مـا يحـدث فـي المسطرة.

يتم تحديد كل ذلك من خلال عينة التقنين وحساب نسـبة النجاح في العينة لكل وحدة من وحدات الاختبـار، ونجـاح كافة أفراد العينة يشير إلى سهولة الفقرة، على حين أن فشل الجميع يشير إلى صعوبة الفقرة. كما أن الفقرة التي يجيـب عنها كافة أفراد العينة بنفس الاستجابة؛ هي فقرة غير مميزة ينبغي حذفها من المقياس، وتزداد صعوبة الوحدات كلما قلت نسبة النجاح فيها، ويتم تحويل مسـتويات الصـعوبة إلـى درجات معيارية تمثل المسافة بين الدرجات المعيارية حسب جدول ارتفاعات ومساحات المنحنى الاعتـدالي. والدرجـة المعيارية السالبة تكون للوحدات ذات نسب النجاح التي تزيد عن ٥٠ %.

للتخلص من الإشارات والأرقام العشرية تحول الدرجات المعيارية إلى درجات يسهل التعامل معها؛ منها:

ـ درجة دلتا: ومعادلتها

درجة دلتا المقابلة للوحـدة = ١٣ + ٤ س. علمـا بـأن ١٣ س مقدار ثابت، وس مقدار الدرجة المعيارية للوحدة.

مثال:

فالدرجـــة المعياريـــة - ٢ = ١٣ + ٤ (-٢) = ١٣ - ٨ = ٥

وتوزع درجة دلتا بين ١ إلى ٢٥.

الدرجة الثانية:

وهـي أيضـا درجـة معياريـة معدلـة، متوسـطها الحسابي ٥٠، وانحرافها المعيـاري ١٠، وقـانون الدرجـة التائيـــة المقابلـــة للدرجـــة المعياريـــة = ٥٠ + الدرجة المعيارية × ١٠؛ وبذلك تكون الدرجة - ٢ = ٥٠ - ٢ × ١٠ = ٥٠ - ٢٠ = ٣٠.

والدرجة المعيارية ٥٠ تشير إلى تساوي القيمة بالمتوسط، والأكبر من ٥٠ تشير إلى أن القيمة أعلى من المتوسط. والأقل من ٥٠ تشير إلى أن القيمة أقل من المتوسط.

المئين:

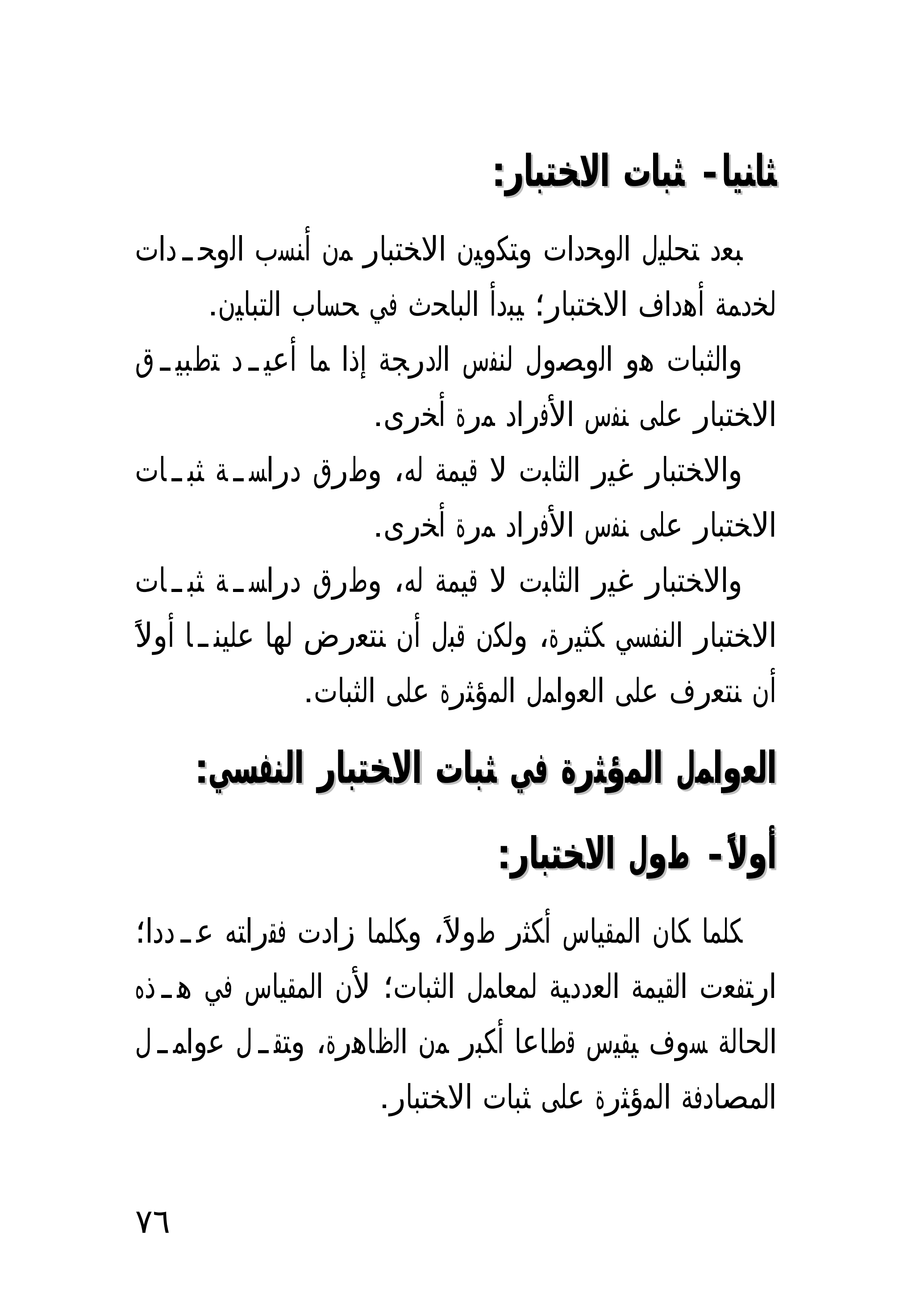
وقد تستخدم في تحديد صعوبة الوحدة المئين؛ وهي درجة تشير لمركز الفرد بالنسبة للجماعة التي ينتمي إليها.

- **صدق الوحدة Item Validity:**

ونتعرف من خلالها على قدرة الوحدات في قياس الخاصة أو السمة المراد قياسها. وهناك عدة طرق هي:

١- النظرة السطحية.

٢- إيجاد معامل الارتباط بين الاستجابة للوحدة والأداء على محك ثبت صدقه، وتكون الوحدة أكثر صدقًا كلما اقترب معامل صدقها من الواحد الصحيح، ويقل كلما ابتعدنا عن الواحد الصحيح، وبصفة عامة يفضل ألا يقل الصدق عن ٠,٥ فأكثر. وتستبعد الوحدات التي تقل عن ذلك مع الاستفادة بمستويات الصعوبة التي قمنا باستخراجها قبل ذلك. يفضل أن نبدأ الاختبار بعدد وحدات يفوق العدد التي تهدف إليه.



ثانيا- ثبات الاختبار:

بعد تحليل الوحدات وتكوين الاختبار من أنسب الوحدات لخدمة أهداف الاختبار؛ يبدأ الباحث في حساب التباين.

والثبات هو الوصول لنفس الدرجة إذا ما أعيد تطبيق الاختبار على نفس الأفراد مرة أخرى.

والاختبار غير الثابت لا قيمة له، وطرق دراسة ثبات الاختبار على نفس الأفراد مرة أخرى.

والاختبار غير الثابت لا قيمة له، وطرق دراسة ثبات الاختبار النفسي كثيرة، ولكن قبل أن نتعرض لها علينا أولاً أن نتعرف على العوامل المؤثرة على الثبات.

العوامل المؤثرة في ثبات الاختبار النفسي:

أولاً- طول الاختبار:

كلما كان المقياس أكثر طولاً، وكلما زادت فقراته عددا؛ ارتفعت القيمة العددية لمعامل الثبات؛ لأن المقياس في هذه الحالة سوف يقيس قطاعا أكبر من الظاهرة، وتقل عوامل المصادفة المؤثرة على ثبات الاختبار.

ويمكن الاعتماد على المعادلة التالية لمضاعفات الطـول المطلوب للاختبار:

$$\frac{\text{معامل الثبات المطلوب بلوغه (١ - معامل الثبات الحالي)}}{\text{معامل الثبات الحالي (١ - معامل الثبات المطلوب بلوغه)}}$$

فإذا كان معامل ثبات الاختبار ما ٠,٢ وعدد الفقرات ١٠، وأردنا الحصول على معامل ثبات = ٠,٦٠؛ ففي هذه الحالة يكون عدد الفقرات المطلوبة في المقياس كالتالي:

$$\frac{\text{٠,٦ (١ - ٠,٢)}}{\text{٠,٢ (١ - ٠,٦)}} = \frac{\text{٠,٤٨}}{\text{٠,٠٨}}$$

= ٦ × ١٠ = ٦٠ فقرة.

ثانيا- الزمن الذي يستغرقه الاختبار:

يرتبط الزمن بطول الاختبار؛ فكلما زادت الفقـرات زاد الزمن، ولا شك أن قصر الزمن بشكل كبيـر يـؤدي إلـى ضعف الثبات، كما أن طول الزمن بشكل زائد يؤدي أيضـا إلى ضعف عملية الثبات، وينبغي أن يتناسب زمن الاختبـار مع عدد الفقرات دون زيادة أو نقصان.

ثالثًا- تشتت درجات الاختبار:

زيادة الأسئلة شديدة الصعوبة، وزيـادة الأسـئلة شـديدة السهولة يؤدي إلى انخفاض صدق معامل ثبـات الاختبـار، وينبغي أن يكون مستوى البنود متقارب، وأفضل البنود هـي التي تميز بين أفراد المجموعة المختبرة بحيث يجيب عنهـا ٥٠%، ولا يجيب عنها ٥٠ %. ويجب أن يكون هناك اطراد في مستوى الصعوبة من البنود؛ حتى تمثل الخاصـية وفقًـا للمنحنى الاعتدالي النموذجي.

رابعا- وضوح صياغة الفقرات والتعليمات:

يؤدي وضوح صياغة الفقرات والتعليمـات إلـى زيـادة معامل ثبات الاختبار؛ لأن الأفراد سوف يفهمون نفس العبارة بنفس المعنى عند إعادة الاختبار.

خامسا- التخمين:

كلما زاد تأثير التخمين على الاستجابة قل معامل الثبات؛ لأن تخمين الفرد يختلف في كل مرة يجيب فيها عن المقياس.

سادسا- حالة الفرد:

يجب على الباحث أن يسأل نفسه قبل تطبيقه الاختبار؛ هل الفرد في حالة طبيعية نفسـيا وبـدنيا أم لا؟ لأن المـرض أو التعب يؤدي إلى انخفاض في درجة ثبات الاختبار.

سابعا- تجانس العينة:

كلما زاد عدد الأفراد، وازداد عدم تجانسهم، أو كلما كانت أقرب إلى التوزيع الاعتدالي، وكلما كان التباين الكلي أقرب إلى الصغر، أو كان الخطأ المعياري صفرا؛ فإن ذلك يـؤدي إلى ارتفاع ثبات الاختبار.

ثامنًا- عدم تعلق البنود بعضها بـبعض فـي الاختبار:

إذا استخدم اختبار يضمن بنودا يتعلق بعضها ببعض (كأن يتبع الإجابة بالنفي على أحد الأسئلة؛ الإجابة بالنفي بالتبعيـة على بنود أخرى) ينخفض ثبات الاختبار؛ ذلـك لأن عـددا معينًا من الإجابات مترابط وكأنه فقرة واحدة.

تاسعا- التصحيح:

إذا توافر في دليل الاختبار وصف دقيق لشروط الإجابـة المقبولة، ومحكات هذه الاستجابات؛ يرتفع معامـل الثبـات، وإذا غاب هنا التحديد الدقيق؛ انخفض معامل ثبات الاختبار.

طرق قياس الثبات إحصائيا:

يرتبط حساب الثبات بمفهوم الارتباط، والارتبـاط يشـير إلى علاقة بين متغيرين، وهو يقدم تقديرا لمدى اتساق التغير ووحدة هذا الاتساق: هل هو تلازم في التغيـر أم لا؟ ومـا مقدار التلازم في حالة وجوده؟ ومعامل الارتباط لا يزيد عن الواحد الصحيح.

أنواع الثبات:

يتم حساب الثبات بطرق عديدة منها:

١- طريقة إعادة الاختبار.

٢- الصور البديلة والمتكافئة.

٣- طريقة التقسيم النصفي للاختبار.

٤- الثبات الداخلي للاختبار (الاتساق الداخلي).

٥- ثبات التصحيح.

٦- استخدام الخطأ المعياري في الثبات.

وسوف نتناول بإيجاز كل نوع من هذه الأنواع:

١ ـ طريقة إعـادة الاختبـار Test restest reliability:

حيث يطبق الاختبار على عينة التقنين ثم نعيد التطبيق بعد فترة زمنية تتراوح من ١٤ إلى ٢١ يومـا (تختلـف المـدة باختلاف طبيعة الاختبار)؛ وذلك لعدم اكتساب خبرات جديدة، أو تذكر الاستجابات السابقة، ثم يتم بعد ذلك حساب معامـل الارتباط؛ وهو هنا نفس معامل الثبات، وكلما اقترب معامـل الارتباط من الواحد الصحيح دل ذلك على أن الثبات مرتفع، ومعامل المرضى هو ٠,٧ فأكثر.

٢ ـ طريقة الصور البديلة أو المتكافئة Form of equal from reliability atternal:

يتم عمل صورتين متكافئتين للاختبار الواحد، والصـور المتكافئة تتعادل في كافة الخصائص الأساسـية للاختبـار،

وعدد الوحدات، ومستوى الصعوبة، وطريقة التطبيق والتصحيح، والزمن المخصص للاستجابة، وتمثيل المتغيرات السلوكية المقاسة، ونسب العناصر التي تقيس المكونات. ويتم تطبيق كلا الصورتين في وقت قريب، ونحسب معامل الارتباط بين الصورتين. ومن مميزات هذه الطريقة عدم تدخل عوامل الذاكرة الموجودة في إعادة التطبيق، والبعد عن عيوب تحديد الفترات الزمنية.

٣ ـ طريقة التقسيم النصفي للاختبار:

حيث نقوم بتطبيق الاختبار في جلسة واحدة، ثم نقوم بعد ذلك بتقسيم الاختبار إلى نصفين، وتعطى درجة لكل نصف من الاختبار، ومن أساليب التصنيف:

(أ) القسمة النصفية للجزء الأول والأخير من المقياس.

(ب) التنصيف الفردي والزوجي، ومعامل الارتباط هنا لنصف الاختبار، ولذلك لا بد من تصحيح المعامل إلى ما يتوقع أن يصل إليه معامل الثبات الكلي للاختبار، ويتم ذلك بطرق عديدة منها:

- **معادلة سبيرمان براون؛ وهي:**

$$ر_{١٠١} = \frac{٢ \times ٠,٥ \times ٠,٥}{١ + ٠,٥ \times ٠,٥} \quad \frac{٢ \times \text{معامل الارتباط لنصف الاختبار}}{١ + \text{معامل ارتباط نصف الاختبار}}$$

$$ر_{١٠١} = \frac{٢ \times \text{معامل ارتباط الثبات النصفي}}{١ + \text{الثبات النصفي}}$$

مميزات هذا النوع من الثبات:

١- أن الاختبار يتم تطبيقه مرة واحدة، ويتم التقسيم خلال عملية التصحيح فقط.

٢- لا يحتاج إلى صور أخرى.

٣- لا تؤثر فيه الذاكرة أو الخبرات المكتسبة.

عيوبه ومشاكله:

١- في عملية التقسيم النصفي يصعب أن يصبح كل نصف، وكأنه صورة متكافئة للنصف الآخر.

٢- هل يتم التقسيم على أساس النصف الأول والنصف الثاني.

٣- هل يتم التقسيم بناء على ترقيم البنود إلـى فـردي وزوجي.

شروط التقسيم النصفي:

١- تكافؤ الجزءان في مستوى الصعوبة.
٢- متوسط درجات الأفراد على النصف الفردي مسـاوٍ لمتوسط درجاتهم على النصف الزوجي.
٣- تشتت درجات الأفراد (الانحراف المعيـاري) فـي النصف الفردي مساوٍ لتشتت الدرجات على النصف الزوجي.
٤- **الثبات الداخلي للاختبار "الاتساق الـداخلي"**: وهـو عبارة عن الاتفاق بين الاستجابات على كل وحـدة في الاختبار وغيرها من الوحدات.
٥- **ثبات التصحيح**: يستخدم هذا النوع من الثبـات فـي الاختبارات التي يختلف فيها المصححون كمـا فـي الاختبارات الإسقاطية.

يتم التصحيح من خلال مصححين مختلفين ويعطى كـل منهم درجاته.

ثم يحسب معامل الارتباط بين المصححين، وبعد ذلك معامل الثبات أو الاتفاق المصححين، وكلما كان منخفضا أو سائبا دل ذلك على الاختلاف بين المصححين.

٦- الخطأ المعياري في الثبات:

يكشف الخطأ المعياري عن درجة الثبات.

والخطأ المعياري للمقياس = الانحراف المعياري √(١ ـ معامل ثبات الاختبار)

ومعنى الخطأ المعياري أن الدرجة تتأرجح بمقدار ± الخطأ المعياري.

ثالثًا- صدق الاختبار:

الصدق بأبسط معانيه هو أن الاختبار يقيس ما أعد لقياسه، أو بتعريف ثورنديك وهاجان إن الاختبار يقيس ما تريد أن نقيسه به، ولا شيء غير ما نريد أن نقيسه به. ويمكن استخدام الأنواع التالية للتعرف على صدق الاختبار:

١- الصدق المظهري أو السطحي.

٢- صدق المضمون.

٣- الصدق العاملي.

٤- الصدق الذاتي.

٥- صدق التعلق بمحك. ومن بين أنواعه:
- الصدق التنبؤي.
- طريقة التقديرات.
- الصدق مع اختبار ثبت صدقه.
- صدق المجموعات المتناقضة.

الصـــدق المظهـــري أو الســطحي:

Face Falidity:

وهـو صـدق المظهـر العـام، أو مناسـبة الاختبـار للمفحوصين، ويتم التعرف عليه من خلال:
- انطباق البنود على الهدف.
- مناسبة البنود لمستويات العمر والتعليم.. إلـخ. فمـا يصلح للأطفال لا يصلح للكبار.

عيوبه:

١- يعتمد على التقدير الذاتي للقائم بعملية الصدق.
٢- يقيس ما يبدو أن الاختبار يقيسه وليس مـا يقيسـه بالفعل.

صدق المضمون: Conten Validity:

ويسمى بأسماء عديدة أخرى منها:

الصدق المنطقي (لاشتمال بنود الاختبار منطقيا على عينة من السلوك المقاس)، والصدق بحكم التعريف (لتكوين بنـود الاختبار وفقًا للتعريف الإجرائي)، ويشير هذا النـوع مـن الصدق إلى مدى احتواء المقياس على بنود تحـدد السـلوك الذي يقيسه، ويتم ذلك من خلال التعريف الخـاص بالسـمة أو الخاصية التي نقوم بقياسها.

يتم فحص كافة البنود التي يتضمنها المقيـاس، ومعرفـة مدى تمثيلها للمجال السلوكي الذي نعد المقياس لـه. ومـن الأمثلة التي توضح ذلك في حياتنا اليومية: امتحـان نهايـة العام وتمثيله لكافة جوانب المنهج.

ويهدف صدق المضمون إلى ما يلي:

١- معرفة هل تقيس بنود الاختبار السمة المراد قياسها.

٢- هل هذه البنود تمثل العناصـر الرئيسـية الواجـب قياسها.

ويتطلب هذا النوع من الصدق الـوعي الكامـل بكافـة العناصر المتداخلة في المجال الذي نقوم بقياسه، من خـلال

الإطار النظري والدراسات السابقة لكل ما كتب عن موضوع الدراسة.

الصدق الثاني: Intrinsie Validity:

وهو بمثابة الحدود العليا للصدق، ويطلق عليه دليل الثبات؛ "وهو الحد الأعلى لما يمكن أن يصل إليه معامل الصدق". والأساس التي يقوم عليها أن الثبات في جوهره ارتباط بين الدرجات الحقيقية للاختبار التي حصل عليها الفرد من الدرجات المفترض الحصول عليها؛ ولذلك يتم استخدام الجذر التربيعي لمعامل الثبات في إيجاده.

صدق التعلق بمحك:

ويشير إلى إمكانية استخدام محك خارجي واقعي، أو اختبار ثبت صدقه؛ للتأكد من صدق المقياس الذي نقوم بإعداده.

وهناك العديد من المحكات التي يمكن استخدامها؛ منها:

١- مستوى الأداء في العمل.

٢- التحصيل الدراسي.

٣- الأداء في التدريب التخصصي.

٤- المجموعات المتناقضة.

٥- التفرقة بين الأعمار.

٦- التقرير الذاتي.

٧- الارتباط بين الاختبار واختبارات أخرى صادقة.

ومن أهم أنواع صدق المحك ما يلي:

الصدق التنبؤي: ويتم من خلاله اختبار قدرة المقياس على التنبؤ بنتيجة معينة في المستقبل، عن طريـق متابعـة أداء الأفراد الذين تم تطبيق المقياس عليهم، من خـلال مقارنـة الأداء الواقعي بنتائج المقياس السابقة لتطبيقه. ويستخدم هـذا النوع من الصدق في مجال الاختيـار والتصـنيف المهنـي والتحصيل الدراسي، ومن عيوبه أنه غير صالح للاسـتخدام في الأعمال التي لا تحتمل الوقـوع فـي الأخطـاء أثنـاء الممارسة الفعلية.

الصدق التلازمي: Concurent Validity**:** ويقـوم على أساس رصد العلاقة بين نتائج المقياس والسلوك الفعلي القائم في نفس الوقت.

مثال: المقارنة بين الدرجـة علـى اختبـار تحصـيلي، ودرجات الفرد على التحصيل الدراسي.

ومن عيوبه: أن الارتباط لا يشير إلـى وجـود العلاقـة السببية؛ وإنما يشير إلى علاقة اقترانية.

ويتم حساب الصدق التلازمي بأحد الطرق التالية:

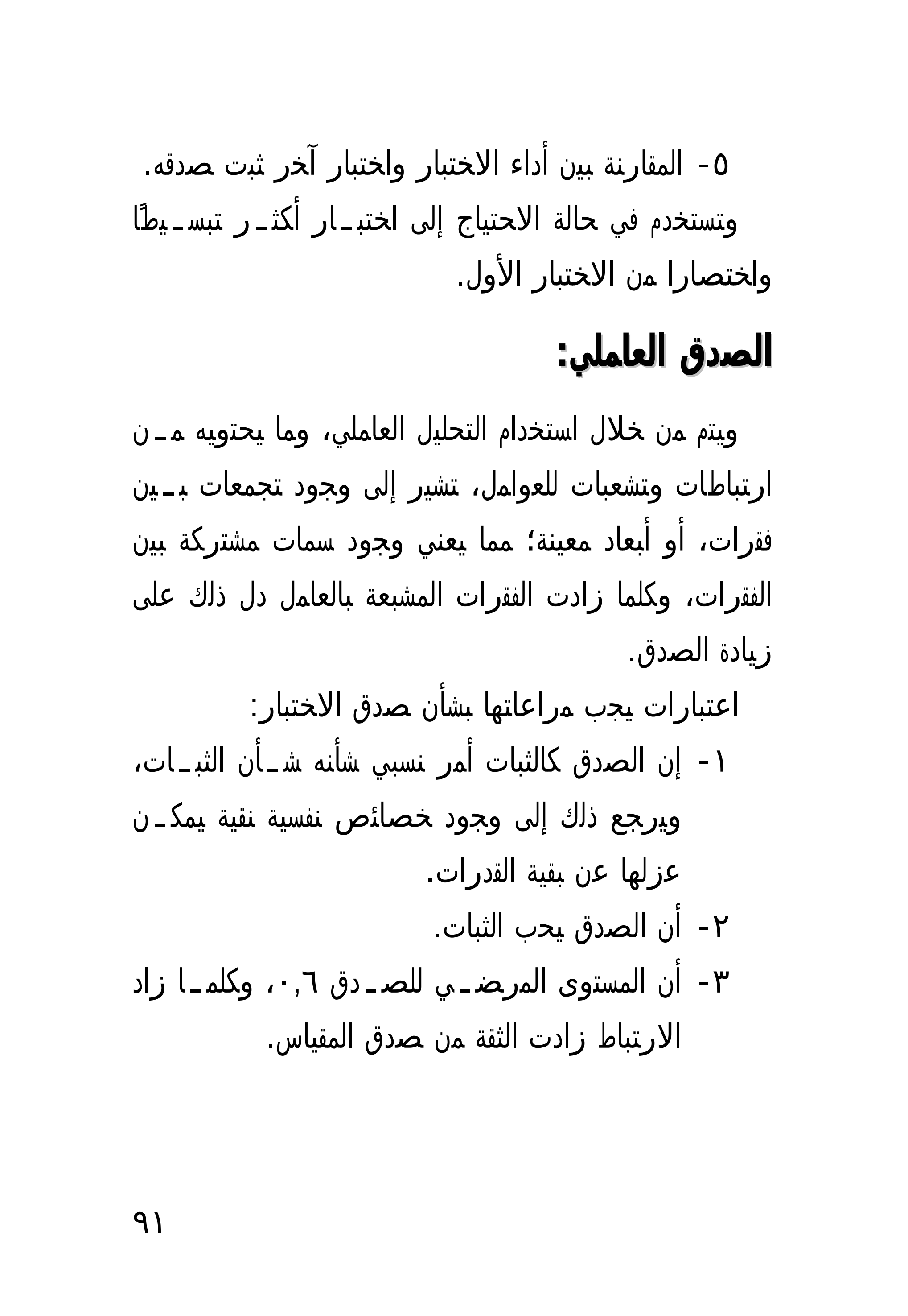
طريقة المجموعات أو المتضادة:

- اختيار مجموعتين متطرفتين وتطبيق المقياس عليهم، مع اتفاقهم في كافـة الجوانـب، بخـلاف العامـل أو المتغير المستقل.
- تطبيق مقياس الدلالة عليهم.

طريقة التقديرات: Reting method:

وتتم من خلال المقارنة بين الأداء على الاختبـار، مـن خلال عدد من المحكمين ممن لهم صلة وثيقة بالمجال تمكنهم من إصدار حكم صحيح عليهم، وينبغي أن يتوفر فـي هـذه الطريقة ما يلي:

١- تدريب المحكم على عملية التحكيم.
٢- وجود خبرة الأفراد القائم بتحكيم سلوكهم.
٣- الحصول على التقدير من أكثر من محكم.
٤- أن تكون مقاييس التقدير متدرجة.



٥- المقارنة بين أداء الاختبار واختبار آخر ثبت صدقه. وتستخدم في حالة الاحتياج إلى اختبار أكثر تبسيطًا واختصارا من الاختبار الأول.

الصدق العاملي:

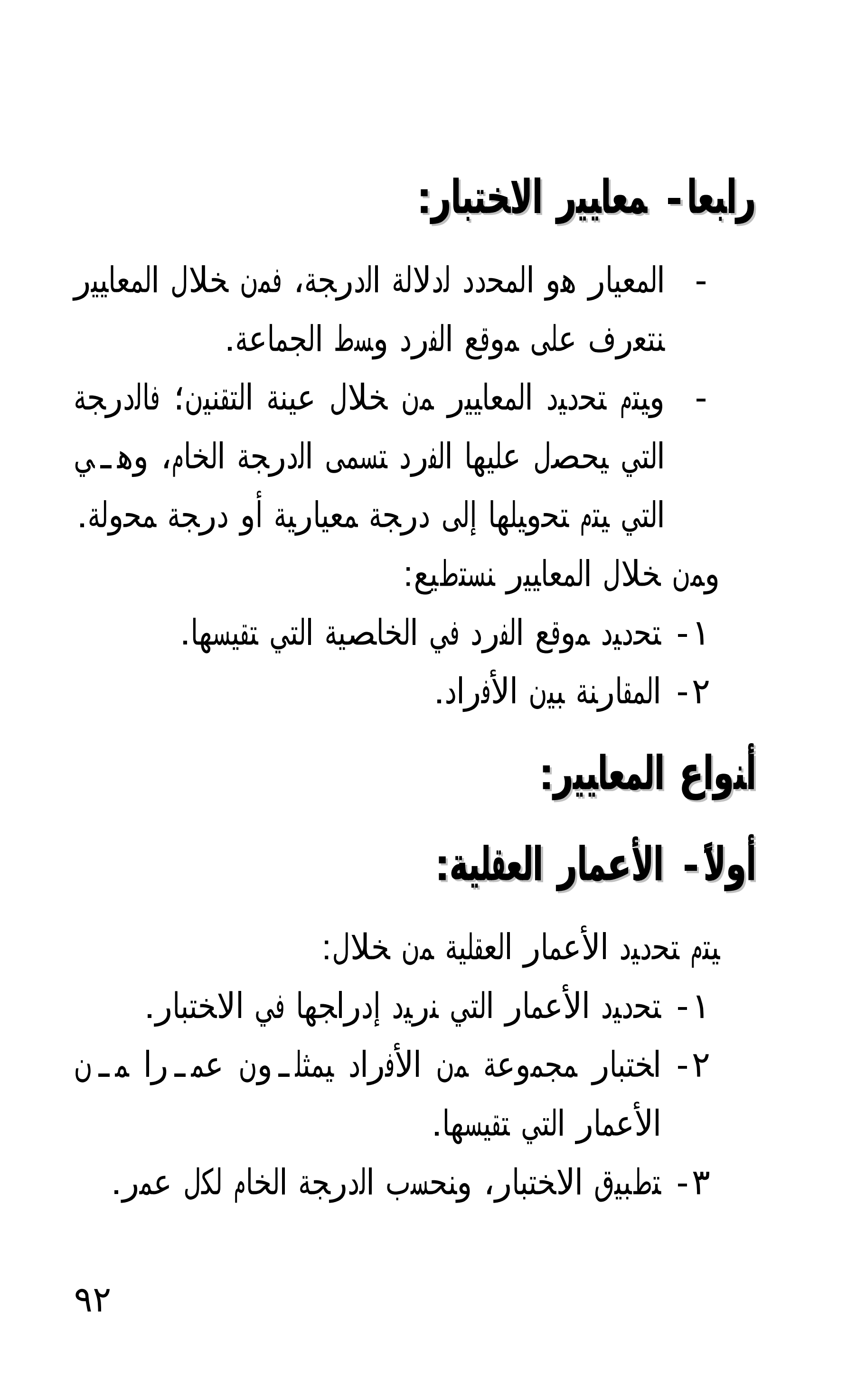
ويتم من خلال استخدام التحليل العاملي، وما يحتويه من ارتباطات وتشعبات للعوامل، تشير إلى وجود تجمعات بين فقرات، أو أبعاد معينة؛ مما يعني وجود سمات مشتركة بين الفقرات، وكلما زادت الفقرات المشبعة بالعامل دل ذلك على زيادة الصدق.

اعتبارات يجب مراعاتها بشأن صدق الاختبار:

١- إن الصدق كالثبات أمر نسبي شأنه شأن الثبات، ويرجع ذلك إلى وجود خصائص نفسية نقية يمكن عزلها عن بقية القدرات.

٢- أن الصدق يحب الثبات.

٣- أن المستوى المرضي للصدق ٠,٦، وكلما زاد الارتباط زادت الثقة من صدق المقياس.



رابعا- معايير الاختبار:

- المعيار هو المحدد لدلالة الدرجة، فمن خلال المعايير نتعرف على موقع الفرد وسط الجماعة.
- ويتم تحديد المعايير من خلال عينة التقنين؛ فالدرجة التي يحصل عليها الفرد تسمى الدرجة الخام، وهـي التي يتم تحويلها إلى درجة معيارية أو درجة محولة.

ومن خلال المعايير نستطيع:

١- تحديد موقع الفرد في الخاصية التي تقيسها.

٢- المقارنة بين الأفراد.

أنواع المعايير:

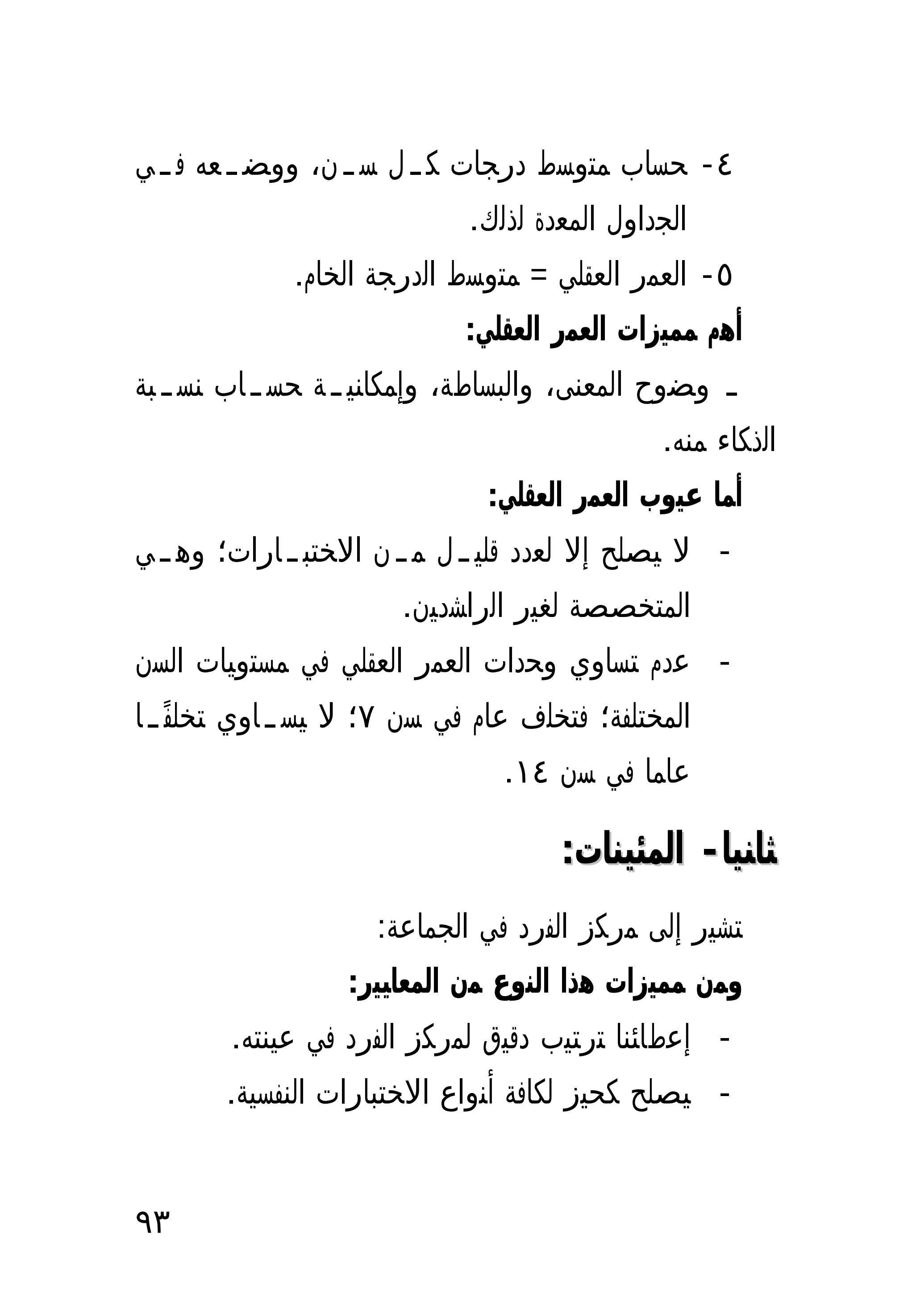
أولاً- الأعمار العقلية:

يتم تحديد الأعمار العقلية من خلال:

١- تحديد الأعمار التي نريد إدراجها في الاختبار.

٢- اختبار مجموعة من الأفراد يمثلـون عمـرا مـن الأعمار التي تقيسها.

٣- تطبيق الاختبار، ونحسب الدرجة الخام لكل عمر.



٤- حساب متوسط درجات كـل سـن، ووضـعه فـي الجداول المعدة لذلك.

٥- العمر العقلي = متوسط الدرجة الخام.

أهم مميزات العمر العقلي:

ـ وضوح المعنى، والبساطة، وإمكانيـة حسـاب نسـبة الذكاء منه.

أما عيوب العمر العقلي:

- لا يصلح إلا لعدد قليـل مـن الاختبـارات؛ وهـي المتخصصة لغير الراشدين.
- عدم تساوي وحدات العمر العقلي في مستويات السن المختلفة؛ فتخلف عام في سن ٧؛ لا يسـاوي تخلفًـا عاما في سن ١٤.

ثانيا- المئينات:

تشير إلى مركز الفرد في الجماعة:

ومن مميزات هذا النوع من المعايير:

- إعطائنا ترتيب دقيق لمركز الفرد في عينته.
- يصلح كحيز لكافة أنواع الاختبارات النفسية.

ومن عيوبه:

- عدم تساوي المئينات.

ثالثًا- الدرجة المعيارية:

وتعتبر أفضل الأنواع عموما؛ لأنها تصلح لكافـة أنـواع الاختبارات، وتتساوى وحداتها؛ فـالفروق المتسـاوية بـين الدرجات الخام تعتبر فروقًا متساوية بين الدرجات المعيارية.

عيوبه:

١- وجود إشارات سالبة، وأخرى موجبة.

٢- وجود كسور.

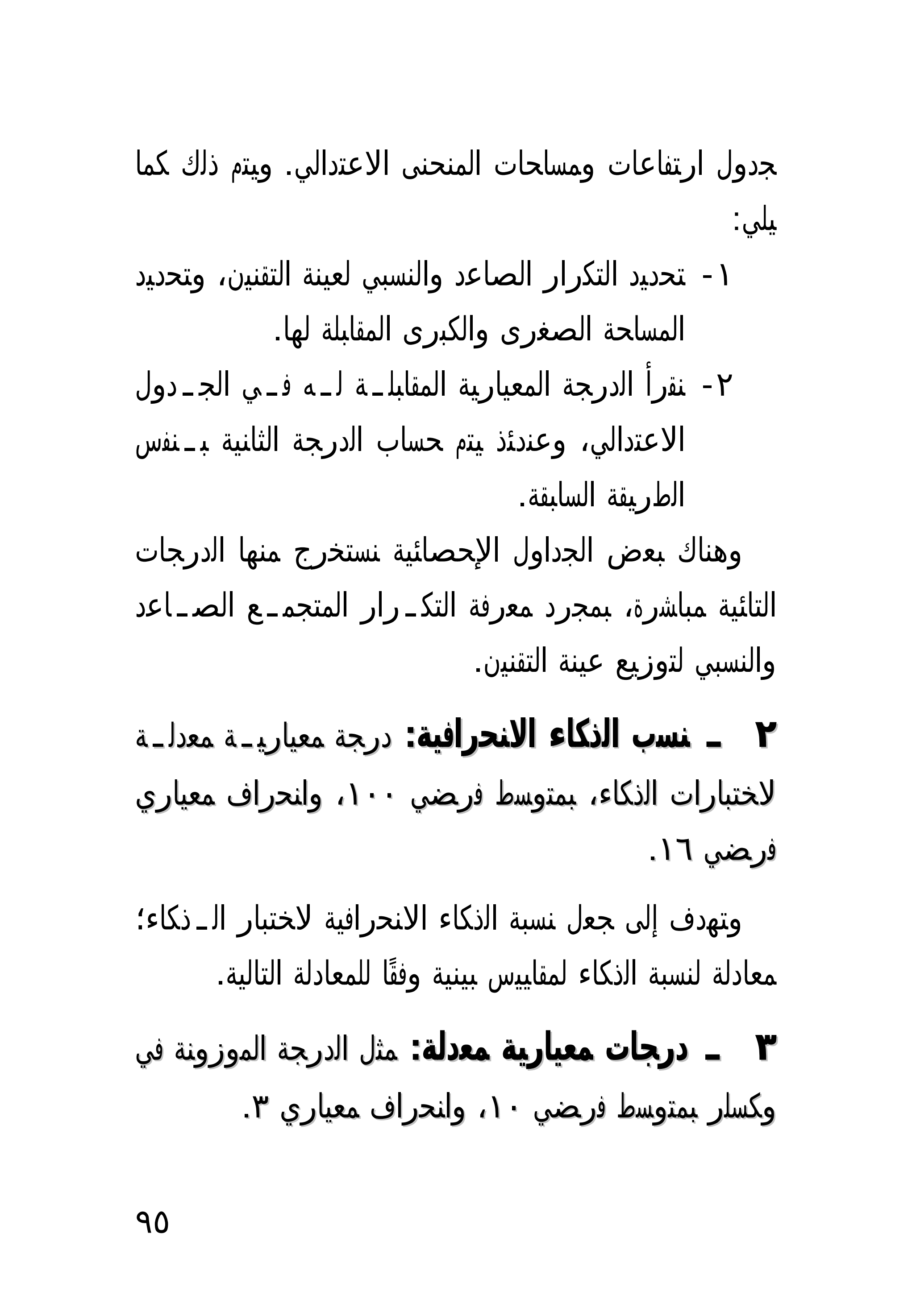
ولذلك تستخدم تسميات جديدة للدرجة المعيارية تتلافـى هذه العيوب؛ منها:

١ ـ الدرجة التائية:

درجة معيارية مجمـوع متوسـطها = ٥٠، وانحرافهـا المعياري ١٠.

الدرجة المعيارية = ٥٠: الدرجة المعيارية × ١٠.

وفي حالة التوزيع غير الاعتـدالي؛ يجـب أولاً تحويـل الدرجة المعيارية إلى درجة معياريـة اعتداليـة، باسـتخدام


جدول ارتفاعات ومساحات المنحنى الاعتدالي. ويتم ذلك كما يلي:

١- تحديد التكرار الصاعد والنسبي لعينة التقنين، وتحديد المساحة الصغرى والكبرى المقابلة لها.

٢- نقرأ الدرجة المعيارية المقابلـة لـه فـي الجـدول الاعتدالي، وعندئذ يتم حساب الدرجة الثانية بـنفس الطريقة السابقة.

وهناك بعض الجداول الإحصائية نستخرج منها الدرجات التائية مباشرة، بمجرد معرفة التكـرار المتجمـع الصـاعد والنسبي لتوزيع عينة التقنين.

٢ ـ نسب الذكاء الانحرافية: درجة معياريـة معدلـة لاختبارات الذكاء، بمتوسط فرضي ١٠٠، وانحراف معياري فرضي ١٦.

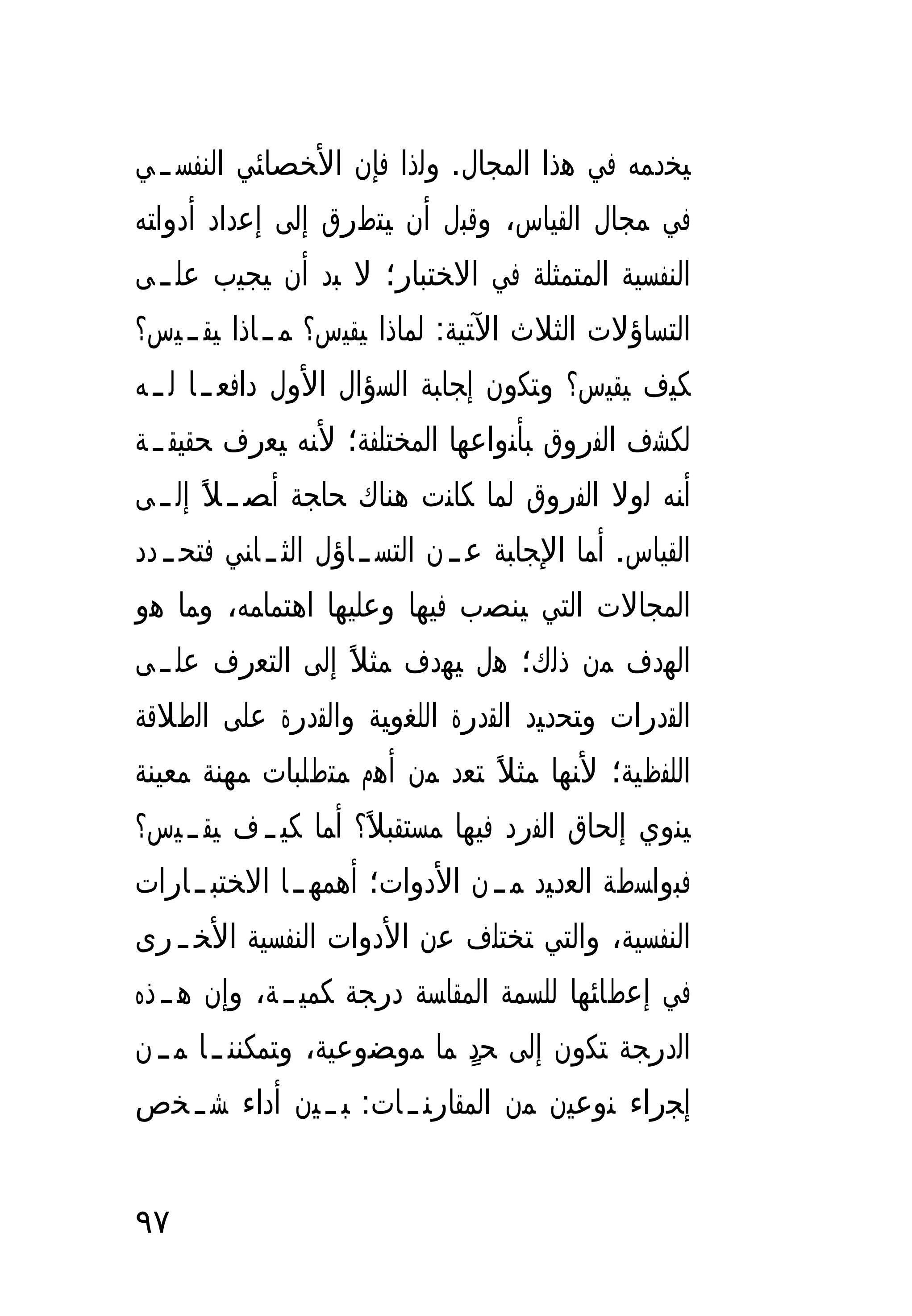
وتهدف إلى جعل نسبة الذكاء الانحرافية لاختبار الـذكاء؛ معادلة لنسبة الذكاء لمقاييس بينية وفقًا للمعادلة التالية.

٣ ـ درجات معيارية معدلة: مثل الدرجة الموزونة في وكسلر بمتوسط فرضي ١٠، وانحراف معياري ٣.

علاقة علم النفس الفارق بالعلوم الأخرى:

لعلم النفس الفارق علاقة بالعديد من فروع علـم الـنفس الأخرى؛ نذكر منها:

١- القياس النفسي: استفاد علم النفس الفارق من القيـاس في البداية، ولم تنقطع هذه الصلة حتى الآن والتفاعل قائم ومستمر بين كلا الفرعين من فروع علم النفس؛ لأن القياس في علم النفس ينهض على ما نادى بـه العالم السلوكي ثورانديك Thorndike، من خـلال مقولته الشهيرة: إذا وجد شيء فإنه يوجد بمقدار، فإذا كان موجودا بمقدار فإنه يمكن قياسه. ولقد كان لهذه المقولة قيمة كبيرة وحافز قوي لنشأة تيـار القيـاس النفسي. وبغض النظر عن الخوض في التفاصيل فإن الحقيقة التي لا تنكر تتمثل في أن الأخصائي النفسي يقوم بما يقوم به الكيميائي في المعمل؛ فهو يختبـر عينة صغيرة من المادة أو المواد واختبارهـا، وقـد يأخذ عينة ثانية، وربما ثالثة أو أكثر؛ بهدف التأكـد من ثبات نتائجـه؛ ذلـك لأن القيمـة التشخيصـية والتنبؤية للاختبار النفسي تعتمد على المـدى الـذي



يخدمه في هذا المجال. ولذا فإن الأخصائي النفسي في مجال القياس، وقبل أن يتطرق إلى إعداد أدواته النفسية المتمثلة في الاختبار؛ لا بد أن يجيب على التساؤلات الثلاث الآتية: لماذا يقيس؟ ماذا يقيس؟ كيف يقيس؟ وتكون إجابة السؤال الأول دافعا له لكشف الفروق بأنواعها المختلفة؛ لأنه يعرف حقيقة أنه لولا الفروق لما كانت هناك حاجة أصلاً إلى القياس. أما الإجابة عن التساؤل الثاني فتحدد المجالات التي ينصب فيها وعليها اهتمامه، وما هو الهدف من ذلك؛ هل يهدف مثلاً إلى التعرف على القدرات وتحديد القدرة اللغوية والقدرة على الطلاقة اللفظية؛ لأنها مثلاً تعد من أهم متطلبات مهنة معينة ينوي إلحاق الفرد فيها مستقبلاً؟ أما كيف يقيس؟ فبواسطة العديد من الأدوات؛ أهمها الاختبارات النفسية، والتي تختلف عن الأدوات النفسية الأخرى في إعطائها للسمة المقاسة درجة كمية، وإن هذه الدرجة تكون إلى حدٍ ما موضوعية، وتمكننا من إجراء نوعين من المقارنات: بين أداء شخص

وشخص آخر، وبين الشخص ونفسـه فـي مـرتين مختلفين، وليس هذا فحسب بل إن الاختبارات تفيـد في العديد من المجالات؛ مثل: الاختيار، التصـنيف، وتساهم أيضا في حل العديد من المشاكل العملية في علم النفس؛ مثل: قياس الفروق الفرديـة، والتوحـد بالسمات النفسية، وقياس الفروق الجماعية، وبحـث العوامل البيولوجية والثقافية وارتباطهمـا بـالفروق السـلوكية (Anasttasia a ،١٩٨٧ ؛ محمـد عبـد السلام أحمد؛ ب. ت/ سـيد محمـد عبـد العـال، ١٩٨٧).

٢- علم النفس التجريبي: يؤرخ لبداية علم النفس بإنشاء فوندنت لمعمله في جامعة ليبزج بألمانيا عام ١٨٧٩؛ حيث دارت كل التجارب آنذاك حول قياس الفـروق فيما يتعلق بالمثيرات الحسية والبصرية والسـمعية، من خلال التركيز على زمن الرجع، وقد امتد تـأثير فوندنت على تلاميذه، والذين انتشروا فـي أمـاكن كثيرة من العالم، مؤسسين هذا الفرع الهام من فروع علم النفس، والذي كان هدفه آنذاك يتمثل في:

- تحليل الخبرة الذاتية إلى عناصرها الأساسية، مثاله في ذلك مثل تحليل المواد الكيميائية إلى عناصرها الأولية.
- اكتشاف تركيب هذه العناصر مع بعضها البعض، وتحديد القوانين التي تتحكم في هذا التركيب أو البناء.

ومن هنا فإن هذا المذهب يسمى عند فوندنت بالمذهب البنائي، لكن الشيء المؤكد أنه قد جاءت العديد من المدارس الأخرى كاحتجاج على هذه النظرة (مثل مدرسة الجشطلت، والمدرسة الوظيفية، والمدرسة السلوكية، والتحليلة النفسية، وغيرهم)، لكن الشيء المؤكد أيضا أن علم النفس التجريبي قد نبع وترعرع في ألمانيا

ويرجع ذلك إلى عدة أسباب؛ يجملها أحمد خيري في:

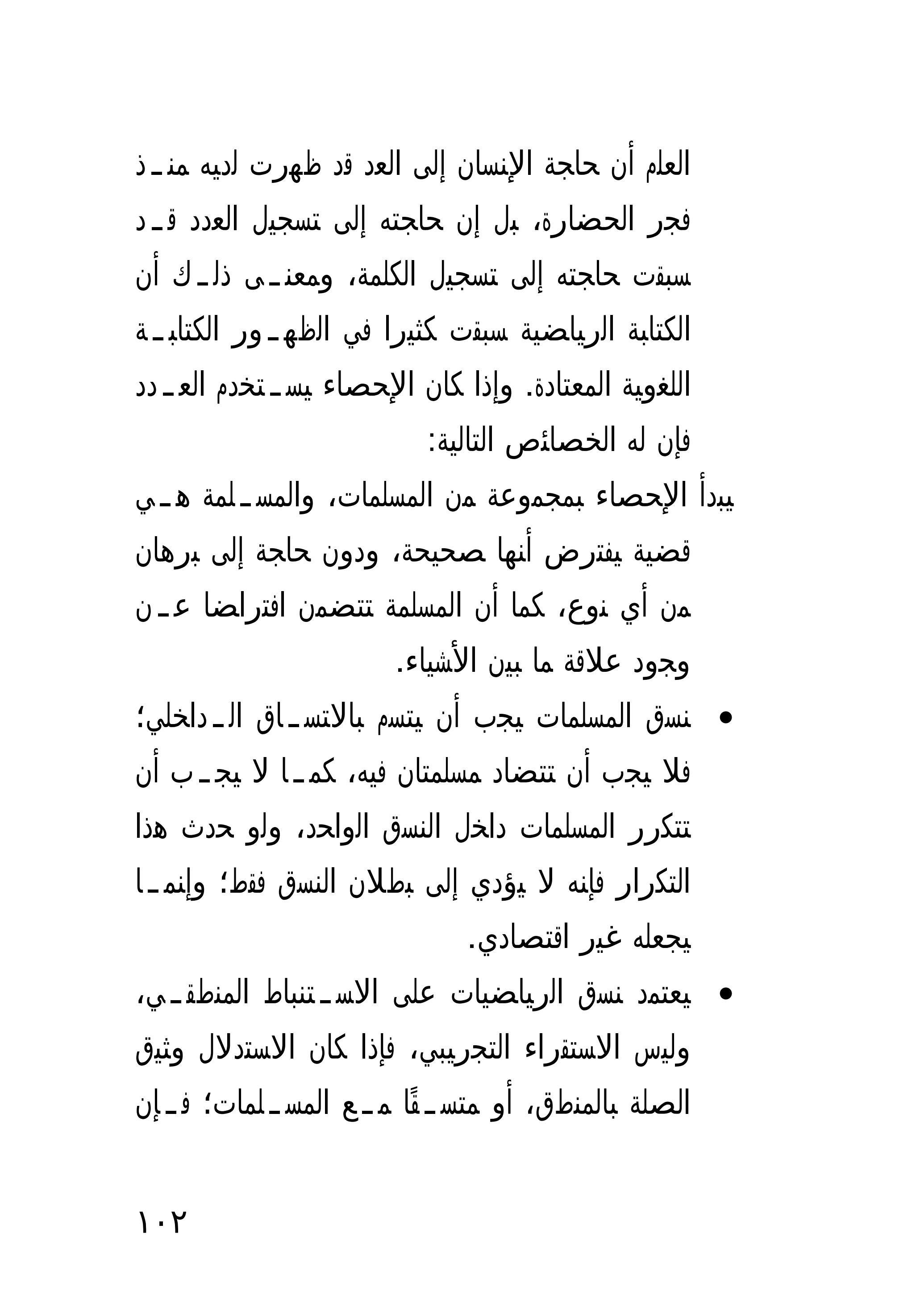
- أن الاتجاه الذي كان يسود ألمانيا في ذلك الوقت هو الاتجاه التجريبي.
- أدى هذا الاتجاه إلى الاهتمام بدراسة علم الحيوان وعلم الأحياء وعلم وظائف الأعضاء.

- رغم تشكك التفكير الإنجليزي والفرنسي في إمكانية دراسة العقل الإنساني بهـذه الصـورة التجزيئيـة، إلا أن العلماء الألمان قد رأوا إمكانية ذلـك، ومـن خلال التجريب واسـتخدام العديـد مـن المثيـرات والأدوات العلمية (أحمد خيري حافظ، ١٩٨٨).

ولقد استفاد علم النفس الفارق من علم النفس التجريبـي في هذا المجال؛ لأن التجريب باختصار معناه أننا نفتـرض فروضا معينة تكمن خلف حدوث ظاهرة مـا، وهنـا نقـوم باختبار وتجريب كل فرض للتأكد من مدى تأثره وتأثيره في الظاهرة المراد دراستها. وبما أننا في كل فرض نصل إلـى معلومات معينة، ومن خلال وزن قيمة هذه المعلومات فإننـا نتوصــل إلــى حقيقــة مــدى اخــتلاف الأفــراد فــي ظاهرة ما، وبصورة تجريبية؛ لأن منهجية العمل الذي يقـوم به الباحث التجريبي تتلخص في عدد من الخطوات؛ أهمهـا مرحلة ما قبل التجربة، ثم مرحلة التجربة، ثم مرحلة ما بعد التجربة (راجع في هذا الصدد على سـبيل المثـال: فتحـي الشرقاوي، محمد سمير عبد الفتاح، ١٩٩١).

٣- **مناهج البحث:** وهي فرع من فروع العلـم تـنهض على التأكد من فهم الباحث لخطوات البحث العلمي، إضافة إلى إرشاده بالعديد مـن الاجتهـادات كلمـا واجهته مشكلة. ويستفيد علم النفس الفارق من مناهج البحث في العديد من الأمور؛ حيث إن أي بحث لا بد أن يكون له مشكلة معينة، والإحساس بالمشكلة يأتي من مصادر متعددة؛ أهمها: وجود إحصاءات تشـير إلى زيادة واستفحال ظاهرة ما في المجتمـع، وفـي فترة زمنية محددة؛ مما قد يكون دافعا للباحث لاتخاذ هذه المشكلة موضوعا لدراسته. وهكذا الحـال فـي باقي خطوات المنهج العلمي المعروفة؛ مـن طـرق اختيار العينة، وإجراءات تقنـين الأدوات، وتحليـل البيانات التي تم الحصول عليها، ثم تفسير النتائج في ضوء العديد من الاعتبارات، ومراعاة بعد أو أبعـاد الفروق الفردية.

٤- الإحصاء: لعب الإحصاء دورا جد هام في تقدم علم النفس الفارق، وفي نفس الوقت استفاد الإحصاء من علم النفس الفارق. ويرى بعض المؤرخين لمسـيرة



العلم أن حاجة الإنسان إلى العد قد ظهرت لديه منذ فجر الحضارة، بل إن حاجته إلى تسجيل العدد قد سبقت حاجته إلى تسجيل الكلمة، ومعنى ذلك أن الكتابة الرياضية سبقت كثيرا في الظهور الكتابة اللغوية المعتادة. وإذا كان الإحصاء يستخدم العدد فإن له الخصائص التالية:

- يبدأ الإحصاء بمجموعة من المسلمات، والمسلمة هي قضية يفترض أنها صحيحة، ودون حاجة إلى برهان من أي نوع، كما أن المسلمة تتضمن افتراضا عن وجود علاقة ما بين الأشياء.
- نسق المسلمات يجب أن يتسم بالاتساق الداخلي؛ فلا يجب أن تتضاد مسلمتان فيه، كما لا يجب أن تتكرر المسلمات داخل النسق الواحد، ولو حدث هذا التكرار فإنه لا يؤدي إلى بطلان النسق فقط؛ وإنما يجعله غير اقتصادي.
- يعتمد نسق الرياضيات على الاستنباط المنطقي، وليس الاستقراء التجريبي، فإذا كان الاستدلال وثيق الصلة بالمنطق، أو متسقًا مع المسلمات؛ فإن

النظريات تصبح صحيحة بسبب التسليم بصحة المسلمات.

- صدق الاستنتاجات في النظام الرياضي ليس صدقًا تجريبيا؛ وإنما هو صدق منطقي.
- لا تتضمن المسلمات أو النظريات الرياضية أي إشارة إلى عالم الملاحظة، إلا أننا يجب حين نطبق النموذج الرياضي على أي جانب من جوانب الظواهر التي تتناولها العلوم التجريبية والأمبيريقية؛ فإنه يجب اختبار هذا التطبيق تجريبيا (فؤاد أبو حطب، آمال صادق، ١٩٩١، ص ص ٥: ١٨)، لكن لو تركنا العام وركزنا على الخاص من خلال هذا السؤال: لماذا يدرس النفسيون الإحصاء؟ يدرسونه لأنه يحقق لهم الآتي:
- الإحصاء يفيد في إمكانية تعميم النتائج من خلال مجموعة ما.

دراسة الطرق التي يختلف فيها الأفراد بعضهم عن بعض.

إمكانية التنبؤ بسلوك جماعة ما، وفي موقف ما.

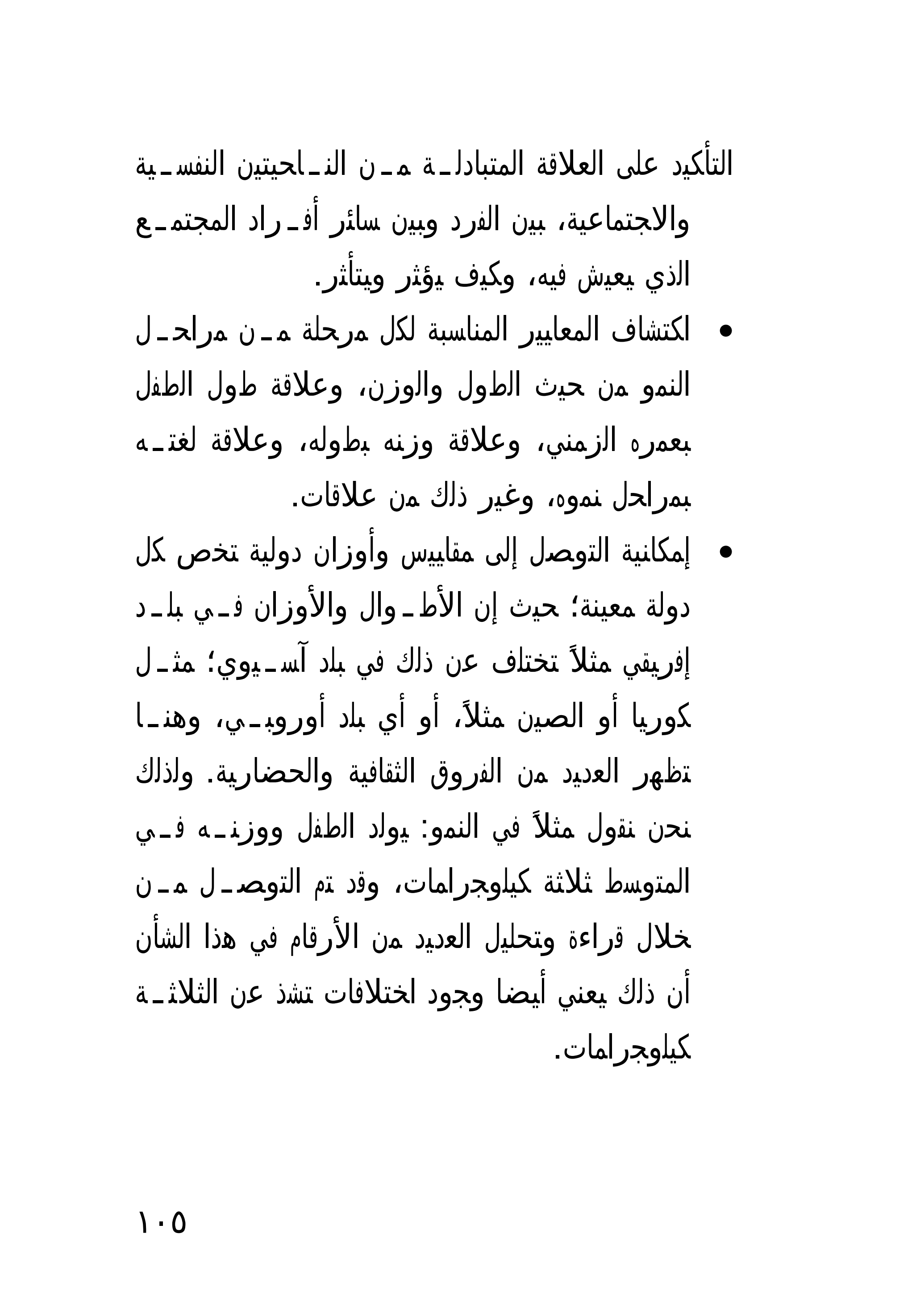
يفيد الإحصاء في التحليل والتفسير للنتائج.

تتنوع الطرق الإحصائية بتنوع الأهداف التي يرمي إليها الباحث من خلال دراسته لجماعة ما. (محمـد عبـد القادر الغفار، ١٩٨٥، ص ص ٢٣: ٦٩). وهكـذا يتضح أن الإحصاء يعطينا رقما، وهذا الـرقم يفيـد في: المقارنة، والتحليـل، والاسـتنتاج، والدلالـة، ودرجة الدلالة، وهل هي دالة أم غير ذلك.

٥- **علم نفس النمو:** وهو فرع من فـروع علـم الـنفس، يفيد ويستفيد من علم النفس الفارق؛ لأن علـم نفـس النمـو يهدف إلى:

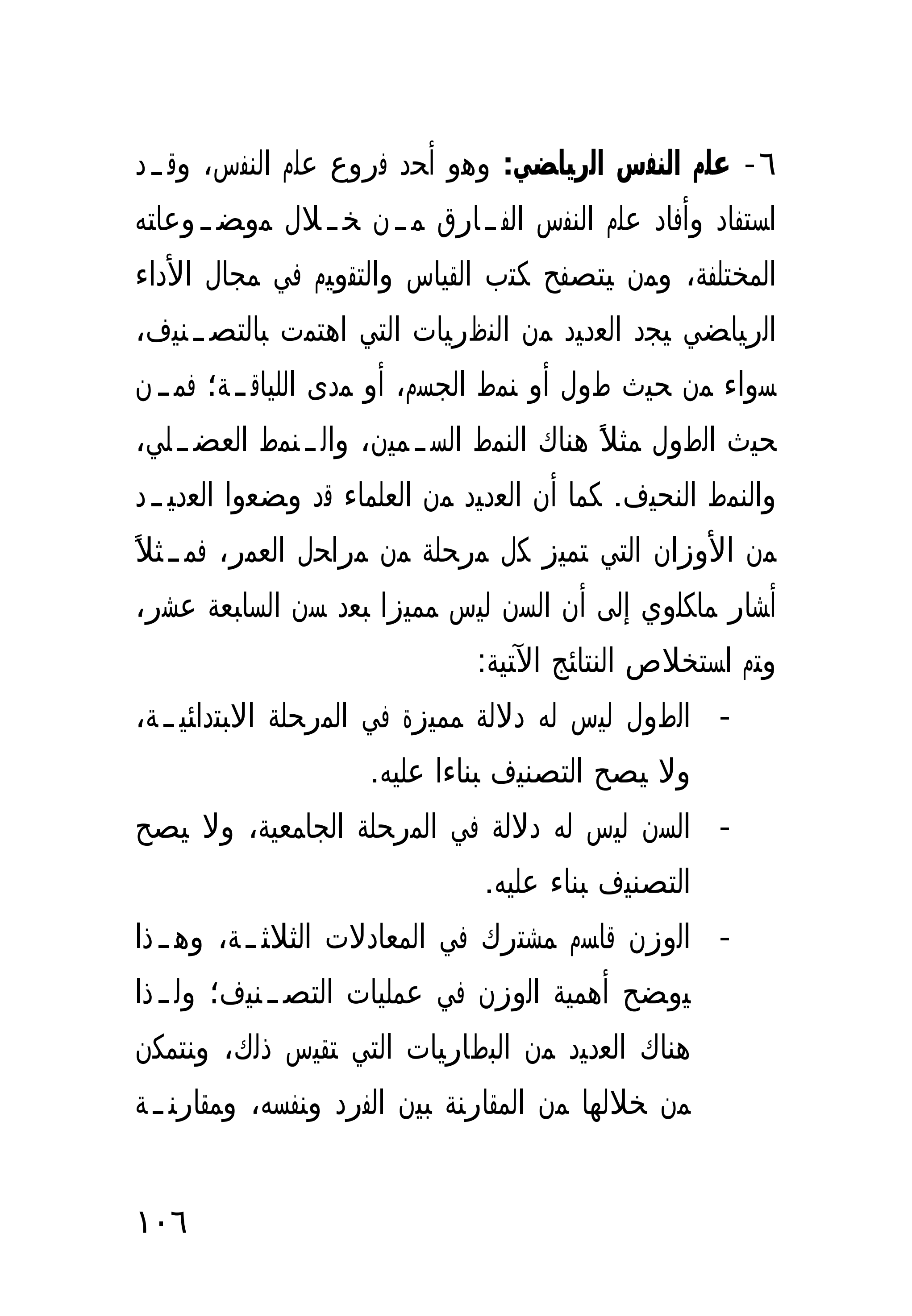
معرفة مراحل النمو والنضج التـي يمـر بهـا الفـرد، ودراسة تأثير العوامل المؤثرة فيه، وكيـف يحـدث التطور.

معرفة التأثيرات البيئية المختلفة فـي التطـور، والتـي تستهدف الوقوف بصورة موضـوعية علـى هـذه التأثيرات، ومعرفة كمها.



التأكيد على العلاقة المتبادلة من الناحيتين النفسية والاجتماعية، بين الفرد وبين سائر أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، وكيف يؤثر ويتأثر.

- اكتشاف المعايير المناسبة لكل مرحلة من مراحل النمو من حيث الطول والوزن، وعلاقة طول الطفل بعمره الزمني، وعلاقة وزنه بطوله، وعلاقة لغته بمراحل نموه، وغير ذلك من علاقات.
- إمكانية التوصل إلى مقاييس وأوزان دولية تخص كل دولة معينة؛ حيث إن الأطوال والأوزان في بلد إفريقي مثلاً تختلف عن ذلك في بلد آسيوي؛ مثل كوريا أو الصين مثلاً، أو أي بلد أوروبي، وهنا تظهر العديد من الفروق الثقافية والحضارية. ولذلك نحن نقول مثلاً في النمو: يولد الطفل ووزنه في المتوسط ثلاثة كيلوجرامات، وقد تم التوصل من خلال قراءة وتحليل العديد من الأرقام في هذا الشأن أن ذلك يعني أيضا وجود اختلافات تشذ عن الثلاثة كيلوجرامات.

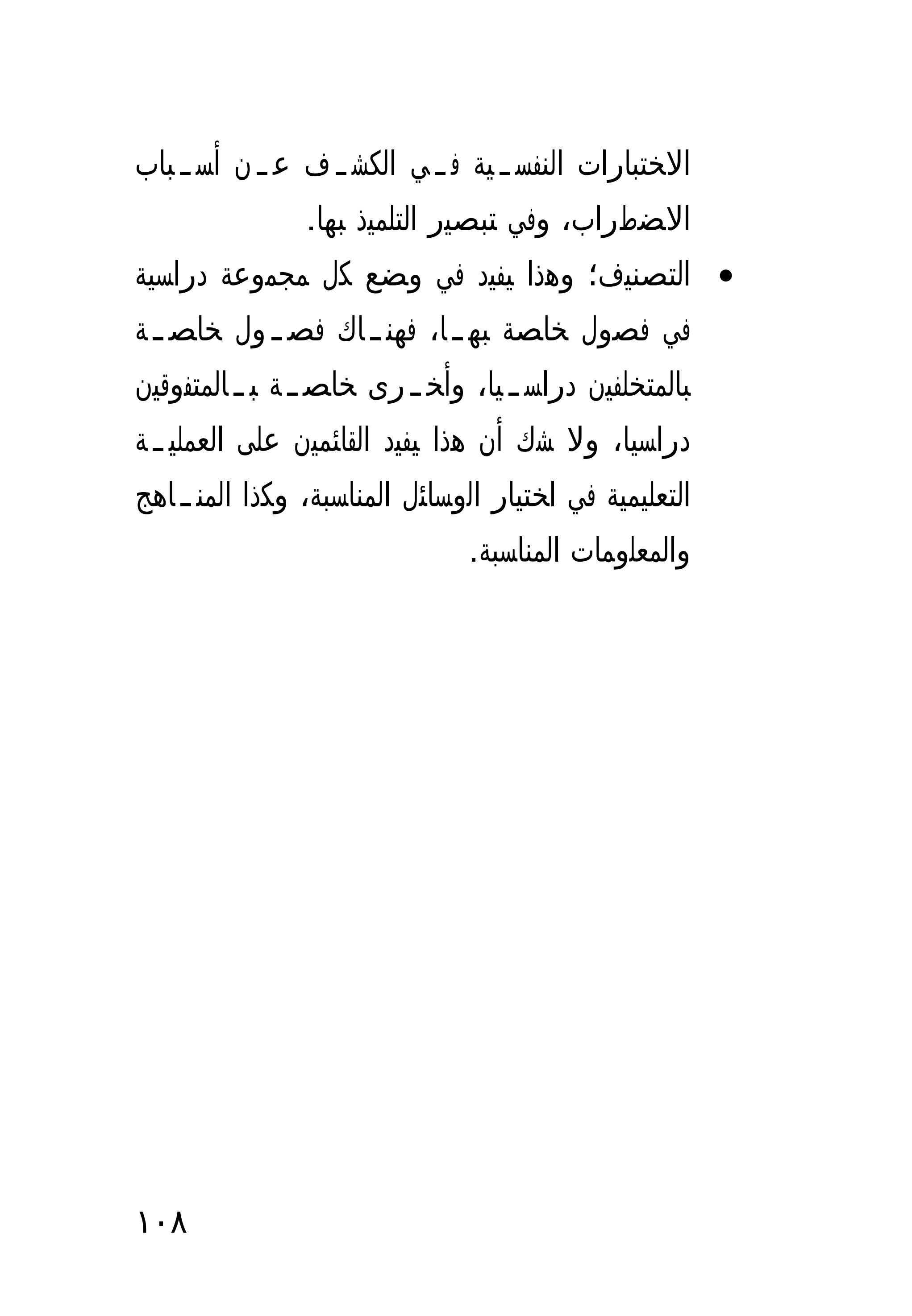

٦- **علم النفس الرياضي:** وهو أحد فروع علم النفس، وقـد استفاد وأفاد علم النفس الفـارق مـن خـلال موضـوعاته المختلفة، ومن يتصفح كتب القياس والتقويم في مجال الأداء الرياضي يجد العديد من النظريات التي اهتمت بالتصـنيف، سواء من حيث طول أو نمط الجسم، أو مدى اللياقـة؛ فمـن حيث الطول مثلاً هناك النمط السـمين، والـنمط العضـلي، والنمط النحيف. كما أن العديد من العلماء قد وضعوا العديـد من الأوزان التي تميز كل مرحلة من مراحل العمر، فمـثلاً أشار ماكلوي إلى أن السن ليس مميزا بعد سن السابعة عشر، وتم استخلاص النتائج الآتية:

- الطول ليس له دلالة مميزة في المرحلة الابتدائيـة، ولا يصح التصنيف بناءا عليه.
- السن ليس له دلالة في المرحلة الجامعية، ولا يصح التصنيف بناء عليه.
- الوزن قاسم مشترك في المعادلات الثلاثـة، وهـذا يوضح أهمية الوزن في عمليات التصـنيف؛ ولـذا هناك العديد من البطاريات التي تقيس ذلك، ونتمكن من خلالها من المقارنة بين الفرد ونفسه، ومقارنـة

شخص بآخر (محمد صبحي حسـانين، ج ١، ج ٢، ١٩٧١، ١٩٧٩).

- علم النفس التربوي: وهو فرع من فروع علم النفس أفاد واستفاد من علم النفس الفارق، ويمكن الاستفادة منه في المجالات الآتية:

- التعرف على الطلاب المتخلفين دراسيا، وهل هذا التخاف عـ ـام (أي فـ ـي جميـ ـع المـ ـواد الدراسـ ـية)، أم تخاف نـ ـوعي (أي فـ ـي مـ ـادة أو مـ ـادتين وفقـ ـط)، ولا شك أن نظرة سريعة إلى الدرجات التي حصل عليها الطالب في مواد عام دراسي كامل؛ كفيلة بتوضيح مثـ ـل هذه الأمور.
- الاختبار التربوي، من خلال تطبيق مجموعـ ـة مـ ـن الاختبارات النفسية على الطالب، وهذا لا شك مفيـ ـد في التعرف على إمكانيات الطالب، وتوجيهـ ـه إلـ ـى نوع الدراسة، والذي يتفق مع إمكانياته.
- الإرشاد التربوي، وهنا يكون التلميذ في حاجة إلـ ـى حل مشكلاته المتعلقة بالدراسة والمدرسة، وهنا تفيد



الاختبارات النفسـية فـي الكشـف عـن أسـباب الاضطراب، وفي تبصير التلميذ بها.

- التصنيف؛ وهذا يفيد في وضع كل مجموعة دراسية في فصول خاصة بهـا، فهنـاك فصـول خاصـة بالمتخلفين دراسـيا، وأخـرى خاصـة بـالمتفوقين دراسيا، ولا شك أن هذا يفيد القائمين على العمليـة التعليمية في اختيار الوسائل المناسبة، وكذا المنـاهج والمعلومات المناسبة.

الفصل الثالث

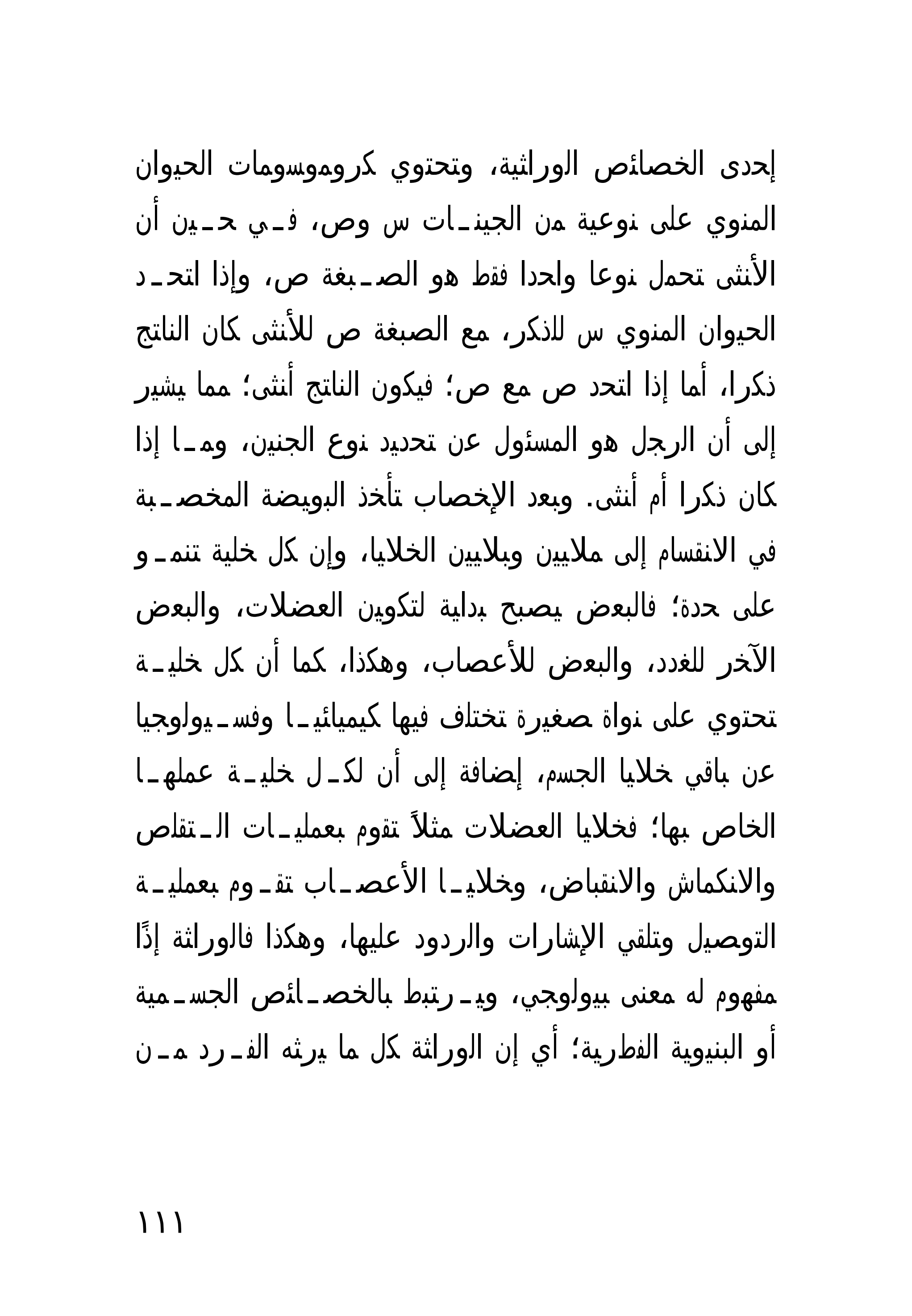
الفروق الفردية والوراثة والبيئة

تتعدد العوامل التي تكمن خلف نشأة الفـروق الفرديـة، سواء داخل الفرد، أو بين الفرد والآخرين، أو بين الجماعات بعضهم ببعض.

ولعل أهم هذه العوامل:

أولاً- الوراثة:

تبدأ الحياة في رحم الأم بإخصاب بويضـة أنثويـة مـن حيوان منوي ذكر؛ علما بأن البويضة وكذا الحيوان المنـوي يكونان خليتين ناقصتين قبل الإخصاب، ويكون اتحادهم فـي عملية الإخصاب بمثابة تكميل كل واحد منهما الآخر؛ فالخلية الحية الكاملة تتكون من نواة Nucleus، ومن حولها توجـد مادة هلامية تسمى بالسـيتوبلازم؛ إذ داخـل النـواة نجـد ما يسمى بالجينات (الكروموسومات)، والتي تحمـل الخليـة الواحدة منهـا التـي تبـدأ بهـا الحيـاة ٢٤ زوجـا مـن الكروموسومات؛ بعضها من الأب، وبعضها من الأم، وأيضا ٢٤ كروموسـوما مجموعهـا ٤٨ كرموسـوما، وتحمـل الخصيات تكوينات كيميائية معقدة تسمى بالمورثات Genes، وعددها يكون بالآلاف في كل خصية، وتحمل كل واحدة فيها


إحدى الخصائص الوراثية، وتحتوي كروموسومات الحيوان المنوي على نوعية من الجينـات س وص، فـي حـين أن الأنثى تحمل نوعا واحدا فقط هو الصـبغة ص، وإذا اتحـد الحيوان المنوي س للذكر، مع الصبغة ص للأنثى كان الناتج ذكرا، أما إذا اتحد ص مع ص؛ فيكون الناتج أنثى؛ مما يشير إلى أن الرجل هو المسئول عن تحديد نوع الجنين، ومـا إذا كان ذكرا أم أنثى. وبعد الإخصاب تأخذ البويضة المخصـبة في الانقسام إلى ملايين وبلايين الخلايا، وإن كل خلية تنمـو على حدة؛ فالبعض يصبح بداية لتكوين العضلات، والبعض الآخر للغدد، والبعض للأعصاب، وهكذا، كما أن كل خليـة تحتوي على نواة صغيرة تختلف فيها كيميائيـا وفسـيولوجيا عن باقي خلايا الجسم، إضافة إلى أن لكـل خليـة عملهـا الخاص بها؛ فخلايا العضلات مثلاً تقوم بعمليـات الـتقاص والانكماش والانقباض، وخلايـا الأعصـاب تقـوم بعمليـة التوصيل وتلقي الإشارات والردود عليها، وهكذا فالوراثة إذًا مفهوم له معنى بيولوجي، ويـرتبط بالخصـائص الجسـمية أو البنيوية الفطرية؛ أي إن الوراثة كل ما يرثه الفـرد مـن

والديه وأجداده من صفات؛ مثل: لـون الشـعر والبشـرة، والطول، والذكاء، وما إلى ذلك.

ولكن هل الصفات المكتسبة تورث؟ في الحقيقة لقد اقترح "لا مارك" هذا الاقتـراح، إلا أن هـذا الغـرض لـم يجـد ما يدعمه، سواء من نتائج البحوث التجريبية فـي الوراثـة، أو في بيانات علم الأجنة، وربما نتج ذلك من الخلـط بـين الصفات الوراثية والسلوك. صحيح أن الوراثـة تـؤثر فـي السلوك، ولكنها ليست العامل الوحيد في ذلك.

كيفية اكتساب الصفات الوراثية:

لقد أمكن من دراسات منـدل Mendel وضـع قـوانين للوراثة؛ إذ إن وجود صفات معينـة فـي موروثـات الأم، وأخرى في موروثات الأب؛ تؤدي إلى اكتساب الجنين تلـك الخصائص حسب قوانين ثابتة، فقدر ما يكـون الأب أشـقر والأم سمراء، فإن احتمالات ميلاد أطفال لهـم ذوي بشـرة سمراء أو شقراء تتوقف على وجود سـيادة لخاصـية مـن الخاصيتين على الأخرى، مع احتمال الصفة الثانية في الجيل الثاني، فبعض الموروثات تكون مسيطرة Dominant فـي جيل، ثم تصبح بعد ذلك متنحية في جيـل آخـر، وتوجـد

بصورة كامنة، وهكذا بمعنى آخر: إن هذه الخصائص البدنية والإمكانيات الجسمية العديدة تتنقل من جيل لآخـر فتكـون مسيطرة على جيل لتكمن في جيل ثانٍ، وهكذا تكون النتيجة أن يولد أطفال لا يحملون من صفات والديهم الكثير، بينمـا يحملون صفات أجداد لهم، أو آبـاء أجـدادهم (سـواء الأم أو الأب). ويذكرني ذلك بحديث الرسول ﷺ: "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس"؛ أي إن ما يرثه الشخص لا يتوقف علـى ما يرثه من الأم أو الأب فقط، ولكن الآباء والأجـداد لكـلا الأبوين يساهمان بدورهما في ذلك.

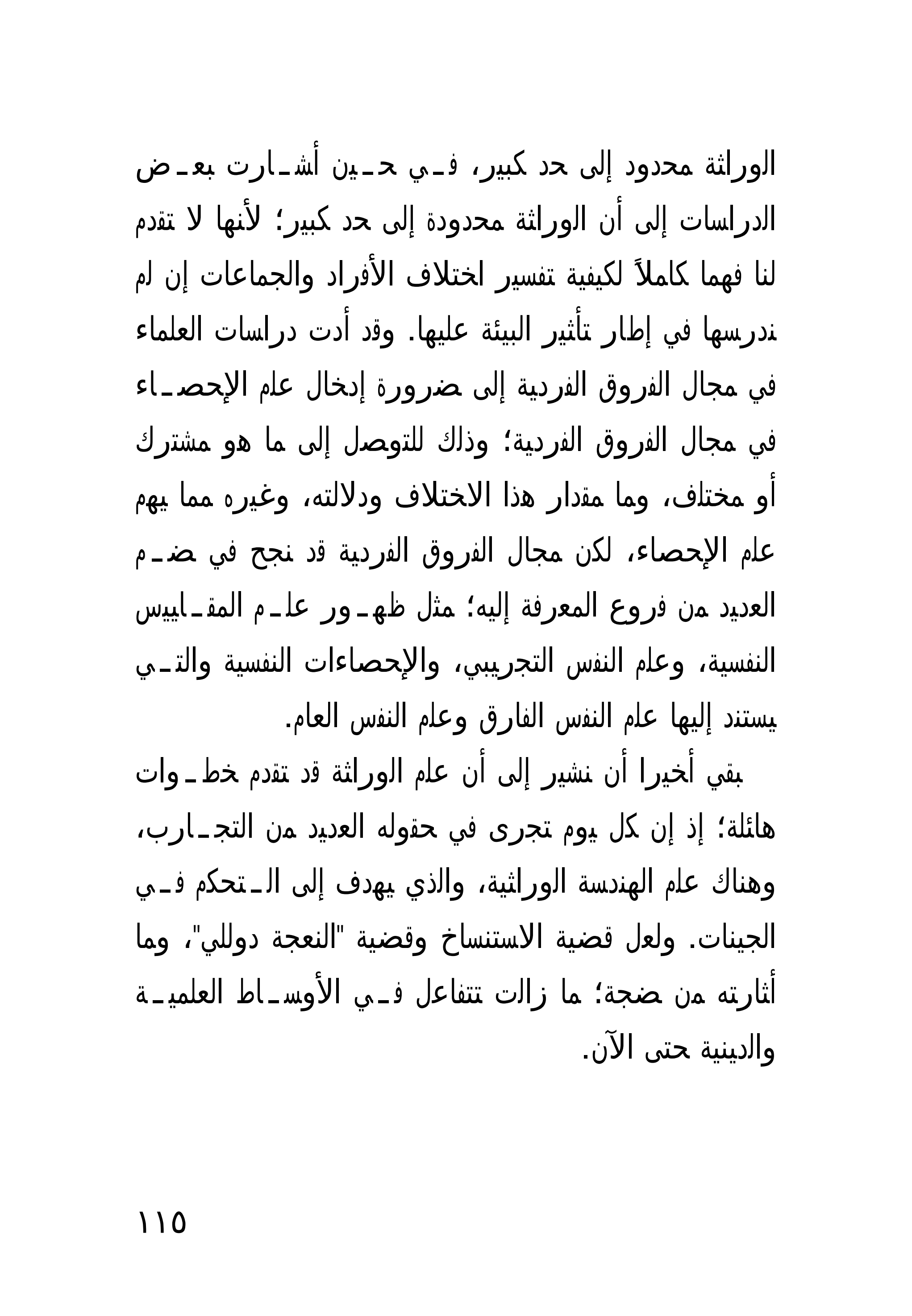
وحسب قوانين الوراثة؛ يكتسـب الإنسـان منـذ لحظـة الإخصاب خصائصه البدنية، وطاقـات جهـازه العصـبي وجهازه الغدي، وبعد تلقيح البويضة تأخذ الخلية الجديدة فـي الانقسام والتكاثر للتماثل إلى ثـلاث طبقـات أساسـية مـن الخلايا؛ من النسيج الخارجي، والنسيج الوسـيط، والنسـيج الداخلي، أو يصبح كل نسيج من هذه الأنسجة مسئولاً عـن تكوين أجزاء معينة من الجسم (كما سبق وأشرنا).

علما بأنه أثناء الإخصاب قد يؤدي انقسـام الخليـة إلـى تكوين خليتين منفصلتين تماما في كل خصائصهما الوراثية،

وتنمو كل خلية من الاثنتين جنينًا مستقلاً يطابق الجنين الآخر كل المطابقة، ويطلق على هذا النوع من التوائم اسم التـوائم المتطابقة Injentical twins؛ هذه التوائم تتساوى في جميع صفاتها لأنها أصلاً من بويضة واحدة، ومن حيوان منـوي واحد؛ لذلك تكون الصفات المشتركة بينهمـا نـاتج لعامـل الوراثة.

ولكن في أحوال أخرى قد تفرز المرأة في فتـرة تقبلهـا الحمل بويضتين أو أكثر قابلة للإخصاب، وفي هذه الحالـة تلقح كل بويضة منهما بحيوان منوي مختلف في صفاته عن الآخر، وتنمو كل خلية منهما مستقلة لتكون جنينًا مختلفًا عن الآخر، ويطلق على هذا النوع التوائم المتآخيـة؛ إذ إن كـل توأم منهما يشبه الآخر تشابه الإخوة بعضها لبعض.

ولعل كل هذه الأشياء قد اقتضت العديد من التجارب التي أجريت بين الأشقاء، وكذا التوائم المتطابقة أو الأخوية؛ فـي محاولة للتعرف على أثر الوراثة والبيئة علـى كـل منهـا. ولا شك أن هذه التجارب قد أدت إلى بلورة علـم الـنفس الفارق، على أساس أن التفاعل بين الوراثة والبيئة هام جدا؛ إذ بينت التجارب والملاحظات أن قدرة البيئة علـى تغييـر



الوراثة محدود إلى حد كبير، في حين أشارت بعض الدراسات إلى أن الوراثة محدودة إلى حد كبير؛ لأنها لا تقدم لنا فهما كاملاً لكيفية تفسير اختلاف الأفراد والجماعات إن لم ندرسها في إطار تأثير البيئة عليها. وقد أدت دراسات العلماء في مجال الفروق الفردية إلى ضرورة إدخال علم الإحصاء في مجال الفروق الفردية؛ وذلك للتوصل إلى ما هو مشترك أو مختلف، وما مقدار هذا الاختلاف ودلالته، وغيره مما يهم علم الإحصاء، لكن مجال الفروق الفردية قد نجح في ضم العديد من فروع المعرفة إليه؛ مثل ظهور علم المقاييس النفسية، وعلم النفس التجريبي، والإحصاءات النفسية والتي يستند إليها علم النفس الفارق وعلم النفس العام.

بقي أخيرا أن نشير إلى أن علم الوراثة قد تقدم خطوات هائلة؛ إذ إن كل يوم تجرى في حقوله العديد من التجارب، وهناك علم الهندسة الوراثية، والذي يهدف إلى التحكم في الجينات. ولعل قضية الاستنساخ وقضية "النعجة دوللي"، وما أثارته من ضجة؛ ما زالت تتفاعل في الأوساط العلمية والدينية حتى الآن.

ثانيا- البيئة:

يقصد بالبيئة كافة الظروف التي تحيط بالفرد في عالمـه، ولكن من الخطأ الاقتصار على البيئة الخارجية، ولكن المتفق عليه بين العلماء تقسيم البيئة إلى:

أولاً- بيئة ما قبل الميلاد أو الولادة.

ثانيا- بيئة ما بعد الميلاد أو الولادة.

وتنقسم بيئة ما قبل الميلاد إلى ثلاثة أقسام هي:

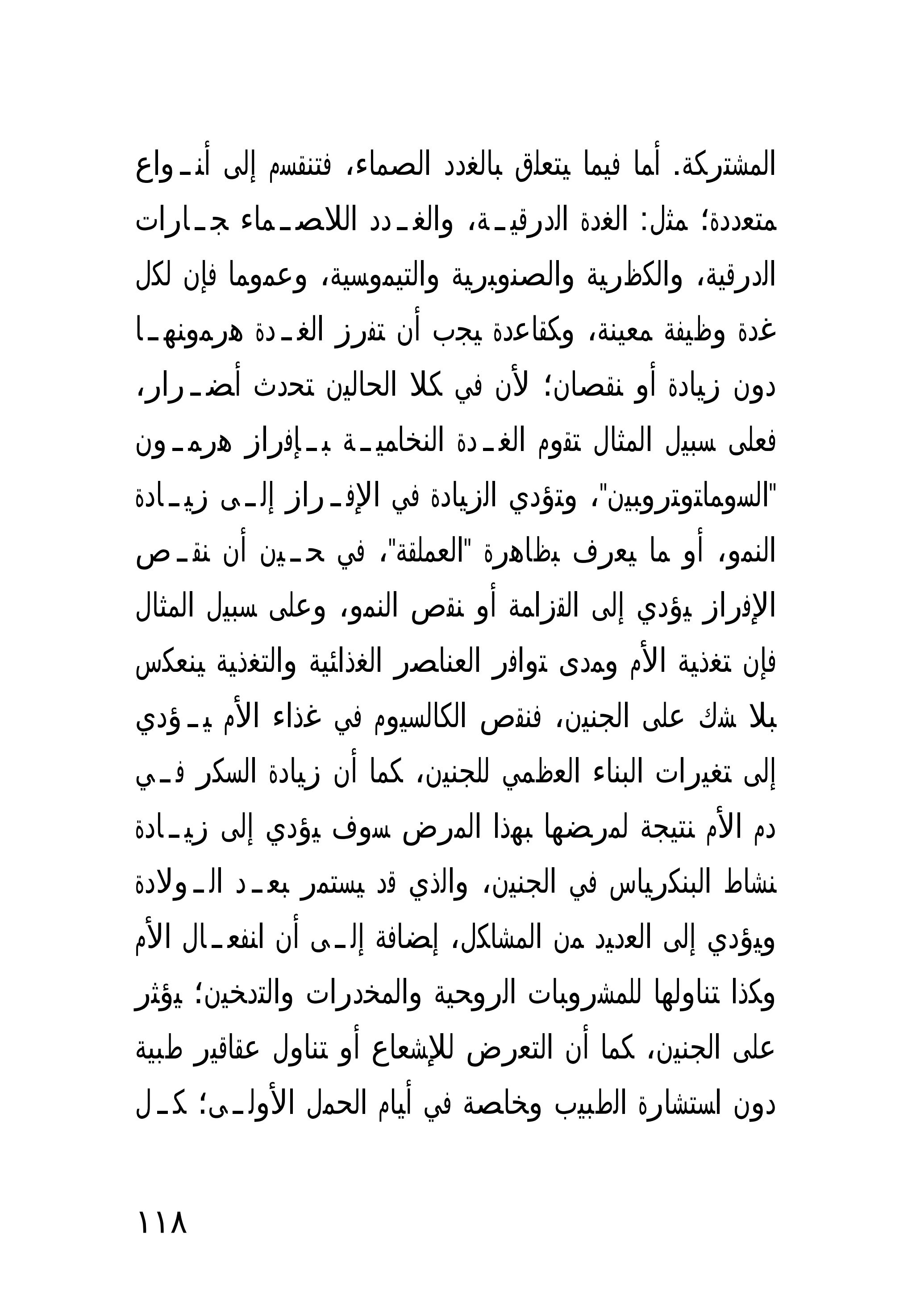
أولاً- البيئة الداخلية للخلية:

يعد السيتوبلازم المحيط بنواة الخلية بيئة ذات تأثير هـام؛ ففي بعض التجـارب علـى الحيوانـات أمكـن اسـتبدال السيتوبلازم بآخر، فكانت النتيجة خلـق أجنـة مـن أنـواع مختلفة، وقد مكنت العديد من الدراسات المماثلة من اكتشاف أن التفاعل بين النواة والسيتوبلازم هـو الـذي يحـدد لهـا وظيفتها، بل أوضحت الدراسات الحديثة أن أي تـدخل فـي تركيب الخلية أو الصفات أمر ممكـن، وكفيـل بـأن يقـدم للمعرفة نفعا لا نعرف له حدودا، من خلال علـم الهندسـة الوراثية، والذي يعنى بتعديل بعض الموروثات.

بعد أن تنقسم الخلية إلى خلايا مماثلـة أو مطابقـة لهـا؛ تصبح تلك الوحدة البيئة الخارجية، وتأثيرها الكيميائي يكون هاما جدا. كما أن البناء الفعلـي للخلايـا يتحـدد بعلاقاتهـا بالخلايا المجاورة، إضافة إلى أنه عندما يتكون جهاز الغـدد في الجنين، وتبدأ في فرز هرموناتها في دم الجنين بالزيـادة أو النقصان؛ تنتج عن ذلك بعض التشويهات الجنينيـة، فـي عمل الدم بمكوناته الأخرى كبيئة خارجية للخلايـا؛ فـنقص بعض العناصر في الدم الواصل للجنين عـن طريـق الأم، أو وجود بعض الكيماويات الضارة؛ لا شك يؤثر فـي نمـو الجنين تأثيرا سلبيا.

جـ ـ البيئة الرحمية:

يقضي الجنين في رحم الأم طوال فترة حمله متصلاً بهـا عن طريق الحبل السري، ومحاطًا بالسائل الرحمي، ولا شك أن ما تتعرض له الأم من عوامل يؤثر في الجنـين، كـذلك يجب أن نشير إلى أنه يوجد داخل جسم كل إنسـان ثـلاث أنواع من الغدد: الغدد الصـماء، أو اللاقنويـة، ثـم الغـدد



المشتركة. أما فيما يتعلق بالغدد الصماء، فتنقسم إلى أنواع متعددة؛ مثل: الغدة الدرقية، والغدد اللاصماء جارات الدرقية، والكظرية والصنوبرية والتيموسية، وعموما فإن لكل غدة وظيفة معينة، وكقاعدة يجب أن تفرز الغدة هرمونها دون زيادة أو نقصان؛ لأن في كلا الحالين تحدث أضرار، فعلى سبيل المثال تقوم الغدة النخامية بإفراز هرمون "السوماتوتروبين"، وتؤدي الزيادة في الإفراز إلى زيادة النمو، أو ما يعرف بظاهرة "العملقة"، في حين أن نقص الإفراز يؤدي إلى القزامة أو نقص النمو، وعلى سبيل المثال فإن تغذية الأم ومدى توافر العناصر الغذائية والتغذية ينعكس بلا شك على الجنين، فنقص الكالسيوم في غذاء الأم يؤدي إلى تغيرات البناء العظمي للجنين، كما أن زيادة السكر في دم الأم نتيجة لمرضها بهذا المرض سوف يؤدي إلى زيادة نشاط البنكرياس في الجنين، والذي قد يستمر بعد الولادة ويؤدي إلى العديد من المشاكل، إضافة إلى أن انفعال الأم وكذا تناولها للمشروبات الروحية والمخدرات والتدخين؛ يؤثر على الجنين، كما أن التعرض للإشعاع أو تناول عقاقير طبية دون استشارة الطبيب وخاصة في أيام الحمل الأولى؛ كل

هذه العوامل ولا شك تؤثر في نمو الجنين، كما أن التعرض للإشعاع أو تناول عقاقير طبية دون استشارة الطبيب وخاصة في أيام الحمل الأولى؛ كل هذه العوامل لا شك تؤثر في نمو الجنين سلبيا أو إيجابيا.

ثانيا- بيئة ما بعد الولادة:

أن يولد الطفل معناه أن عوامل الوراثة قـد أخـذت فـي الاستقرار، لكن العلماء يقسمون البيئة الخارجيـة (مـا بعـد الولادة) إلى ثلاثة أنواع هي:

أ ـ بيئة طبيعية:

وتشمل كافة الظروف المحيطة بـالفرد؛ مـن حـرارة، ورطوبة، وإمكانيات غذائية وجغرافية. وإن هذه الظـروف تؤثر في الأفراد تأثيرات مختلفة؛ فزيادة الحـرارة تكسـب الجسم خصائص معينة، وهكذا، وقـس علـى ذلـك بـاقي الخصائص.

ب ـ بيئة اجتماعية:

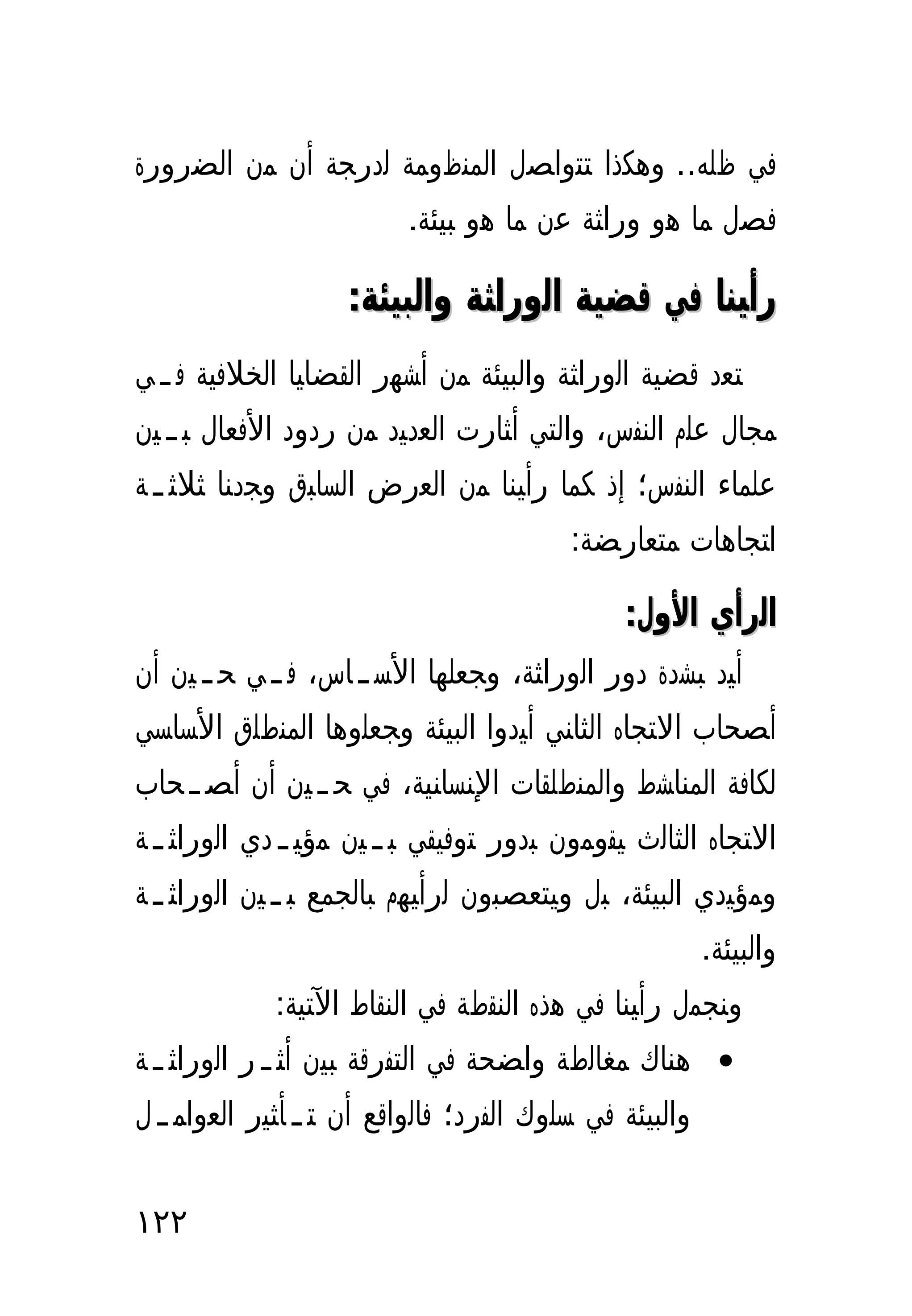
أي فرد لا بد أن ينشـأ فـي مجتمـع.. هـذا المجتمـع له - لا شك - عاداته وتقاليده، ونسق القيم الخاصة به؛ ولذا فإن الفرد يتأثر من خلال عمليات التنسيق الاجتماعية، والتي تنهض بها مؤسسات المجتمع المختلفة به؛ من الأسـرة، ثـم المدرسة، والمؤسسات الدينية والثقافية والإعلاميـة.. إلـخ، والتي - لا شك - تنشئ فردا مماثلاً لما هو سائر في هـذا المجتمع؛ فالفرد الذي ينشأ في مجتمع يحترم القوة، ويـؤمن بها؛ فلا شك أن هذا المعيار أو النموذج سيحتذي به الفرد في سلوكه حتى يحصل علـى تقـدير الجماعـة التـي ينتمـي إليها... وهكذا.

ج ـ بيئة نفسية:

إن أساليب التربية، ونوعية الصدمات النفسـية، وطـرق علاجهـا، وصـورة الأب أو الأم السـائدة؛ كـل هـذه العوامل - لا شك - تخلق نفسية معينة، تميل إلـى الطاعـة والخضوع، أو المنافسة القوية، بل وجد العلمـاء أن هنـاك أمراضا نفسية معينة تكون سائدة في مجتمعات معينة؛ نظرا لأساليب الثقافة والتربية السائدة فيها.

د ـ الملاحظة:

إن هناك تفاعلاً بين عامل الوراثة والبيئة، فالوليد إنسـان به جميع الإمكانيات الموجودة لدى الأشداء، مع فارق واحد؛ هو كونها إمكانيات لم تتفتح بعد، وإن للبيئة (سـواء داخـل رحم الأم أو خارجه) دورها في تفتـيح هـذه الإمكانيـات، وبلورتها، وقد لا تكون بيئة منشطة فتظل الصفات في حالـة سكون أو موت. ولعل هذا يوضح لنا حقيقة: لمـاذا يفشـل بعض الأفراد في بيئة ما، وعندما ينتقلون إلى بيئات أخـرى ينجحون؛ بل ويشار إليهم بالبنان، علما بأننا أيضا نستطيع أن نورد تحت هذا العنوان الكبير: "تفاعل الوراثة مـع البيئـة"؛ العديد من العوامل بصورة أكثر تفصيلاً مثل التغذية، وكيف أن سوء التغذية يقود إلى العديد من الأمراض (سواء الجسمية أو النفسية أو العقلية)، إضافة إلـى المسـتوى الاقتصـادي والاجتماعي الذي يعيش في كنفه الشـخص، وكـذا مقـدار ما يتعرض له من مؤثرات ثقافية، أو مدى تعرضه لحرمـان ثقافي أو بيئي، أو ثـراء ثقـافي أو بيئـي، وكـذا طبيعـة الاتجاهات التي يتبناها الفرد من خلال المجتمع الذي يعـيش



في ظله.. وهكذا تتواصل المنظومة لدرجة أن من الضرورة فصل ما هو وراثة عن ما هو بيئة.

رأينا في قضية الوراثة والبيئة:

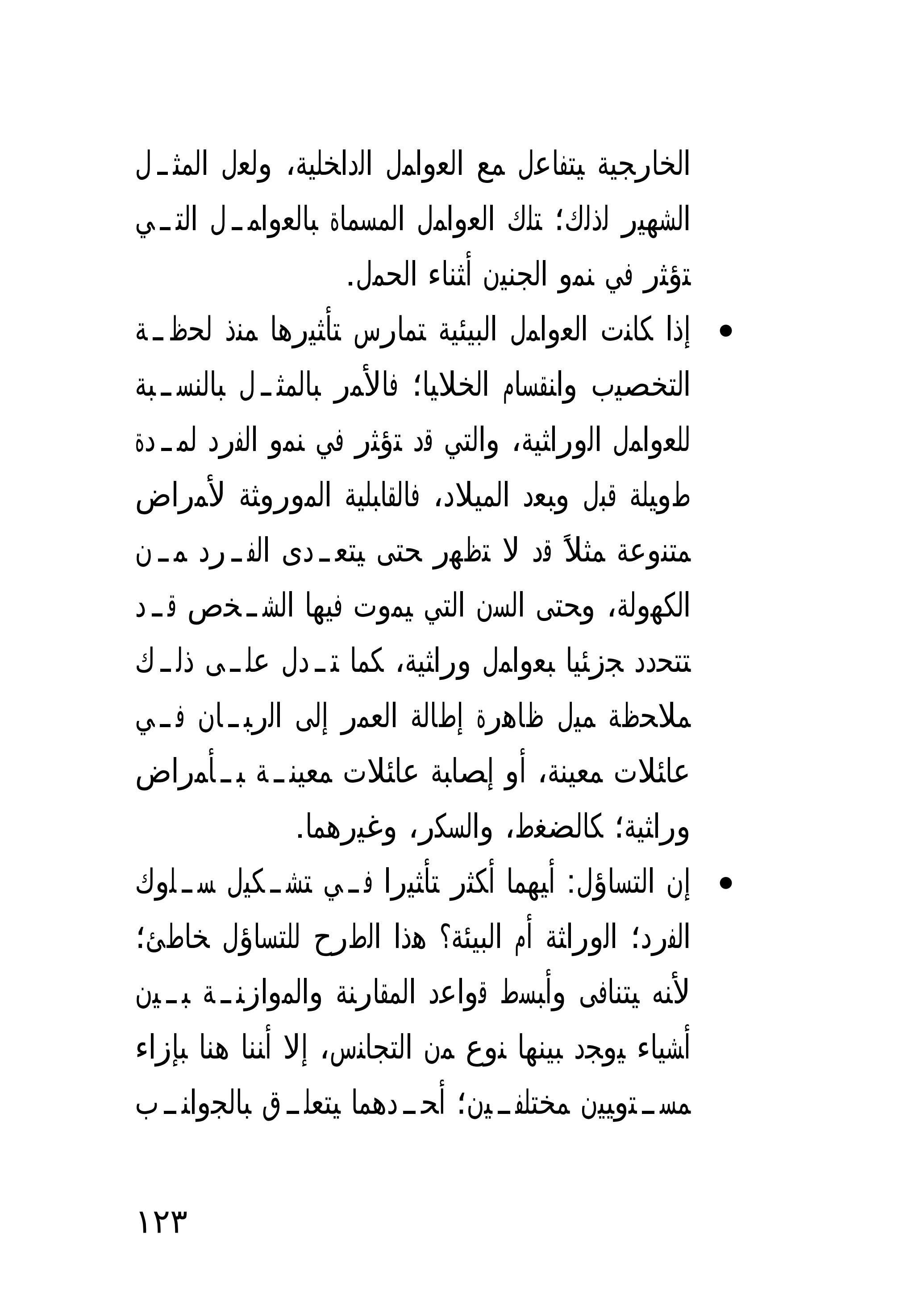
تعد قضية الوراثة والبيئة من أشهر القضايا الخلافية في مجال علم النفس، والتي أثارت العديد من ردود الأفعال بين علماء النفس؛ إذ كما رأينا من العرض السابق وجدنا ثلاثة اتجاهات متعارضة:

الرأي الأول:

أيد بشدة دور الوراثة، وجعلها الأساس، في حين أن أصحاب الاتجاه الثاني أيدوا البيئة وجعلوها المنطلق الأساسي لكافة المناشط والمنطلقات الإنسانية، في حين أن أصحاب الاتجاه الثالث يقومون بدور توفيقي بين مؤيدي الوراثة ومؤيدي البيئة، بل ويتعصبون لرأيهم بالجمع بين الوراثة والبيئة.

ونجمل رأينا في هذه النقطة في النقاط الآتية:

- هناك مغالطة واضحة في التفرقة بين أثر الوراثة والبيئة في سلوك الفرد؛ فالواقع أن تأثير العوامل



الخارجية يتفاعل مع العوامل الداخلية، ولعل المثـل الشهير لذلك؛ تلك العوامل المسماة بالعوامـل التـي تؤثر في نمو الجنين أثناء الحمل.

- إذا كانت العوامل البيئية تمارس تأثيرها منذ لحظـة التخصيب وانقسام الخلايا؛ فالأمر بالمثـل بالنسـبة للعوامل الوراثية، والتي قد تؤثر في نمو الفرد لمـدة طويلة قبل وبعد الميلاد، فالقابلية الموروثة لأمراض متنوعة مثلاً قد لا تظهر حتى يتعـدى الفـرد مـن الكهولة، وحتى السن التي يموت فيها الشـخص قـد تتحدد جزئيا بعوامل وراثية، كما تـدل علـى ذلـك ملاحظة ميل ظاهرة إطالة العمر إلى الربـان فـي عائلات معينة، أو إصابة عائلات معينـة بـأمراض وراثية؛ كالضغط، والسكر، وغيرهما.
- إن التساؤل: أيهما أكثر تأثيرا فـي تشـكيل سـلوك الفرد؛ الوراثة أم البيئة؟ هذا الطرح للتساؤل خاطئ؛ لأنه يتنافى وأبسط قواعد المقارنة والموازنـة بـين أشياء يوجد بينها نوع من التجانس، إلا أننا هنا بإزاء مسـتويين مختلفـين؛ أحـدهما يتعلـق بالجوانـب

البيولوجية (الوراثية)، والآخر يتعلق بالعوامل البيئية والاجتماعية/ الثقافية (البيئة). ولذا فإن الطرح الصحيح لمثل هذه القضية لا بد أن يتناول تأثير كل عامل في مسيرة نمو ونضج الفرد، وليس بطرح أشكاله أيهما أكثر تأثيرا.

- إن هناك تفسيرا أيديولوجيا نفسر من خلاله سر تمسك كل فريق بوجهة نظره، فكما علمنا علم النفس إن الإنسان يدرك ما يريد أن يدركه، فكذلك أصحاب الاتجاه الوراثي؛ حيث يميلون إلى تأكيد دور القدر، وأن الرجل الذكي العبقري لا بد بالضرورة أن يورث لابنه ثم أحفاده هذه الصفات، وبالتالي فإن الرجل "الغبي المتخلف" يورث لابنه هذه الصفات؛ ولذا فإن أصحاب هذا الاتجاه يذهبون إلى تأكيد قيمة الرجل الأبيض في مقابل الرجل الزنجي أو الإفريقي، أو المنحدر من أبناء العالم الثالث، والذي يتصف - من وجهة نظرهم - بالغباء والتخلف؛ ولذا فإنه لا يصلح إلا لخدمة سيده الرجل الأبيض. في حين أن أصحاب الاتجاه البيئي يؤكدون

أهمية العوامل والظروف، والتي قد تمهـد لإيجـاد شخص عبقري أو العكس. فالظروف المتاحة مـثلاً للرجل الأبيض في أمريكا أفضل من تلـك المتاحـة للرجل الزنجي. ولكن حين يفسرون نتائج الاختبارات لا يضعون ذلك في الاعتبار أن أصـحاب الاتجـاه البيئي يؤكدون أهمية العوامل البيئيـة والظـروف، وقدرتها على خلق نماذج جيدة، في حين أن أصحاب الاتجاه التوفيقي (الوراثة والبيئة) ينطلقون من رؤية شمولية وأيديولوجية متوازنة في رؤيتهـا للأمـور، وتأثير العوامل المختلفة في خلق ظاهرة ما.

الفصل الرابع

مناهج البحث في علم النفس الفارق

إن ما أنجزه علم النفس من تقدم إنما يتوقف على طبيعة المنهج المستخدم. ولذلك فقد أصبح علم النفس يقف في مصاف العلوم الطبيعية؛ كعلم الطب، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التشريح، وعلم الحياة، وإن كنا لا ننكر أن الظواهر التي يتصدى علم النفس لدراستها أكثر صعوبة وأكثر غموضا، وأكثر تعقيدا، وأكثر تأثرا بالعوامل الذاتية؛ ولذلك فقد تغلب علم النفس على هذه المعضلة بأن ترك مفاهيمه وتصوراته المعنوية أو المجردة؛ تركها ودرس آثارها أو نتائجها كما تظهر في سلوك الإنسان؛ وبذلك فقد نجح علم النفس في دراسة مفاهيم مجردة؛ مثل الذكاء والشخصية والقدرات، وكافة الأمراض النفسية والعقلية؛ ولذا تتنوع مناهج وأدوات البحث، ويستخدم الباحث في مجال الفروق الفردية (أو الجماعية) العديد من الطرق والأدوات التي تمكنه في الخطوة الأولى من جمع بيانات عن الأفراد، أو الفرد أو الجماعة موضع الدراسة، وهي خطوة هامة جدا؛ إذ تتلوها خطوات أخرى مكملة لها، وكلما كانت البداية سليمة وعلمية ومنطقية، كان ما يتلوها كذلك، والعكس بالعكس.

ويستخدم الباحث في مجال الفروق الفردية (أو الجماعية) العديد من الطرق والأدوات التي تمكنه في الخطوة الأولى من جمع بيانات عن الأفراد، أو الفرد أو الجماعة موضع الدراسة، وهي خطوة هامة جدا؛ إذ تتلوها خطوات أخرى مكملة لها، وكلما كانت البداية سليمة وعلمية ومنطقية كان ما يتلوها كذلك والعكس بالعكس.

ولعل من أشد الطرق في مجال جمع البيانات والمعلومات في الفروق الفردية:

أولاً- المقابلة: Interview:

هي عبارة عن لقاء يتم بين الباحث والفرد، وهناك العديد من الأهداف التي تستخدم فيها المقابلة؛ كأن يكون الفرد أو مجموعة الأفراد سيقع عليهم الاختيار للالتحاق بعمل ما، أو كجزء من بحث ميداني، أو تستخدم لتوجيه الأفراد إلى العمل أو الدراسة التي تتفق مع ميولهم وإمكانياتهم، كما أن المقابلة تعطي جوانب وتعطي الفرصة للباحث للتعرف على جوانب لا يمكن للاختبارات أن تصل إليها؛ كطريقة الشخص في الكلام، ولباقته وسرعته، وعيوب النطق والكلام، والمظهر العام، والعيوب الجسمية، إضافة إلى أنها تتيح

للباحث احتكاكًا حقيقيا في موقف حقيقي على الشخص، وهذا يتطلب العديد من الشروط الواجب توافرها في الشخص القائم بالمقابلة، من حيث الكفاءة العلمية والتدريب، والقدرة علـى سبر أغوار النفس الإنسانية، والإلمام الكافي بمجال الـنفس؛ ذلك لأن المقابلة إذا قام بإجرائها خبراء أكفاء تحققـت لهـا درجة عالية من الدقة والصدق، كما يمكن تحويـل الدرجـة التي يحصل عليها الفرد إلى تقدير كمي، من خلال الاستجابة إلى بنود المقياس أو أسئلة المقابلة؛ حيث تعطى لشدة العدوان ثلاث درجات، والعدوان الأقل درجتان، وهكذا، ويمكن جمع هذه الدرجات لإعطاء فكرة طبيعة السمة كما تعكسها أسـئلة المطابقة وإجابات المفحوص.

أنواع المقابلة:

يتفق العلماء على إمكانية تقسيم المقابلة إلى ثلاثة أنـواع هي:

١ - المقابلـة المحـدودة أو المقننـة:

Standardi٢ed interview:

حيث يخضع القائم بالمقابلة كافة ظروف المقابلة للتحديد والضبط والتنقية؛ حيث يعد القائم بالمقابلة الأسئلة التي ستلقى سلفًا على المفحوص، بل وتكون مرتبة ترتيبات جامدة لا يحتمل مخالفتها تحت أي شرط من الشروط، ولعل **الهدف** من هذا النوع من المقابلة هو الوصول إلى درجة عالية من الدقة والموضوعية؛ وذلك بتوحيد كافة ظروف المقابلة، وكذا الأسئلة التي توجه إلى كل فرد، حتى إذا نشأ أي اختلاف بين شخص وآخر يكون اختلافًا حقيقيا، وليس راجعا إلى عوامل عدم تحديد الأسئلة، أو أي تهاون في الظروف الخارجية أو البيئية التي يتم فيها المقابلة، لكن هذه الدقة رغم وجاهتها في هذا النوع من المقابلة تكون أشبه بأسئلة وكيل النيابة؛ حيث الأسئلة جامدة ومحدودة، فضلاً عن أنه غير مسموح للقائم بالقابلة بشرح السؤال؛ مما قد يستدعي من المفحوص أن يجيب إجابات روتينية لإرضاء الباحث. ولعل المثال الواضح على ذلك في تاريخ الدراسات النفسية؛ تلك الأسئلة العادية التي وجهت إلى الفلاح المصري عن حد إيمانه

بقضية تنظيم الأسرة؛ إذ يظل الفاحص يسـأل والمفحـوص يجيب بما يرضي نزعة الباحث، فإذا انتهى الموقف العلمـي المقنن يجد الفاحص أن البون شاسع بين ما يقال في الأوراق (سد خانة) وبين الاتجاه العملي الواقعي نحو هذه القضية.

٢ ـ المقابلة غير المنظمة أو غير الموجهـة Unsystenatic interview:

وهي على العكس تماما من المقابلة المقننة؛ حيث لا يتقيد الفاحص بتحديد أسئلة معينة، أو موضوعات معينة تغطيهـا المقابلة، بل إن الفاحص يترك الفرصة للمفحوص ليتحدث في أي موضوع ويعبر عن نفسه، ولا يقاطعـه أو ينتقـل مـن موضوع إلى آخر.. وهي مقابلة أقرب ما تكون إلى تكنيـك التداعي الحر الطليق في التحليل النفسي؛ ولذا فإن هذا النوع من المقابلة يعد من أفضل الأنواع، والتي تهدف إلـى سـبر أغوار النفس، ومعرفة ديناميات الشخص الأكثر عمقًـا، دون أن يعي الفرد ذلك، كما تمتاز بحرية شبه كاملة للفرد في أنه يتحدث بحرية، ولا يتـدخل الفـاحص إلا حـين يصـمت المفحوص؛ كأن يستحثه على المزيد، أو ينتقل به إلى الحديث

عن موضوع يرى القائم بالمقابلة أهميته في التقييم، ورغـم ذلك تظل لها العديد من الانتقادات، لعل من أهمها أن موعـد المقابلة قد ينتهي دون أن يتمكن الفاحص من سد كافة النقاط الجديدة، ومعرفة الإجابة عنها، إضافة إلى أن هذا النوع من المقابلة يحتاج إلى خبير في إجراء المقابلة، والوصول إلـى النتائج من خلال "الدردشة" العادية، والتي تكـون محتومـة المعنى والهدف بالنسبة للأخصائي القائم بها. ولعل هذا النوع يستخدم في العيادات النفسية؛ حيث يترك المعالج - أو تحديدا المعالج ذو الاتجاه التحليلي الفرويدي- المـريض يتحـدث بحرية تامة، ولكن هذا الحديث أو الانتقال من موضوع إلـى آخر يكون له معنى وهدف ودلالة في تفسير السلوك.

٣ ـ المقابلـــة المنظمـــة: Systematic interview:

ولعل هذا النوع من أفضل أنواع المقابلة؛ حيث يجمع بين مميزات كلا النوعين من المقابلة السابق عرضـهما؛ حيـث يستعد القائم بالمقابلة بتحديـد الموضـوعات التـي سـوف يطرحها مع المريض أو المفحـوص، دون تحديـد أسـئلة

محددة، بل وقد يضع بطاقة بها هذه الأسئلة كي يسترشد بها، ثم يضع السؤال بما يتناسب ومستوى فهم الفرد، ولا ينتقل بأسئلة من موضوع إلا إذا انتهى من جمع البيانات الكافية من الموضوع الذي يسبقه، وهكذا حتى يفرغ من استكمال البيانات عن جميع الموضوعات التي يريد الإلمام بها في المقابلة.

لذا فإن هذا النوع من المقابلة يمكن أن يقف حتى يصل إلى درجة الأسئلة المقننة، ويمكن أن يترك مجال الحرية حتى يصل إلى المقابلة الغير منظمة. وهذا النوع من المقابلة يفضله الباحث، وقد استخدم هذا التكنيك في أطروحة الماجستير والدكتوراة، ولعل هذا النموذج من المقابلة الذي استخدمها في الدكتوراه كنموذج لثراء هذا النوع من المقابلة.

أولاً- البيانات الأولية:

الاسم:

السن:

التعليم:

المهنة:

الحالة الاجتماعية: أعزب ( ) متزوج ( ) مطلق ( )
أرمل ( ).

عدد أفراد الأسرة:

الترتيب بين الإخوة:

الإدمان:

سنوات الإدمان:

مرات التردد للعلاج:

ثانيا- أسئلة المقابلة:

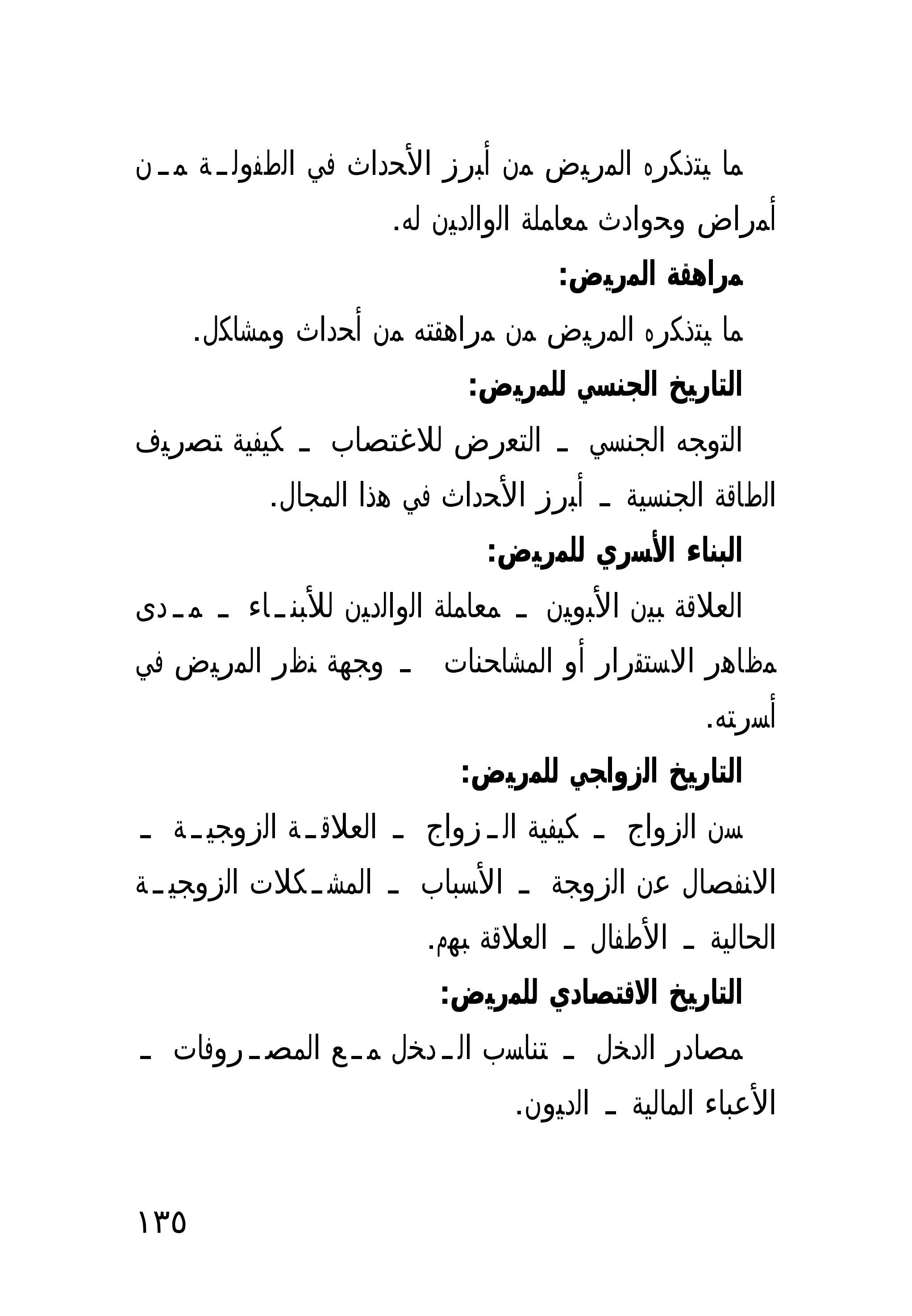
التعليم: سنوات الدراسة ـ سنوات الرسوب وأسبابها ـ عدم تكميل الدراسة.

العمل: العمل الحالي ـ الأعمال السابقة ـ مدى الرضا عن العمل ـ أسباب ترك العمل.

التاريخ الديني: مدى الالتزام الديني ـ أداء العبادات ـ تأثير الدين على حياة المريض.

التاريخ السكني: يسكن بمفرده ـ مع الأسرة ـ عدد الغرف ـ عدد القاطنين بالسكن ـ مستوى السكن.

طفولة المريض:



ما يتذكره المريض من أبرز الأحداث في الطفولـة مـن أمراض وحوادث معاملة الوالدين له.

مراهقة المريض:

ما يتذكره المريض من مراهقته من أحداث ومشاكل.

التاريخ الجنسي للمريض:

التوجه الجنسي - التعرض للاغتصاب - كيفية تصريف الطاقة الجنسية - أبرز الأحداث في هذا المجال.

البناء الأسري للمريض:

العلاقة بين الأبوين - معاملة الوالدين للأبنـاء - مـدى مظاهر الاستقرار أو المشاحنات - وجهة نظر المريض في أسرته.

التاريخ الزواجي للمريض:

سن الزواج - كيفية الـزواج - العلاقـة الزوجيـة - الانفصال عن الزوجة - الأسباب - المشـكلات الزوجيـة الحالية - الأطفال - العلاقة بهم.

التاريخ الاقتصادي للمريض:

مصادر الدخل - تناسب الـدخل مـع المصـروفات - الأعباء المالية - الديون.

التاريخ الطبي النفسي للمريض:

الأمراض الجسمية أو النفسية أو العقلية التي أصيب بها المريض أو أي أحد من أفراد أسرته.

التاريخ القانوني:

مشاكل مع الشرطة ـ سجن أو توقيف ـ تأثير ذلك على حياة المريض.

تاريخ الإدمان:

- متى بدأ الإدمان.
- الأسباب التي قادته إلى الإدمان.
- انتقال المريض من مخدر إلى آخر.
- أسباب ذلك الانتقال (التثبيت على مخدر محدد أو أكثر).
- المشاكل التي تزامنت مع الإدمان من وجهة نظر المريض (تأثير الأسرة/ العمل/ الزوجة/ الأطفال/ الأصدقاء/ صحة الشخص/ أخرى..).
- المشاكل التي ترتبت على الإدمان من وجهة نظر المريض (نفس هذه الأشياء).
- أسباب التوقف عن الإدمان من وجهة نظر المريض.

- أسباب الانتكاس من وجهة نظر المريض.

سمات شخصية المريض:

- انطوائي - عدواني
- اجتماعي - يخشى الآخرين.
- رأي المريض في نفسه. - رأيه في الآخرين
- برنامجه اليومي. - استثماره لوقت الفراغ.
- طموحاته المستقبلية. - رأيه في الأسرة.
- رأيه في مجتمعه. - رأيه في الحياة بصفة عامة.
- نقاط القوة والضعف في شخصيته من وجهة نظره.
- أسئلة أخرى تضاف.

التقويم النهائي لشخصية المريض.

ثانيا- الملاحظة: Observation:

عرف الإنسان الملاحظة واستخدمها لجمع البيانات منذ العصور القديمة، وما زلنا حتى الآن نستخدمها في حياتنا اليومية، سواء ملاحظة الآباء لسلوك أبنائهم، أو المدرسين لسلوك الطلاب، أو أصحاب العمل لملاحظة سلوك عمالهم، وهكذا.

ولذا فإن منهج الملاحظة يعد من المناهج التي ما زالـت تستخدم بكفاءة في العلوم الإنسانية، بشرط ضـرورة تـوافر كافة الشروط التي يجب أن تتوافر حتى تكـون الملاحظـة موضوعية، وليست قائمة على أسس ومبادئ ذاتية.

وعموما فمهما اختلفت أهداف الدراسـة؛ فيجـب علـى الباحث أن يجيب على عدة أسئلة حتى يتمكن من تفهم طبيعة الملاحظة التي يستخدمها؛ وهي:

ما الذي يجب ملاحظته؟

كيف ستسجل الملاحظة؟

ما هي الإجراءات التي يجب اتخاذها للتأكـد مـن دقـة الملاحظة؟

ما هي العلاقة التي يجـب أن تتـوافر بـين الملاحـظ والملاحظ، وكيف يمكن تكوين هذه العلاقة.

وبناء على الدقة في الإجابة عن هذه التسـاؤلات؛ فـإن الباحث يستعد للملاحظة قبل أن يقوم بالملاحظة، وقد يستعين بالعديد من الأجهزة والأدوات التي تساعده على سرعة ودقة الملاحظة؛ كأن يستخدم كاميرا وجهاز تسجيل، وبعد استئذان المفحوص، كما أن الملاحظة تنقسم إلى عدة أنـواع؛ منهـا

الملاحظة المقصودة والعملية، وهي الملاحظة التي يستعد لها الباحث، ويستعين بالعديد من الأدوات في تسجيلها وتـدوين بياناتها، كما أن هناك أنواع من الملاحظة الغيـر مقصـودة أو الطارئة؛ وهي تلك الملاحظة التي تحـدث عفـوا ودون قصد من الباحث. إلا أن الظاهرة حين حدثت أخـذ الباحـث فورا في ملاحظتها وتدوين هذه الملاحظات فيما بعد؛ تمهيدا للتفسير، وما يتكون من خطوات منهجية، وهناك نوع آخـر من الملاحظة يسمى ملاحظة المجال Field observation، وهي تصلح في البحوث الحقليـة، وفـي دراسـة الثقافـات المختلفة؛ حيث لا يمكن إجراء مثل هذه الملاحظـات علـى أفراد تلك الثقافات - خاصة البدائية - في المعمل، وشـتان بين حدوث الظاهرة في واقعها الفعلي، وحدوثها فـي واقـع تجريبي مصطنع، كما يوجد نوع آخر من الملاحظة يسـمى بالملاحظـة المشـتركة، وتسـتخدم بكثـرة فـي البحـوث الاجتماعية، أو الأنثربولوجية؛ حيث يشارك الباحث المجتمع الذي يريد دراسته في أنشطته المختلفـة، ثـم يـدون هـذه الملاحظات التي يلتقطها، وقد يستعين بما يسمى بـالمخبرين (وهم مجموعة يختارهم الباحث من عينـة الدراسـة لكـي

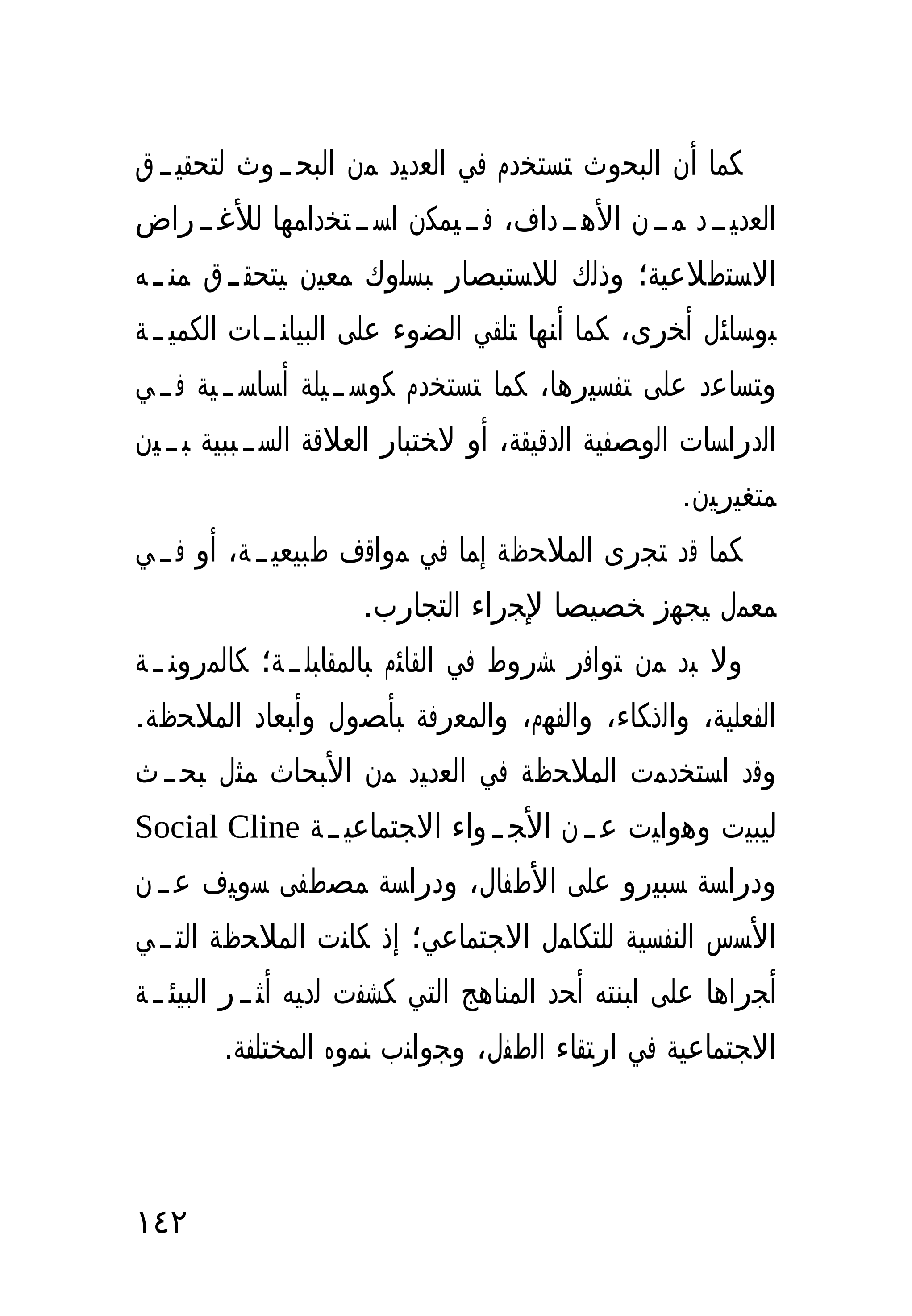
يساعدوه في تفسير ما غمض عليه من دلالات سلوكية أو لفظية معينة)، وقد استخدمت هذه الملاحظة في العديد من البحوث في مصر؛ مثل دراسة الثأر التي أجراها المركز القومي في ستينيات هذا القرن، وكذا بعض بحوث الأسرة والسكان، وكذا دراسة فتحي الشرقاوي في أطروحته للماجستير عن التعصب الكروي والديني.

ولكي تكون الملاحظة موضوعية وبعيدة عن التحيز، ولأن الباحث في نهاية الأمر إنسان وله موقف أيديولوجي مما يلاحظ، وقد يلاحظ أشياء ولا يلاحظ أشياء أخرى؛ فإنه يلجأ إلى العديد من الأدوات التي تعينه في موضوعية الملاحظة؛ مثل:

- تصنيف السلوك إلى فئات: حيث يقوم الباحث بتصنيف السلوك الذي يلاحظه في فئات لرد الكثرة إلى قلة.
- الاستعانة بأدوات التسجيل فورا؛ إما أثناء الملاحظة، أو بعدها مباشرة؛ خوفًا من تسلل النسيان أو الانتقاء.

- عرض ما يلاحظه على مجموعة أخـرى مـن المحكمين؛ حتى يتأكد من موضوعية ما يلاحظه.
- وضع مقاييس للتقدير، ويقتضـي ذلـك إعـداد مقياس يسترشد الباحث به (ويستحسن أكثر مـن باحث) في ملاحظة السلوك الذي يود ملاحظـة وتقديره (أي إعطاء درجة كمية)، مع الاسـتعانة بالعديد من الأدوات التي تساعد على ذلك؛ مثـل أدوات التسـجيل، والتصـوير الفوتـوغرافي، والسينما، وآلات تسجيل الصوت، وغيرها.

والملاحظة مثلها مثل وسائل جمع البيانات الأخرى؛ لهـا مميزاتها وعيوبها، ولعل أهم المميزات أنهـا تمكننـا مـن التسجيل المباشر عقب حدوث السـلوك الملاحـظ، كمـا أن الملاحظة تيسر لنا جمع البيانات، والتي لا يمكن الحصـول عليها بوسائل أخرى، إضافة إلى ملاحظة السلوك في بيئتـه الطبيعية. أما أهم العيوب فتتمثل في صعوبة تنبئنا بحـدوث سلوك معين حتى يمكن ملاحظته، كما قـد لا يتسـع وقـت الباحث لجمع بياناته عن طريق الملاحظة.


كما أن البحوث تستخدم في العديد من البحوث لتحقيق العديد من الأهداف، فيمكن استخدامها للأغراض الاستطلاعية؛ وذلك للاستبصار بسلوك معين يتحقق منه بوسائل أخرى، كما أنها تلقي الضوء على البيانات الكمية وتساعد على تفسيرها، كما تستخدم كوسيلة أساسية في الدراسات الوصفية الدقيقة، أو لاختبار العلاقة السببية بين متغيرين.

كما قد تجرى الملاحظة إما في مواقف طبيعية، أو في معمل يجهز خصيصا لإجراء التجارب.

ولا بد من توافر شروط في القائم بالمقابلة؛ كالمرونة الفعلية، والذكاء، والفهم، والمعرفة بأصول وأبعاد الملاحظة. وقد استخدمت الملاحظة في العديد من الأبحاث مثل بحث ليبيت وهوايت عن الأجواء الاجتماعية Social Cline ودراسة سبيرو على الأطفال، ودراسة مصطفى سويف عن الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي؛ إذ كانت الملاحظة التي أجراها على ابنته أحد المناهج التي كشفت لديه أثر البيئة الاجتماعية في ارتقاء الطفل، وجوانب نموه المختلفة.

ثالثًا- طريقة دراسة الحالة: Case Study

تحتل دراسة الحالة مكانة متميزة بين وسائل جمع البيانات. ولعل مرد ذلك إلى أنها من أقدم الوسائل التي استخدمت لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعي، فضلاً عن أنها من أقدم الوسائل الحضارية الضاربة بجذورها في التاريخ الإنساني، وهذه الطريقة أكثر شيوعا في الاستخدام لدى الأخصائي النفسي الإكلينيكي، والطبيب النفسي، وخبراء التوجيه، والمرشدون؛ ذلك لأنه لا يمكن فهم الشخصية فهما كاملاً دون المعرفة التامة للتاريخ الماضي للفرد. وتتضمن هذه المعرفة معلومات عن الأسرة، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية، والتعليم، والديانة، والحالة الجسمية والمزاجية.

وتؤخذ مادة دراسة الحالة من مصادر عدة؛ مثل: كتابة تاريخ الحياة Autobiographies، واليوميات، والمقابلات، والاستبيانات، وسجلات المؤسسة الاجتماعية، والمحاكم والسجون بالنسبة لحالات جناح الأحداث والمستشفيات العقلية، والمدارس بالنسبة لحالات التأخر الدراسي أو الشغب، إضافة إلى كتابة الفرد لتاريخ حياته؛ لما يعكسه

ذلك من الكشف عن الديناميات العميقة في المشاعر. ويمكن من خـلال تحليـل مضـمون Content analysis هـذه المذكرات؛ الوقوف على العديد من جوانب الشخصية. كمـا أن دراسة الحالة تستخدم اليوم في ميادين متعددة ومتنوعـة؛ مثل دراسة النمو في علم النفس الارتقائي، ودراسة التغيـر الاجتماعي، ودراسة الجريمـة أو الانتحـار، والاسـتجابة للكوارث، والمواقف غير المألوفة. ويـتم الحصـول علـى المعلومات في دراسة الحالة مـن عـدة مصـادر؛ مثـل: الملاحظة الإكلينيكية للعمـل خـلال المقابلـة، والفحـوص النفسية، وكذلك الأخذ في الاعتبـار ملاحظـات الآخـرين المحيطين بالفرد، والبيانات الكمية والكيفية المستمدة من نتائج الفحوص الطبية والمعملية لنتائج تطبيق الاختيارات النفسـية المختلفة، إضافة إلى البيانـات التاريخيـة المسـتمدة مـن السجلات والوثائق والمقابلات، وتشـمل التـاريخ العـائلي والشخصي والاجتماعي والمرضي والتعليمي؛ إذ إن الإلمـام بالتاريخ السابق للشخص هام جدا في إلقـاء الضـوء علـى الواقع الحالي، كما يمكن التنبؤ بما سيئول إليه الحال مستقبلاً، إضافة إلى أن المريض (أو الشخص المعني بالدراسة) يعـد

مصدرا هاما من مصادر جمع المعلومات، وفي كل الأحوال يجب أن يتأكد القائم بالمقابلة من طبيعـة المعلومـات التـي جمعها، ومقدار درجة الثقة أو الشك فيها، وهـل يستحسـن بالقائم بالمقابلة تحديد إطار معين يسير على هديه، أم يكـون الهدف محددا في ذهنه؛ وهي أمور لا بد من حسـمها قبـل المقدمات في دراسة الحالة.

وعموما فإن دراسة الحالة يجب أن تشمل الجوانب الآتية:

١- البيانات الأولى من حيث الاسـم، السـن، النـوع، المهنة، محل الإقامة، الحالة الاجتماعية.

٢- الخلفية التاريخية؛ مثل: بيئـة المـريض، الخلفيـة الأسرية للوالـدين، التـاريخ الشخصـي، التـاريخ التعليمي، التاريخ المهني، التاريخ المهني والزواجي، التاريخ الطبي، الاهتمامات والعادات.

٣- نشأة وتطور المرض الحالي.

٤- المظهر الحالي والسلوك العام.

٥- القدرة على التركيز.

٦- محتوى التفكير (الأفكار التي تشغل بال الشـخص)، وطبيعة ونمو تفكيره، ومدى اعتداله.

٧- الحالة الانفعالية (الانفعال السائد، تقلب الانفعـال.. وهكذا..)

٨- الوظائف الحسية والقدرات الفعلية، والتي من خلالها تستدل على مدى الاتصال بين الشخص والبيئة.

٩- الاختبارات السيكولوجية التشخيصية التي أجراهـا القائم بدراسة الحالة، ونتائج ودلالة الدرجة عليها.

١٠- الفحوص الطبية والمعملية.

١١- الصيانة الشخصية؛ أي طبيعة الاضطراب الـذي يعاني منه الشخص.

١٢- مقترحات العلاج ألا يتكلم سواها مع هذا الشخص.

ويلاحظ من كل ما سبق أن دراسة الحالة تعد من الوسائل التي تحتاج إلى جهود العديد من الفريق العلاجي أو الباحثين؛ حيث هناك العديد من المعلومات التي تقتضي التخصص في نفس الوقت والتكامل من أجل الإلمـام بكافـة المعلومـات المتعمقة، والتي تعكس واقع المريض.

رابعا- الاختبارات النفسـية: Psychological tests:

سبق أن أشرنا في الفصل الثاني إلى الاختبارات النفسية. وعموما فإن تعريفها هو: "عبارة عن مواقف مصطنعة تنظم بطريقة خاصة، وتعرض على الفرد لكي تؤخـذ اسـتجاباته عنها أساسا لتقدير استعداداته وخصائصه النفسية المختلفـة؛ أي لقياس الفروق بين الأفراد بعضهم وبعـض فـي كافـة الخصائص والاستعدادات".

تطبيق الاختبارات النفسية:

يوجد العديد من أسس التصنيف، ومنها:

أولاً- حسب طبيعـة الاسـتعداد، والخاصـية المراد قياسها:

وتشمل:

أ ـ مقاييس عقلية معرفية؛ مثل:

- اختبارات التحصيل لمقياس التعليم الماضي للفرد أو للخبرة السابقة.
- اختبارات القدرات، والتي تهـدف إلـى قيـاس القدرات العامة أو الطائفية.
- اختبارات الاستعدادات، وتهدف إلى التنبؤ بمـا يستطيع الفرد أن يقوم به مستقبلاً.

ب ـ مقاييس الشخصية والنواحي المزاجية:

مثل:

أ- الاستفتاء، والذي يهدف إلى معرفة رأي المفحـوص في موضوع، أو جمع بيانات اجتماعيـة أو نفسـية أو ميول أو اتجاهات، أو رأي عام.

ب-الاختبارات الإسقاطية، والتي تهدف إلى الكشف عن أغوار الإنسان، وتحكم على مدى شذوذه أو سـوئه. ولعل من أهم هـذه الاختبـارات؛ اختبـار تـداعي الكلمات، وتفهم الموضوع (TAT).

ج- المقابلة: وتعلم لقياس جوانـب قـد لا تعكسـها أي اختبارات نفسية.



د- الاختبارات الموقفية: وهي عبارة عن عينة من المواقف الممثلة، التي تبدو للفرد، وتتم في اختبار القدرة على التصرف أو الاتزان الانفعالي.

ثانيا- أسلوب التطبيق حسب طريقة التطبيق:

وتنقسم إلى:

أ- اختبارات فرد التطبيق: وتتم مع كل فرد على حدة.

ب- اختبارات جماعية التطبيق: وتتم على مجموعة من الأفراد دفعة واحدة.

ثالثًا- حسب طريقة الأداء، وطبيعة الاستجابة، وتنقسم إلى:

أ- اختبارات الورقة والقلم أو الاختبارات اللفظية.

ب- اختبارات عملية أدائية تصلح للأداء اليدوي أو القدرة الميكانيكية.

رابعا- حسب الزمن:

وتنقسم إلى:

أ- اختبارات سرعة (موقوتة)؛ حيث يحدد لهـا الـزمن سلفًا عند إلغاء التعليمات، بـل إن الـزمن يسـتخدم كمؤثر في التقويم وإعطاء درجات.

ب- اختبارات قوة: وهي اختبارات لا ترتبط بزمن معين؛ بل تكون في غاية الصعوبة؛ ولذا فإن الإجابة عنهـا لا تحتاج إلى زمن معين؛ بل تهدف إلى الكشف عن أقصى ما يمتلكه الشخص من قدرات.

خامسا حسب المعايير:

وتنقسم إلى:

أ- اختبارات معيارية المرجع: وتهدف إلى تحديد موقع الفرد من الجماعة المرجعية الذي ينتمي إليها.

ب- اختيارات محكية المرجع: وهي اختيارات تفسر فـي ضوء مستويات أداء محدودة، ويطلق عليهـا اسـم المقياس التربوي؛ وهي اختيـارات تعكـس درجـة التغيير في أداء الفرد لذاته، وليس بالنسبة للآخرين.

سادسا- حسب مجال الاستخدام:



وهنا تتعدد الأغراض من هذا الاسـتخدام؛ كـأن يكـون توجيهي أو تحصيلي أو إرشادي.. إلخ.

الفصل الخامس

جوانب اهتمام الفروق الفردية

يهتم علم النفس الفارق، بالتعرف على طبيعة الفروق، سواء بين الأفراد، أو داخل الفرد الواحد، أو بين الجماعات. ولعل أهم الجوانب التي يهتم بها هذا العلم هي:

أولاً: طبيعة الذكاء

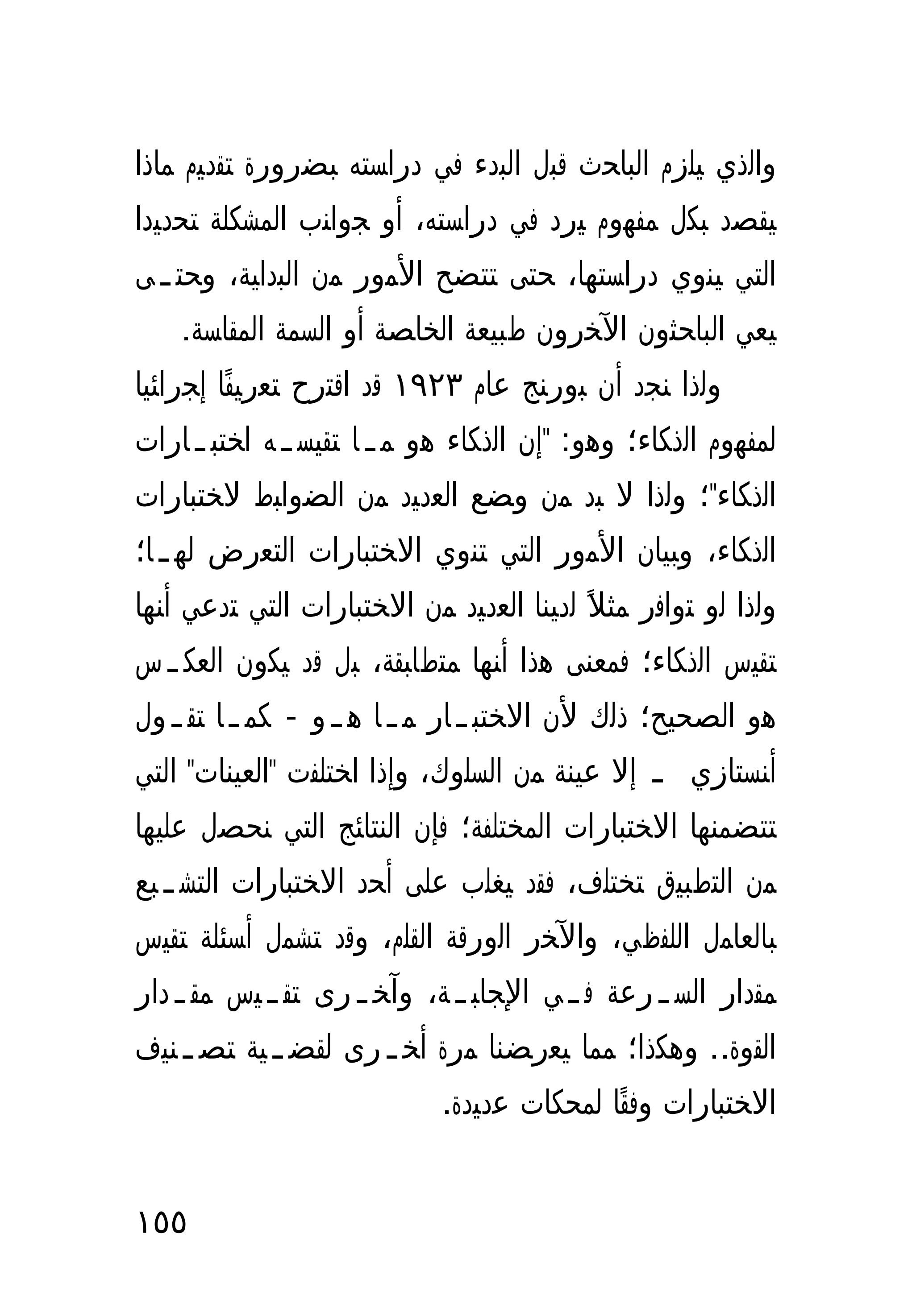
مقدمة

حين نتعرض لقضية الذكاء؛ فإننا نلج مباشرة إلى قضايا خلافية، ليست فقط في مجال علم النفس الفارق؛ وإنما في مجال علم النفس بصفة عامة، والمشكلة أن أكثر الأشياء التي تبدو لنا مألوفة؛ هي أصعب الأشياء على الإطلاق في التعرف؛ فهل الإنسان الذكي هو الذي يكون لديه القدرة على الفهم والابتكار والاختراع، والتكيف مع المواقف الجديدة، والتعلم أسرع، والقدرة على التصرف الحسن في المواقف الحرجة؟ وهل الذكاء هو قدرة الإنسان على فهم الأشياء "وهي طائرة" كما يقول العامة؟ وهل الذكاء هو القدرة على

التفكير المجرد؛ أي التفكير بالرموز، والألفاظ المجردة مـن مدلولاتها الحسية؟

وكل ما سبق مجرد نموذج يوضح لنا مقدار الخلاف فـي التعريف؛ ليس فقط بين العلماء المتخصصين، وإنما حتى بين العامة؛ ممن يدعون الحق في الخوض في مجال العلم.

وهل كل ما سبق يطرح قضية ضرورة الاتفـاق علـى تعريف محدد الذكاء، خاصة أن مفهوم الذكاء بالمعنى العلمي لا يوجد اتفاق عليه، إضافة إلى أنه رغم ذلك توجد العديد من الاختبارات والمقاييس التي تقيس الذكاء، بالرغم مـن عـدم الاتفاق على تقديم تعريف موحد للذكاء. بل ومـن الأمـور الطريفة أن أجرت مجلة علم النفس التربوي الأمريكية منـذ أكثر من ٥٠ عاما دراسة حول هذا الأمر، فقام محرر المجلة بتوجيه سؤال إلى قادة حركة القياس العقلي، متضـمنًا فيـه تحديد معنى الذكاء من وجهة نظر كل عالم، وكانت النتيجـة أن تلقى عددا من الإجابات بقدر عدد العلماء الذين اشـتركوا في هذا الاستفتاء؛ مما يؤكد حتى وجود الخلاف بين العلمـاء في تحديد معنى ما يدرسونه؛ حيث اقتضت الضرورة وجود ما يسمى بالتعريف الإجرائي Opertational definition،


والذي يلزم الباحث قبل البدء في دراسته بضرورة تقديم ماذا يقصد بكل مفهوم يرد في دراسته، أو جوانب المشكلة تحديدا التي ينوي دراستها، حتى تتضح الأمور من البداية، وحتـى يعي الباحثون الآخرون طبيعة الخاصة أو السمة المقاسة.

ولذا نجد أن بورنج عام ١٩٢٣ قد اقترح تعريفًا إجرائيا لمفهوم الذكاء؛ وهو: "إن الذكاء هو مـا تقيسـه اختبـارات الذكاء"؛ ولذا لا بد من وضع العديد من الضوابط لاختبارات الذكاء، وبيان الأمور التي تنوي الاختبارات التعرض لهـا؛ ولذا لو توافر مثلاً لدينا العديد من الاختبارات التي تدعي أنها تقيس الذكاء؛ فمعنى هذا أنها متطابقة، بل قد يكون العكـس هو الصحيح؛ ذلك لأن الاختبـار مـا هـو - كمـا تقـول أنستازي ـ إلا عينة من السلوك، وإذا اختلفت "العينات" التي تتضمنها الاختبارات المختلفة؛ فإن النتائج التي نحصل عليها من التطبيق تختلف، فقد يغلب على أحد الاختبارات التشـبع بالعامل اللفظي، والآخر الورقة القلم، وقد تشمل أسئلة تقيس مقدار السـرعة فـي الإجابـة، وآخـرى تقـيس مقـدار القوة.. وهكذا؛ مما يعرضنا مرة أخـرى لقضـية تصـنيف الاختبارات وفقًا لمحكات عديدة.

تعريف الذكاء:

تتعدد المحاور التي من خلالها النظر إلى الذكاء؛ وهي:

أولاً- الذكاء في اللغات:

يعود الفضل إلى الفيلسوف الروماني شيشرون في ابتكار كلمة لاتينية هي Intelligentia، والتي تعني حرفيا معنى الكلمة اليونانية Novs، وقد شاعت في اللغات الأوروبية الحديثة بنفس الصورة، وتعني لغويا الذهن Intellect، والعقل Mind، والفهم Understanding، والحكمة Sagacity. ولعل هذا المعنى قريب في الاستخدام في اللغة العربية؛ إذ إن كلمة ذكاء مشتقة من الفعل الثلاثي ذكا، ويذكر المعجم الوسيط في أصل الكلمة: ذكت النار ذكوا وذكا وذكاء؛ أي اشتد لهبها واشتعلت، وذكا فلان ذكاء؛ أي أسرع فهمه وتوقد.

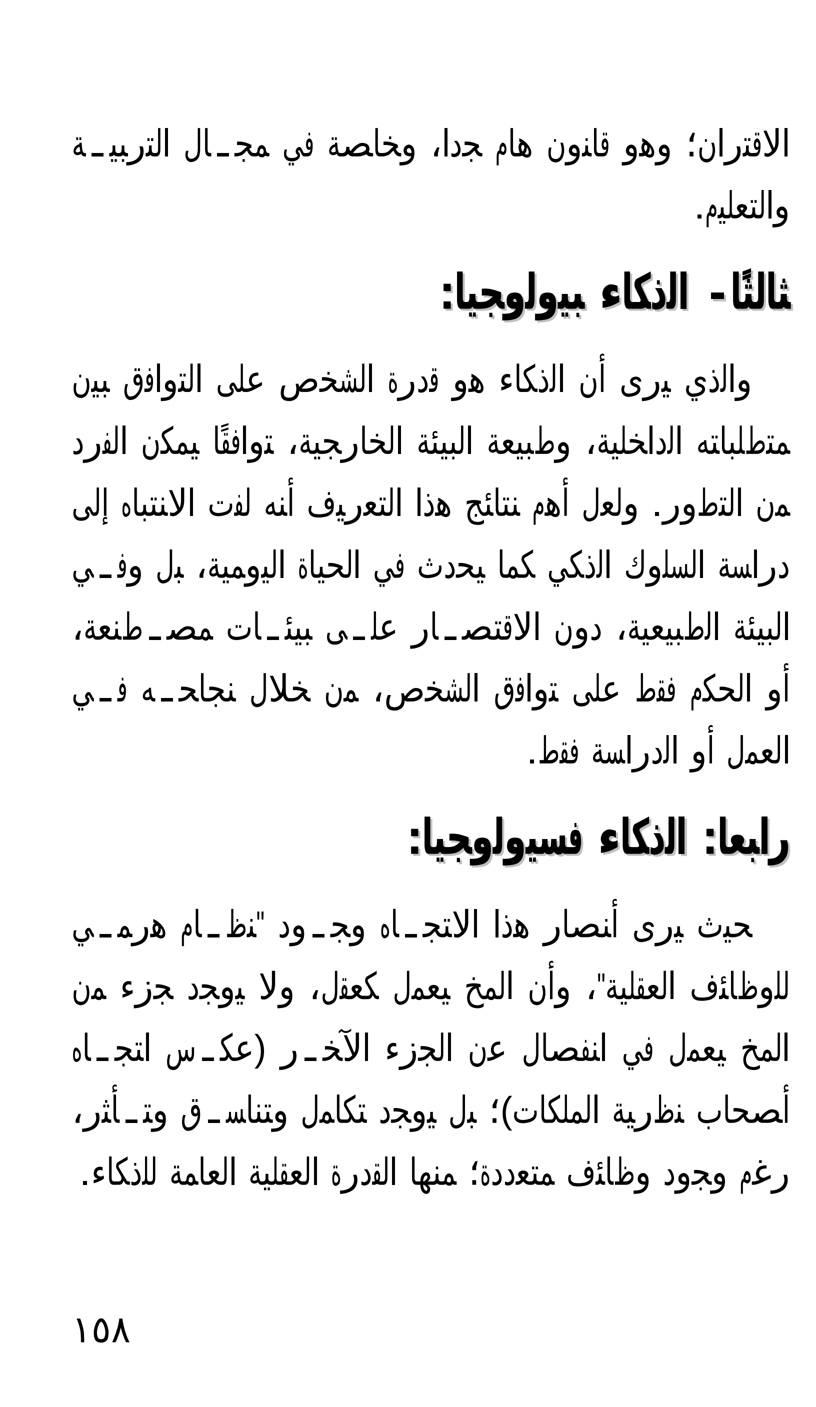
ثانيا- الذكاء في الفلسفة:

١- فرق أرسطو بين نوعين من الوجود؛ وهما: الوجود بالقوة، والوجود بالفعل، مفرقًا بذلك بين وجود

الاستعداد في صورة كامنـة، وبـين تبلـور هـذا الاستعداد عمليا؛ ولذا فإن العلماء يعدون أرسطو هو أول من قدم مفهوم الاسـتعداد بـالمعنى التقليـدي، إضافة إلى ذلك فقد ساهم أرسطو في ذكره لعدد من وظائف النفس، يتضمن كل منها ما يسبقه لا ما يليه، ويفسر بها سلوك الكائنات الحية جميعا.

٢- تأثر ابن رشد بهذه الأفكار مهتما بفكـرة الفـروق الفردية في النواحي العقلية. ورغم أن العقل وحـدة واحدة، إلا أن الفروق موجودة بين الأفراد، ولـيس في الكيف؛ وإنما في الكم أو الدرجة، وهي قانون قد ذكرناه سابقًا كأحد قوانين الفروق الفردية.

وقد ساهم الفلاسفة في نشر نظريات فـي الـذكاء وفقًـا للمفهوم الفلسفي، نذكر منهـا نظريـة الملكـات، ونظريـة الارتباط؛ حيث يرى أصحاب النظرية الأولى أن العقل يتألف من عدد من القوى والوسائط، أو حتى الملكات، والتي تؤدي إلى حدوث الأنشطة الفعلية المختلفة، وإن كانوا قد اختلفوا في عدد هذه الملكات، في حين أن نظرية الارتباط تستخدم قانون



الاقتران؛ وهو قانون هام جدا، وخاصة في مجـال التربيـة والتعليم.

ثالثًا- الذكاء بيولوجيا:

والذي يرى أن الذكاء هو قدرة الشخص على التوافق بين متطلباته الداخلية، وطبيعة البيئة الخارجية، توافقًا يمكن الفرد من التطور. ولعل أهم نتائج هذا التعريف أنه لفت الانتباه إلى دراسة السلوك الذكي كما يحدث في الحياة اليومية، بل وفـي البيئة الطبيعية، دون الاقتصـار علـى بيئـات مصـطنعة، أو الحكم فقط على توافق الشخص، من خلال نجاحـه فـي العمل أو الدراسة فقط.

رابعا: الذكاء فسيولوجيا:

حيث يرى أنصار هذا الاتجـاه وجـود "نظـام هرمـي للوظائف العقلية"، وأن المخ يعمل كعقل، ولا يوجد جزء من المخ يعمل في انفصال عن الجزء الآخـر (عكـس اتجـاه أصحاب نظرية الملكات)؛ بل يوجد تكامل وتناسـق وتـأثر، رغم وجود وظائف متعددة؛ منها القدرة العقلية العامة للذكاء.

خامسا- الذكاء إجرائيا:

يرى الباحث من كل ما سبق ضرورة أن يكـون هنـاك تحديد لما يود للباحث أن يقيسه، متبنيا تعريف "بـورنج" أن الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء، بشرط أن يحدد الباحث ماذا يقصد من إعداده للاختبار، وما هي الجوانب التي يـود قياسها، وما هي الشروط التي اتخـذها لضـمان مصـداقية النتائج التي يعكسها الاختبار.

نشأة مقـاييس الـذكاء وتطورهـا: (عـرض تاريخي):

لقد أصبح من الثابت الآن أن الإيمـان بحقيقـة وجـود الفروق الفردية ليس في الـذكاء فقـط؛ وإنمـا فـي كافـة الخصائص والقدرات، وإن هذه الفروق قد تتيح الرقي والتقدم لبعض الأشخاص، وقد تجعل بعـض الأشـخاص معـاقين أو يستخدمون الحد الأدنى من هذه القـدرات؛ ولـذا لا بـد للمجتمع من معرفة قدرات وإمكانيات أفراده، حتى يتيح لهـم فرصة التوجيه، في المجالات التي تتفق مع هذه الميول وتلك الإمكانيات.

وبناء على كل ما سبق تبارى العلماء منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا في ابتكار وسيلة أو وسائل تعين في ذلك، وكالعادة بدأت هذه الوسائل ضعيفة ومتفرقة، ومـع التـراكم الكمي لها أضحت حقائق ثابتة قابلة للفحص والاختبار، وقـد أتم الباحثون في أول عهدهم القياس العقلي إلى قياس بعـض العلامات والصفات الجسمية؛ طمعا في أن يحـددوا بعـض الدلائل على القوة العقلية، فبدأ القياس العقلي بقياس الـرأس وأبعاد الجمجمة وما بها من نتوءات، بحجة أن الرأس مستقر العقل. واستمر الحال حتى جاء بيرسون Bearson في أوائل القرن العشرين، وأثبت أن العلاقة بين القوة العقلية والـذكاء والمظاهر الجسمية علاقة جد ضعيفة؛ ولذا فقد وجه الأبحاث وجهة جديدة، ثم جاء فرنسيس جالتون بأفكار في هذا الأمر، وهنا عكف مجموعة من المشتغلين بعلم الـنفس التجريبـي والقياس النفسي على اختبار الفروض، والتي ذكرها جالتون وتارد، والخاصة بوجود الفروق بين الأفراد في العديد مـن القدرات الحسية Sensary والحركيـة Motore، والعقليـة Mentals. ولعل هؤلاء القادة قد أرسوا قواعد القياس لهـذا العلم، بل وظهرت مفـاهيم مثـل الـذكاء Intelliegance

واختبارات الذكاء Intelligance tests، بل وتعددت هـذه المقاييس.

ولعل البداية الحقيقية لتاريخ مقاييس الذكاء قد فرضـتها الظروف فرضا؛ إذ عثر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في غابة أفيرون (بضواحي باريس) على طفل في حالة بدائية للغاية، من حيث المظهر والسلوك؛ عرف من بعد باسم طفل "أفيرون المتوحش"؛ حيث وجد في حالة عري كامـل، طويل الأظافر، يميل في كافة سلوكياته إلى سلوك الحيوانات، مبتعدا تماما عن سلوك الإنسان، ولقد وثق هذا في تراث علم النفس الاجتماعي؛ لبيان أثر البيئة في اكتساب العديـد مـن السمات والصفات، وتم تسليم الطفل إلى عالم النفس أتيـارد Itard حتى يستخدم منجزات علم النفس فـي تحويـل هـذا الكائن الموحش إلى كائن إنساني، وأثمرت الجهـود ثلاثـة أعوام متواصلة دون أن يفلح إيتارد فـي زحزحـة الطفـل المتوحش عن سلوكه الحيواني، بل قام إيتارد بإعداد وتكوين أول مقياس كمي للذكاء الذي يستخدمه مع هذا الطفل، وكان ذلك المقياس يتكون من مجموعة من الاختبـارات العمليـة أو الأدائية Performance test، والتي تفـي فـي الواقـع

بقياس بعض جوانب القدرة الحركية، ولقد انتهى إتارد إلـى تشخيص حالة الطفل بأنه ضعيف العقول؛ بل وصنفه في فئه المعتوه وفقًا للنتائج التي توصل إليها مـن خـلال تطبيـق المقياس، وكذا من خلال عدم تقدم الطفل في تعلم أي شـيء حتى اللغة الإنسانية.

وفي الوقت الذي كان ألفرد بينيه Binat. A. منشغلاً في باريس بإعداد مقياسه الشـهير، كـان تشـارلز سـبيرمان Spearman منشغلاً فـي ذات الوقـت باسـتخدام طـرق الإحصاء (لغة العلم) على مفهوم الذكاء؛ لأنـه حالـة أنـه لا يوجد تعريف محدد بين العلماء لمفهوم الذكاء، بل استطاع أن يحصر ثلاث اتجاهات في تعريف الذكاء هي:

الاتجاه الأول-

يعكس وجهة نظر البعض في أن الذكاء ما هـو إلا قـوة عقلية خارقة (Super Power)، تحدد جميع قدرات الإنسان، وتجمعها في بوتقة واحدة.

الاتجاه الثاني:

ويعكس وجود قوة منفصلة تكون مفهـوم الـذكاء؛ مثـل التـ ـ ـ ـذكر Memory، والاسـ ـ ـ ـتدلال Rearoning، والإدراك Persception، والتخيل Imagimation، وهكذا.

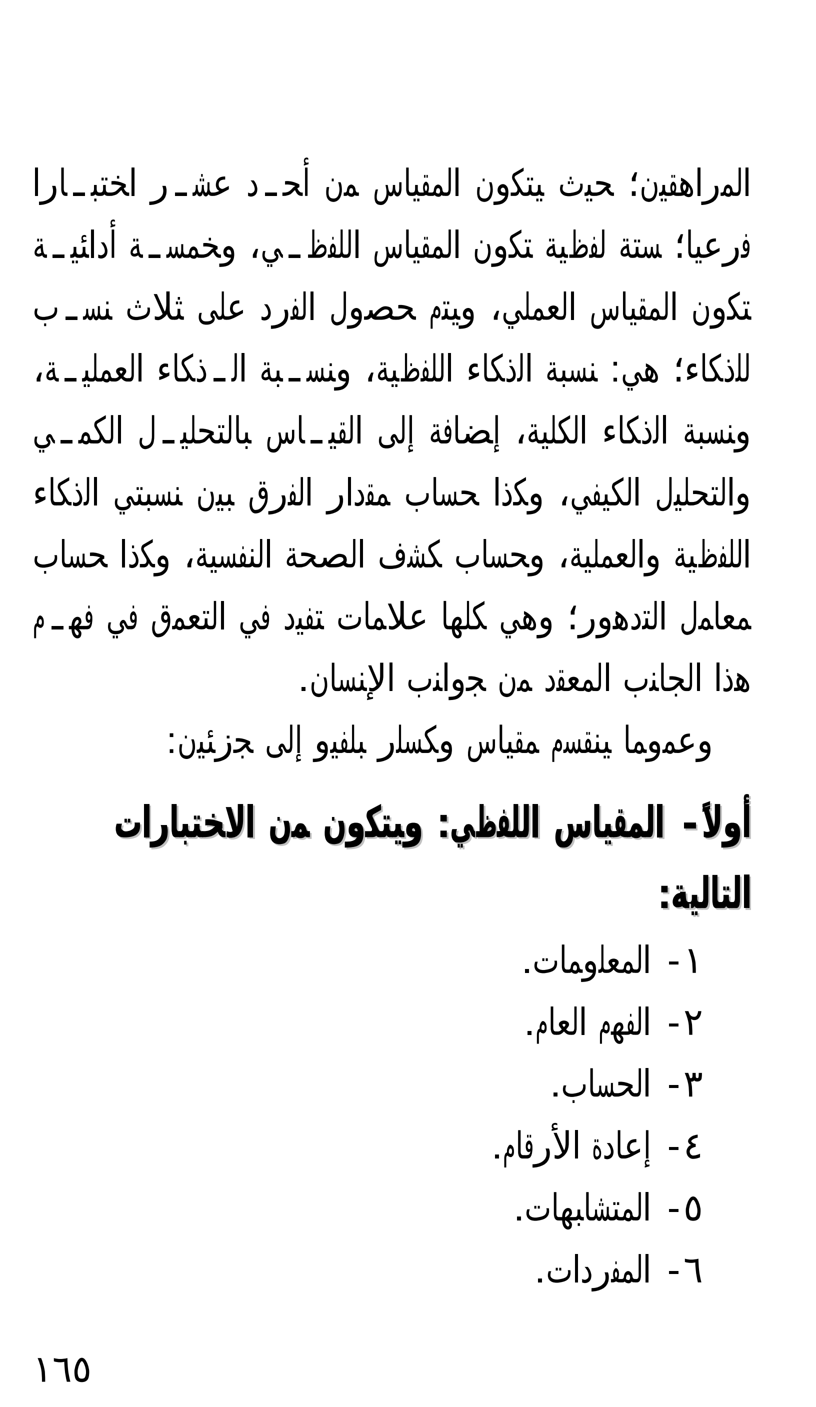
الاتجاه الثالث:

وهو اتجاه يعكس الـرأي السـائد بـين علمـاء الـنفس الأمريكان حينذاك، ويتمثل في الاعتقاد بأن الإنسـان يملـك حشدا هائلاً من القدرات الخاصة Special abilities، والتي لا ترتبط معا برباط موحد يجمع شتاتها في كـل متناسـق؛ بحيث إن كل قدرة من هذه القدرات مهيأة أصلاً لأداء وظيفة محدودة.

وبناء على هذا الكم من الاختلافات، وبعد جهود مضـنية لحل هذا اللغز؛ قام ببحوثه الرائدة والتي قادته عـام ١٩٠٤ إلى إرساء قواعد نظرية عن طبيعة الذكاء، والتي عرفت فيما بعد باسم نظر العاملين Fctars theeary؛ حيث تؤكد هـذه النظرية على وجود قدرة عامة، أسماها سـبيرمان بالعامـل العام ع، كما تؤكد على وجود قدرات خاصة أو طائفية يشيع فيها بنسبة مختلفة ذلك العامل ع، وإن كانت تحتوي على قدر

نوعي خاص، يميز كل قدرة عن غيرها من قدرات؛ وهـي العوامل الطائفية، بعد ذلك توالت الجهود فظهرت إلى الوجود عدة مقاييس أشهرها مقياس بينية/ سيمون، سواء في صورته الأولى ١٩٠٥، أو الثانية ١٩٠٨، أو الثالثة ١٩١١، والتـي دعمت من خلال هذه المراجعة العديد من المفاهيم الأم؛ مثل مفهوم العمر العقلي إلى العمر الزمني لاستخراج نسب الذكاء I. Q ، إضافة إلى إبراز حقيقة أنه كلما تقدم الفرد في العمر؛ ازدادت حدة الفروق بين ذكاء الموهوبين وضعاف العقـول، وقد أدت هذه الحقيقة إلى إبراز ضرورة ما يسـمى بالنسـبة المئوية؛ أي استخدام نسبة ناتجة عن المقارنة بـين العمـر وبين العقل وبين الزمن كدليل على حساب نسبة الذكاء. علما بأن مقياس بنيه قد أجريت عليه العديد من التعديلات؛ مثـل مراجعة ١٩١٦، ومراجعة ١٩٣٧؛ حيث تم إعداد صورتين متكافئتين من المقياس؛ هي الصورة ل، والصورة م، وكـذا مراجعة ١٩٦٠، وهكذا.

ثم تتواصل الجهود؛ فيقوم ديفيـد وكسـلر D. Wecsler بإعداد مجموعة من الاختبارات، والتي عرفت باسمه. لعـل أشهر هذه المقاييس مقياس وكسلر بلفيـو لـذكاء الراشـدين



المراهقين؛ حيث يتكون المقياس من أحـد عشـر اختبـارا فرعيا؛ ستة لفظية تكون المقياس اللفظـي، وخمسـة أدائيـة تكون المقياس العملي، ويتم حصول الفرد على ثلاث نسـب للذكاء؛ هي: نسبة الذكاء اللفظية، ونسـبة الـذكاء العمليـة، ونسبة الذكاء الكلية، إضافة إلى القيـاس بالتحليـل الكمـي والتحليل الكيفي، وكذا حساب مقدار الفرق بين نسبتي الذكاء اللفظية والعملية، وحساب كشف الصحة النفسية، وكذا حساب معامل التدهور؛ وهي كلها علامات تفيد في التعمق في فهـم هذا الجانب المعقد من جوانب الإنسان.

وعموما ينقسم مقياس وكسلر بلفيو إلى جزئين:

أولاً- المقياس اللفظي: ويتكون من الاختبارات التالية:

١- المعلومات.
٢- الفهم العام.
٣- الحساب.
٤- إعادة الأرقام.
٥- المتشابهات.
٦- المفردات.

ثانيا- المقياس العملي: ويتكون من الاختبارات التالية:

١- ترتيب الصور.

٢- تكميل الصور.

٣- تجميع الأشياء.

٤- رسوم المكعبات.

٥- رموز الأرقام

وهكذا تتواصل الجهود لإعداد مقاييس تحاول فهم هذا الجانب الإنساني؛ أي الذكاء.

تصنيف درجات الذكاء:

إن درجة ذكاء الفرد في حد ذاتها ليس لها معنى، بدون مقارنتها مع درجات أفراد آخرين يشتركون معه في العديد من الخصائص (العمر)، وقد تأكدت حقيقة أن الفروق بين الأفراد تأخذ شكل المنحنى الاعتدالي؛ بمعنى أن غالبية الأفراد يمتلكون درجة متوسطة من الذكاء، وكافة الخصائص والسمات، وقلة تمتلك من الصفة درجة أعلى، وفئة تمتلك من الصفة درجة أقل؛ بمعنى آخر: إن الفرد الأعظم من الناس

يتمتعون ـ كمثال ـ بدرجة متوسطة من الذكاء، في حين أن قلة من الناس تقع في فئة العباقرة، وفئة أخرى تقع في فئـة ضعاف العقول. وقد اتفق العلماء علـى تصـنيف درجـات الذكاء كالآتي:

- إذا كانت نسبة الذكاء أقل من ٢٠، أو ٢٥، فيكـون تصنيف الفرد فئة: معتوه.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٢٠ إلى ٢٥ فيكون تصنيف الفرد فئة: أبله.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٥٠ إلى ٧٠ فيكون تصنيف الفرد فئة: أهوج.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٧٠ فيكون تصنيف الفـرد فئة: ضعيف أو متخاف عقليا.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٧٠ إلى ٨٠ يعد الفرد في فئة الأغبياء.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٨٠ إلى ٩٠ يكـون ذكـاء الفرد دون المتوسط.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ٩٠ إلى ١١٠ يعد الفـرد متوسط الذكاء.

- إذا كانت نسبة الذكاء من ١١٠ إلى ١٢٠ يكون الفرد فوق المتوسط من ناحية الذكاء.
- إذا كانت نسبة الذكاء من ١٢٠ إلى ١٤٠ يعد الفـرد ذكي جدا.
- إذا كانت نسبة الذكاء أكبر مـن ١٤٠ يعـد الفـرد عبقريا.

الاتجاهات الحديثة في قياس الذكاء:

يتميز الاتجاه الحديث في قياس الذكاء بما تسميه أنتسازي النظرة الفارقة، ويتمثل ذلـك فـي ضـرورة زيـادة عـدد الاختبارات التي تقيس جوانب مختلفة مـن الـذكاء؛ بحيـث لا تعطي درجة واحدة كلية؛ بل تسمح لنا برسم تخطيط نفسي أو بروفيل Profile يوقف نقاط القوة والضعف في الخريطة النفسية والتعليم للشخص.

وعموما فإن هناك العديد من العوامل التي تقف خلف هذه النظرة وهي:

١- زيادة الاعتراف بالفروق الفردية داخل الفرد، بمعنى أن الفرد قد يكون متفوقًا في جانب، ومتوسطًا فـي عدة جوانب، وضعيف في جوانب أخـرى، ورغـم

معرفة هذه الحقيقة (من الناحية النظرية) إلا أنها تحتاج إلى تدعيم، وخاصة حين تكون هناك اختبارات مناسبة لذلك.

٢- زيادة الاعتقاد بأن ما يسمى اختبارات الذكاء العام أقل عمومية مما كان مفترضا منها؛ إذ إن تحليل محتوى العديد من الاختبارات التي تقيس درجة الذكاء؛ يبين أنها لم تتناول بالمقياس العديد من جوانب قدرات الفرد؛ فالفرد لا يمتلك ذكاء نظريا أو عمليا فقط، ولكن أيضا لديه ذكاء مجرد، وذكاء ميكانيكي، وذكاء اجتماعي؛ ولذا لا بد أن تأخذ مقاييس الذكاء هذه الجوانب في الاعتبار.

٣- التوسع في استخدام منهج التحليل العملي في الدراسة العملية للذكاء. وقد أمكن لعلماء النفس بهذا المنهج أن يتوصلوا إلى تحديد أدق للقدرات المختلفة التي يتضمنها الذكاء، بالإضافة إلى تصنيف هذه القدرات، والوصول إلى نماذج نظرية للتنظيم العقلي المعرفي. ومن هنا فكلما زادت المقاييس التي تقيس الذكاء؛ كلما زادت معرفتنا بهذا الجانب الهام.

نظريات الذكاء:

وصل الاهتمام بعلماء النفس إلى درجة وجود نظريـات تناقش هذه السمة الإنسانية. ولعل أشهر نظريات الذكاء:

أولاً- نظرية العاملين لسبيرمان:

أراد سبيرمان (١٨٦٣ ـ ١٩٤٥) مؤسس مدرسة تحليل العوامل أن يتحقق عن طريق التجربة والاختبار من صـحة الغرض الذي يؤمن به عامة الناس، وخلاصته: إن الذكي في مجال لا بد بالضرورة أن يكون ذكيا في مجـالات أخـرى؛ لذلك أجرى سبيرمان عام ١٩٠٤ عـددا مـن الاختبـارات العقلية، والاختبارات الدراسية، وحساب معامـل الارتبـاط بينهما للتأكد من هذه الحقيقة.

وقد توصل إلى الحقائق الآتية:

١- أن كل اختبار يؤثر في أدائه عاملان؛ عامـل عـام مشترك يؤثر في نتيجة هذا الاختبار، وعامل نوعي يقتصر أثره على هذا الاختبار وحده دون غيره؛ أي إن الإنسان لديه عاملين: العامل العـام المشـترك،

والعامل النوعي المخصـص لتمييـز الفـرد فـي قدرة ما.

٢- إن النجاح في الاختبارات التـي تقـيس العمليـات العقلية العليا؛ كالاستدلال، والابتكار، والفهم، والنقد، يتطلـــب قـــدرا كبيـــرا مـــن العامـــل المشترك G، أكثر من توقفه على العوامل النوعيـة أو الخاصة S، وقد يكون العامل العام قويا ومشبعا، في حين نجد أن الفرد ضعيف في العوامل الخاصة S كالعوامل الحسية أو الحركية أو الموسيقية.

٣- العامل العالم يؤثر في جميع القـدرات والعمليـات العقلية العليا (كالإدراك ـ التخيـل ـ التصـور ـ الإدراك.. إلخ) بنسب متفاوتة، وليس بنسبة واحـدة؛ وهذا ما يفسر تفوق بعض الأفراد في مجال علـى نظرائهم في نفس المجال.

٤- إن أحسن الاختبارات التي تقيس الذكاء كمـا يفهـم عامة الناس؛ هي أكثر الاختبارات تشـبعا بالعامـل العام؛ أي ما تضمن استنباط العلاقـات وأطرافهـا، خاصة العلاقات والمتعلقات الجديدة غير المألوفة.

ثانيا- نظرية ثرستون في الذكاء:

يرى ثرستون ممثل مدرسة تحليل العوامـل بأمريكـا أن ما يسميه سبيرمان بالذكاء أو العامل العـام؛ يمكـن تحليلـه أو رده إلى عدد من القدرات أو العوامل الأولية؛ ولـذا فقـد شرع في تطبيق هذه الفكرة بأن طبق عـددا ضـخما مـن الاختبارات اللفظية والعملية المنوعة التي يقتضـي أداؤهـا ما نسميه بالذكاء؛ على عدد ضخم مـن طـلاب المـدارس الثانوية وفي الجامعات، وحسب معامل الارتباط بـين كـل اختبار، وسائر الاختبارات الأخرى؛ فاتضحت لـه الحقـائق الآتية:

١- إن اختبارات الذكاء لا تقيس قدرة عامة واحدة؛ بـل تقيس سبعا من القدرات أو العوامل الأولية؛ وهي:

- القدرة على فهم معاني الألفاظ.
- الطلاقة اللفظية.
- القدرة العددية؛ وهي القدرة علـى عمـل العمليـات الحسابية الأربع (الجمع، الضرب، الطرح، القسمة).
- القدرة على التصور الصوري المكاني (أي تصـور العلاقات المكانية والأشكال والحكم عليها بدقة).

- سرعة الإدراك، وتتمثل في سرعة تعرف الشخص على أوجه الاختلاف والتشابه بين عدة أشياء.
- القـدرة علـى التـذكر الأصـم؛ أي الاسـترجاع، أو التعرف السريع على كلمات أو رسوم أرقام، دون أهمية لمعناها.
- القدرة على الاستدلال؛ أي القـدرة علـى اكتشـاف القاعدة التي تجمع بين مجموعة معينة من العناصر.

٢- إن هذه القدرات الأولية (السابق ذكرهـا) مسـتقل بعضها عن بعض استقلالاً نسبيا؛ بمعنى أن الشخص قد يتفوق بدرجة عالية في قدرة ما، وقد تكون قدرته ضعيفة في قدرة أخرى، وهكذا.. (أي إن القـدرات ليست واحدة).

٣- إن هذه القدرات يتضافر بعضها مـع بعـض فـي الإنتاج العقلي، خاصـة المعقـد، فيقـدر أن يقـوم الشخص بإنتاج معقد لا تؤثر فيـه هـذه القـدرات جميعا.

٤- يحبذ ثرستون اختبارات القدرات عـن اختبـارات الذكاء؛ لأنها تكشف بصورة جيدة من نواحي القـوة

ونواحي الضعف في الفرد، وإن الـذكاء مـا هـو إلا مركب يتألف من بضع قدرات أولية.

* قضايا في الذكاء:

يثير الذكاء العديد من القضايا نوجزها فيما يلي:

أولاً- العلاقة بين الذكاء والعمر:

أجرى العلماء العديد من الدراسات التي تحاول الإجابـة عن هذا التساؤل: هل العمر العقلي أو مستوى الذكاء ينمـو ويزداد مع تقدم الفرد في العمر؟ بمعنى آخـر: هـل هنـاك علاقة بين العمر والذكاء، وأن الإنسان كلما تقدم في العمـر والنضج ازدادت حدة ودرجة ذكائه؟

في الواقع إن التجارب والدراسات، بـل والملاحظـات، وحتى المقاييس قد أثبتت حقيقة أن العمر العقلي أو مسـتوى الذكاء ينمو ويزداد بسرعة في السنوات الأولى مـن حيـاة الفرد، ثم يبطئ نموه بالتدريج إلى سن ١٣، ثم يـزداد هـذا البطء وضوحا حتى سن ١٦ أو ١٨. أما بعـد هـذه السـن فلا تسجل المقاييس زيادة في النمو، بل إن الذكاء يأخذ فـي الانحدار ابتداء من سن ٣٠ تقريبا، وفي سن الخمسين تزداد

حدة الانحدار وسرعته، فإن أصاب المخ عطب أو تلف نتيجة إصابة أو تورم أو تلوث ميكروبي، أو تصلب في شـرايينه؛ كان الانحدار سريعا، علما بأن الحد الأعلـى لنمـو الـذكاء يتوقف على نسبة ذكاء الفرد، فإن كان غبيا وقف نموه العقلي عند سن ١٤ أو ما دون ذلك، وإن كـان ذكيـا أو موهوبـا استمر نموه العقلي حتى سن ٢٠ أو ٢٥.

ولكن هل معنى ما سبق أن مستوى ذكاء الفـرد يتوقـف كلما تقدم العمر؟ وهل معنى ذلك أيضا أن ذكاء الطفل يتفوق على ذكاء الراشد أو الكهل؟ في الواقع إن الـذكاء والتقـدم العقلي لا يتوقف فقط على الذكاء؛ بـل هنـاك العديـد مـن العوامل الأخرى التي تساهم في زيادة النشاط العقلي للفـرد؛ مثل القدرة على التعليم والاستفادة مـن الخبـرات السـابقة، ومستوى تفكير الشخص، ومهارة التعامل مع مفردات البيئـة الخارجية؛ وهي عوامل تتراكم مع تقدم الفرد فـي العمـل، ويكون استخدامه لها أفضل، إضافة إلى ضرورة أن نتـذكر أن عقولنا لا تبدأ في النمو إلا بعد أن يتم نمو ذكائنا، فالحكمة والثقافة والتذوق لا تبدأ في التفتح إلا بعد السادسـة عشـرة

تقريبا؛ ذلك لأن خبراتنا وتحصيلنا الفكري في الطفولة كـان يقوم على ذكاء فج غير مكتمل.

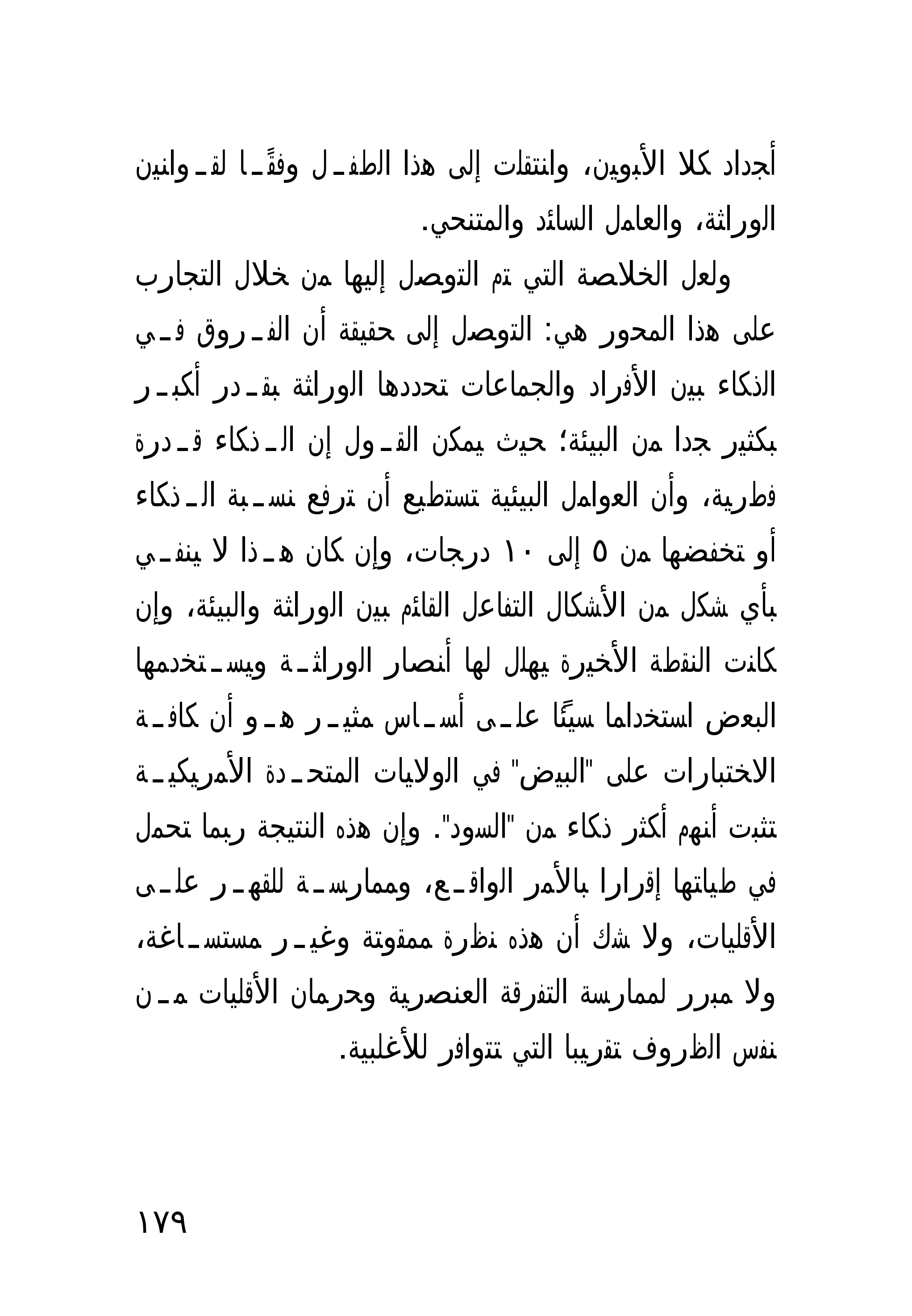
بقي أخيرا أن نشير إلى أن الأبحاث لم تجـد أي علاقـة تذكر بين حجم المخ ودرجة الذكاء، بل وجد عدم توازن بين زيادة وزن المخ ونمو الذكاء.

ثانيا- العلاقة بين الذكاء والوراثة والبيئة:

أثير جدل بين العلماء حول دور الوراثة في الذكاء، ودور البيئة في الذكاء، ووصل الخلاف بين العلماء إلى أن جعلهـا أصحاب مبدأ الوراثة هي العامل الأوحد في الذكاء، في حين أن معسكر البيئة قد ألغى تماما أي أثر للوراثة في الـذكاء، ورد الذكاء إلى عوامل البيئة وأساليب التربية، وهذا الموقف قد حدا بطائفة ثالثة إلى اللجوء للتجريب لحسم هذه القضـية بتقدير أثر البيئة، ثم اللجوء إلى دراسة أفراد لهـم جينـات وراثية واحدة (أي التوأم المتطابق) نشئوا في بيئات مختلفة، ولتقدير أثر الوراثة درسوا أفرادا لهم جينات وراثية مختلفـة نشئوا في بيئة واحدة أو متشابهة على قدر الإمكـان؟ فمـاذا كانت النتيجة؟ تم تطبيق اختبارات للذكاء على توائم متطابقة وعلى إخوة عاديين، وتم حساب معاملات الارتباط بين كـل

فئة على حدة؛ فكانت النتيجة أن درجات المجموعة الأولـى في الذكاء أكثر تقاربا من مجمـوع درجـات المجمـوعتين الأخيرتين، وتم التحليل لهذه النتيجة على أساس أنها إثبـات لأثر الوراثة في الذكاء، لكن أنصار البيئة من العلمـاء لـم يتركوا الفرصة لأنصار الوراثة، واتخذوا من النتائج والأرقام التي تم التوصل إليها دليلاً يؤيد نظريتهم، بدليل أن التـوائم غير المتطابقة لا يزيد تشابههم الوراثي فـي الـذكاء علـى الإخوة غير التوائم، فإذا ظهر أنهم أقرب في الذكاء من أخوة غير توائم؛ فلا بد أن ذلك يرجع إلى البيئة؛ فهـم يتعـاملون نفس المعاملة تقريبا، وتتـوافر أو تثبـت أو تتوحـد كافـة الظروف في البيئة، بعبارة أخرى؛ فبيئة التوائم المتطابقة تكاد تكون واحدة؛ لذا يكون ذكاؤهم واحدا، في حـين أن التـوائم اللا متطابقة مختلفة إلى حدٍ ما في الذكاء، فذكاؤهم مختلـف، أما بيئة الإخوة غير التوائم فأشد اختلافًا؛ لذا كـان ذكـاؤهم أكثر اختلافًا؛ أي التقارب في الذكاء يرجع في نظر أنصـار البيئة إلى البيئة لا الوراثة. ونحن لكي نحسم هـذه القضـية لا بد من إجراء المزيد من التجارب، وخاصة على التـوائم المتطابقة التي تنشأ في بيئات ثقافيـة متنوعـة أو مختلفـة.

وبالفعل أجريت بعض الدراسات القليلة في هذا الصدد فوجدت أن البيئات الثقافية الجيدة تؤدي بلا شك إلى تحسين في درجات الذكاء، مقارنة بالأفراد الذين يعيشون في بيئات فقيرة ثقافية، وفي هذا دليل على أن أثر البيئة يكون محدودا في تعيين الذكاء، وأن أثر الوراثة أكبر بكثير من أثر البيئة، والأكثر من ذلك أن التوائم المتطابقة تكون أكثر تقاربا في الذكاء من التوائم الغير متطابقة التي تربت معها، وإن ذكاء الأطفال قريب من ذكاء آبائهم حتى وإن نشئوا في بيئة غير بيئة آبائهم، كما أن دراسة ذكاء أطفال الملاجئ - حيث تتشابه كافة الظروف البيئية - أكدت حقيقة أن الفروق الفردية في الذكاء بين أطفال الملجأ الواحد تكاد تكون كالفروق الفردية بين الأطفال خارج الملجأ، علما بأن الفروق في الذكاء بين أفراد طبقة اجتماعية تكون أكبر بكثير من الفروق بين متوسطات الطبقات الاجتماعية المختلفة. ومما يؤيد رأي أنصار الوراثة أنه كثيرا ما يتصادف أن ينجب أبوين عبقريين ابنًا متخلفًا أو تقل درجة ذكائه بكثير عن درجة ذكاء والديه. ولعل التفسير الوراثي لمثل هذه الحالة (أو العكس) هو وجود من كان يعاني من التخلف العقلي بين



أجداد كلا الأبوين، وانتقلت إلى هذا الطفل وفقًا لقوانين الوراثة، والعامل السائد والمتنحي.

ولعل الخلاصة التي تم التوصل إليها من خلال التجارب على هذا المحور هي: التوصل إلى حقيقة أن الفروق في الذكاء بين الأفراد والجماعات تحددها الوراثة بقدر أكبر بكثير جدا من البيئة؛ حيث يمكن القول إن الذكاء قدرة فطرية، وأن العوامل البيئية تستطيع أن ترفع نسبة الذكاء أو تخفضها من ٥ إلى ١٠ درجات، وإن كان هذا لا ينفي بأي شكل من الأشكال التفاعل القائم بين الوراثة والبيئة، وإن كانت النقطة الأخيرة يهلل لها أنصار الوراثة ويستخدمها البعض استخداما سيئًا على أساس مثير هو أن كافة الاختبارات على "البيض" في الولايات المتحدة الأمريكية تثبت أنهم أكثر ذكاء من "السود". وإن هذه النتيجة ربما تحمل في طياتها إقرارا بالأمر الواقع، وممارسة للقهر على الأقليات، ولا شك أن هذه نظرة ممقوتة وغير مستساغة، ولا مبرر لممارسة التفرقة العنصرية وحرمان الأقليات من نفس الظروف تقريبا التي تتوافر للأغلبية.

ثالثًا- الذكاء لدى الجنسين (الذكور/ الإناث):

هل صحيح أن درجة الذكاء لدى الذكور أعلى بكثير مـن درجة الذكاء بين الإناث؟ أم أن الواقع يوضح أنـه لا فـرق أساسي بين الرجل والمرأة في مسألة الذكاء؟ وهل صحيح أن النساء ناقصات عقل؟ وأن الرجل دائما يتمتع بالذكاء والمرأة قليلة الذكاء؟ إن الدراسات القليلة التي أجريت في هذا الصدد أوضحت أنه لا فرق بين ذكاء المرأة وذكـاء الرجـل، وأن الجنسين متشابهين في هذه الخاصية، لكن هناك حقيقة هامـة كشفت عنها هذه الدراسات؛ ألا وهي تزايـد الفـارق بـين متوسط الذكاء في الذكور عنه لـدى الإنـاث؛ إذ إن عـدد المتفوقين أو البارزين في مجـالات مختلفـة، وكـذا عـدد المتخلفين عقليا من الذكور؛ نسبتهم أعلى بكثير من مثيلاتهـا عند الإناث، بيد أن اتساع الهوة في الفـروق الفرديـة بـين الذكور لا يرجع إلى عوامل وراثية في الأغلب، بـل إلـى عوامل اجتماعية وحضارية وحتى دينية؛ فالمجتمع قد حـدد منذ الأزل للمرأة وظائف معينة، غالبـا لا تتطلـب مهـارة أو اختراعا، كما أنها في الأغلب لا تعمل إلا داخل المنـزل، ولا تواجه مثل تلك الضغوط Stmem التي يواجهها الرجـل

في الظروف الخارجية، ولا شك أن هذه الظروف تنعكس ليس فقط على البنيان أو النشاط العقلي للرجل؛ بل حتى على بنيانه الجسدي حيث يكسبه العمل الشاق القوة والمتانة الجسدية، ويفجر فيه كافة طاقته؛ وهي فرص نادرا ما تتاح للرجل، لكن مع خروج المرأة لبعض المجتمعات ظهرت المرأة المتفوقة، وكذا المتخلفة (والتي تمتهن مهن النظافة وحتى البقاء في الطبقات الأخرى)، وهذا يفسر أن تمتع الرجل بالذكاء أو حتى بممارسة بعض السلوكيات المنحرفة (كالتدخين مثلاً) ليس قاصرا على الرجال، بل حين تتاح نفس الفرص للمرأة؛ فإنها تظهر إمكانياتها خلال العمل الاجتماعي المنتج، والذي يتطلب نسبا مختلفة من الذكاء؛ إذا إن المهن تتطلب التخطيط والتصميم والحكم والابتكار، والقدرة على اتخاذ القرار وسعة الأفق، وتقبل الجديد أو ما يستجد من المشاكل، والتعرض لضغوط العمل، ولكن أيضا للنجاح في الدراسة والعلاقات مع الآخرين، وهي جميعا تحديات لن تنكشف والمرأة - على سبيل المثال - قابعة في المنزل تمارس أعمالاً روتينية ومتكررة وما إليه لا تتطلب كشفًا عن هذه الإمكانيات.

الفصل السادس

جوانب اهتمام الفروق الفردية

مقدمة

إن الذكاء ليس هو كل شـيء للوصـول إلـى النجـاح، وخاصة النجاح في المهـن والدراسـات؛ لأنهـا تقتضـي استعدادات وقدرات خاصة، فتفـوق الفـرد فـي الجانـب الميكانيكي إنما يشير إلى وجود قـدرة لديـه علـى إدراك الطريقة التي تتوافق بها الأجزاء مع بعضها البعض، وهكـذا في كافة جوانب النبوغ، سـواء أكانـت فنيـة أو رياضـية أم لغوية، وهكذا.

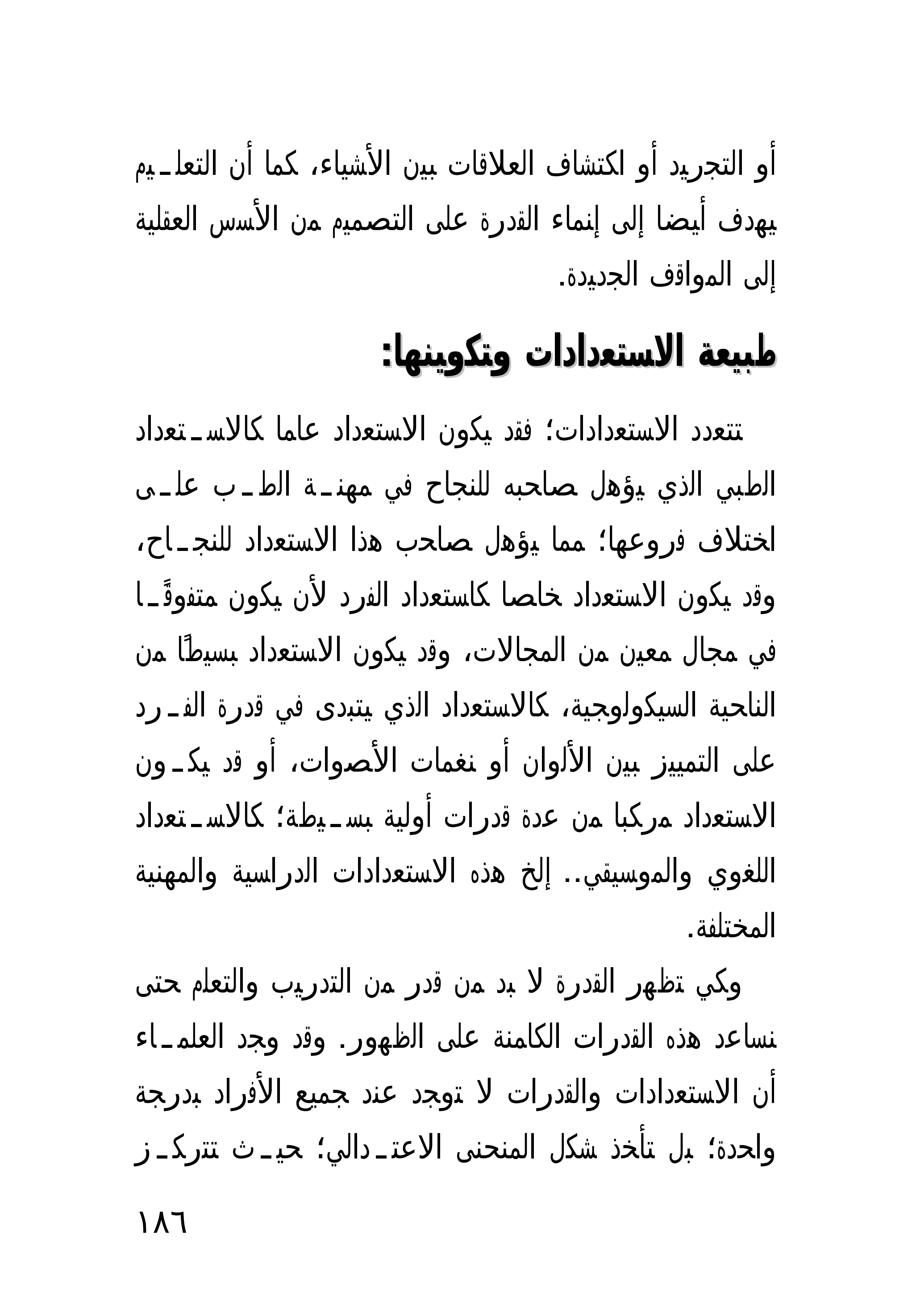
ولذا فقد سار علماء النفس في مسارين مختلفين في عمل الاختبارات لتحديد مثل هذه المواهب أو القدرات الخاصـة، ولم يعد علماء النفس يرون أن اختبارات الذكاء تقيس قـدرة "فطرية" نقية، ولكنهم يرون أنهم يقيسون مزيجا يمكن تحليله من الإمكانية الفطرية والخبرة التربوية، وتنطبق هذه النتيجة على الأنواع الأخرى من الاختبارات الخاصـة بالاسـتعداد، فالقدرة التي تقيسها اختبارات الاستعداد الميكانيكي هي جزئيا نتاج للخبرة الميكانيكية، والقدرة التي يقيسها اختبار الاستعداد

الكتابي هي جزئيا نتاج لأي خبرات أدت إلـى حـدة إدراك الشخص للتفاصيل الدقيقـة، وهكـذا فيمـا يتعلـق ببـاقي الاستعدادات.

وعموما فإن تقسيم القدرات إلى عدة أنواع هام جدا، على الأقل من الناحية الاجتماعية، وإن كان ذلك يتطلب ضـرورة حساب الصدق؛ أي أن يكون الاختبار صادقًا في قياسه للسمة أو القدرة التي صمم لقياسها، مع ضـرورة أن يـذكر مـع الاختبار كافة الطرق التي لجأ إليها حتى يتأكد تمامـا مـن صدق قياسه، وبالتالي من صدق نتائجه. ويقصـد بالقـدرة Ability كل ما يستطيع الفرد أداءه في اللحظة الحاضـرة؛ من أعمال عقلية أو حركية، سواء أكان ذلك نتيجة تـدريب، أو من دون تدريب؛ كالقدرة على ركوب الدراجات، أو تذكر مقاطع من قصيدة شعرية، أو عزف قطعة موسيقية، في حين يعرف الاستعداد Aptitude بأنه قدرة الفرد الكافية على أن يتعلم بسرعة وسهولة، وأن يصل إلى مسـتوى عـالٍ مـن المهارة في مجال معين، من خلال لحظات معينـة؛ مثـل: الوصول إلى مستوى أعلى من الكفاءة، بمجهود أقـل وفـي وقت أقصر؛ أي إن إنتاجه يكون أسرع وأعلـى مـن ذوي

الاستعداد المنخفض، ومن خلال مقارنة أداء الفرد بأداء شخص آخر في نفس القدرة. ويرى البعض أن الاستعداد سابق على القدرة؛ فهو قدرة كافية يحيلها النضج الطبيعي والتعلم من قدرة كافية إلى قدرة فعلية (ويذكرنا ذلك بقول أرسطو الوجود بالقوة والوجود بالفعل). ونحن نستدل على وجود الاستعداد عند الفرد في قدرة معينة من خلال قدرته على التعلم السهل، وعلى التفوق والنبوغ بأقل مجهود وبتفوق ملحوظ.

وهنا لو كان من العلماء من يقرن بين الاستعداد والقدرة والتحصيل، على أساس أن الشخص الأذكى يكون أقدر على التعلم من الشخص الأقل ذكاء، وكذلك فإن من يحصل على درجة مرتفعة في اختبار تحصيلي للحساب مثلاً يكون أقدر غالبا على تعلم الحساب ممن يحصل على درجة منخفضة، وكذلك يصعب أن نميز بين اختبارات الذكاء والاستعداد والتحصيل، على أساس أن المضمون أو المحتوى يتداخل في هذه الفئات الثلاث، كما يصعب أيضا التمييز بينهم على أساس العملية المطلوبة في الاستجابة للاختبار؛ ففي التحصيل نستدعي ما تعلمناه، وفي الذكاء تظهر القدرة على التصميم

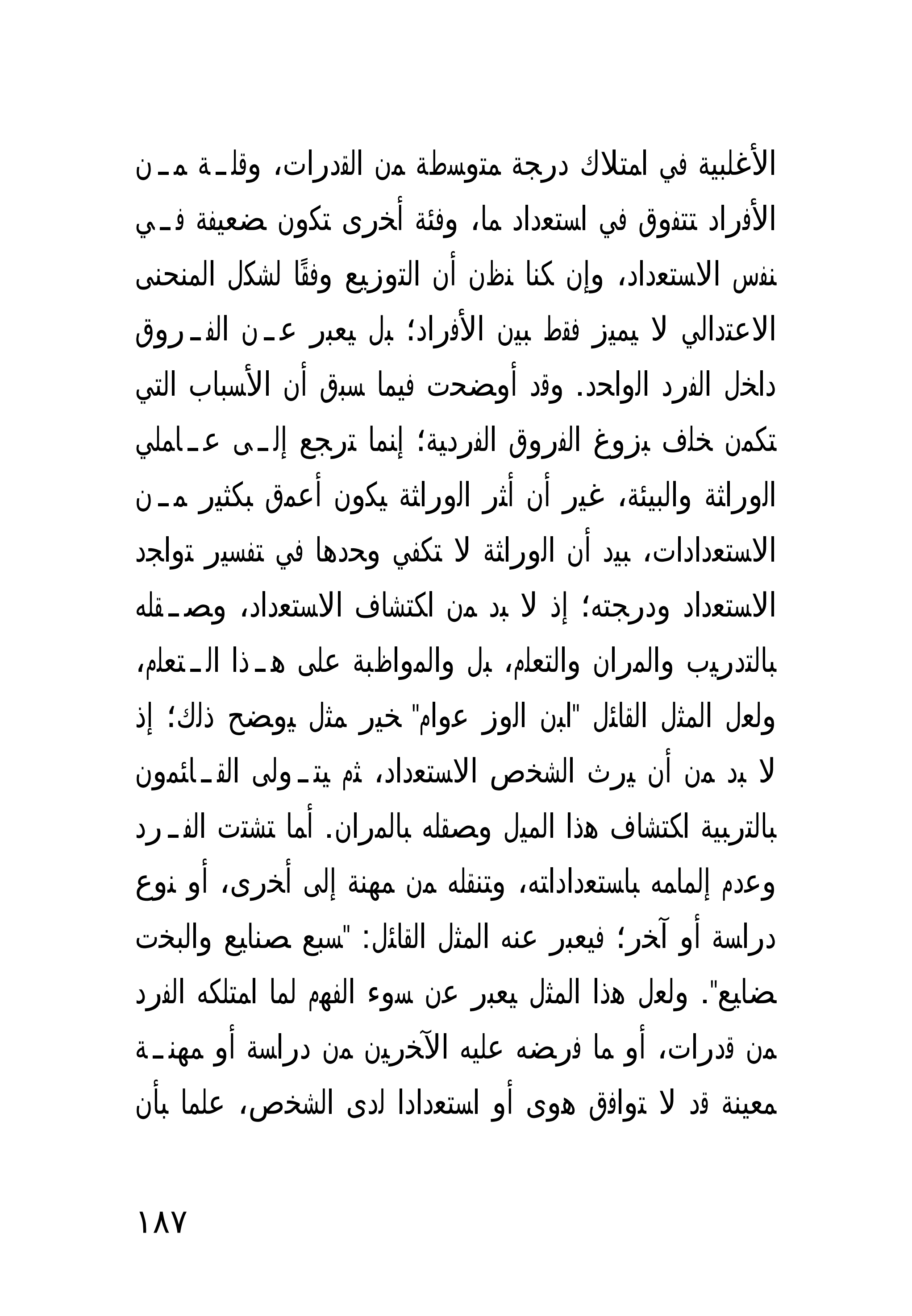


أو التجريد أو اكتشاف العلاقات بين الأشياء، كما أن التعليم يهدف أيضا إلى إنماء القدرة على التصميم من الأسس العقلية إلى المواقف الجديدة.

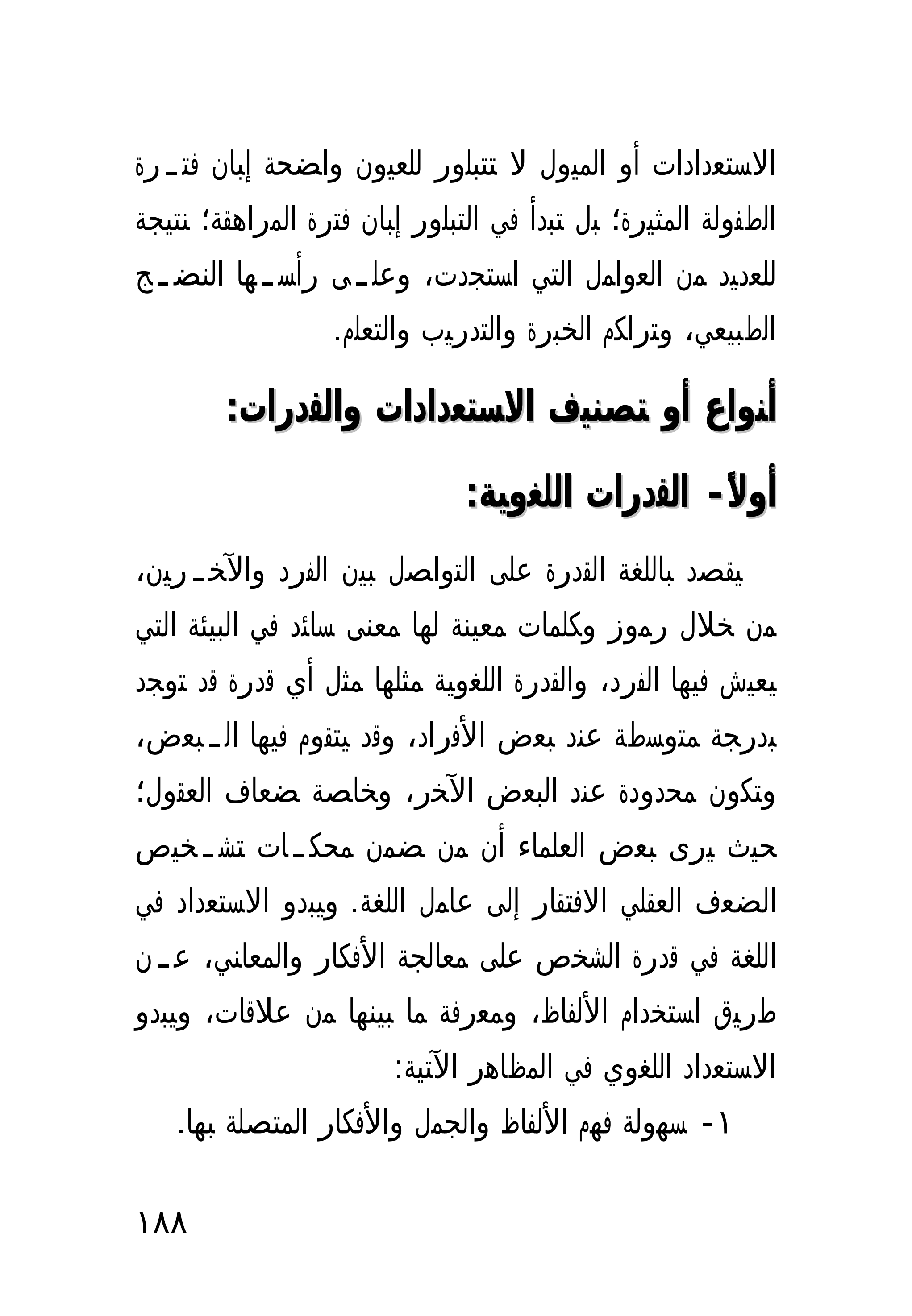
طبيعة الاستعدادات وتكوينها:

تتعدد الاستعدادات؛ فقد يكون الاستعداد عاما كالاستعداد الطبي الذي يؤهل صاحبه للنجاح في مهنة الطب على اختلاف فروعها؛ مما يؤهل صاحب هذا الاستعداد للنجاح، وقد يكون الاستعداد خاصا كاستعداد الفرد لأن يكون متفوقًا في مجال معين من المجالات، وقد يكون الاستعداد بسيطًا من الناحية السيكولوجية، كالاستعداد الذي يتبدى في قدرة الفرد على التمييز بين الألوان أو نغمات الأصوات، أو قد يكون الاستعداد مركبا من عدة قدرات أولية بسيطة؛ كالاستعداد اللغوي والموسيقي.. إلخ هذه الاستعدادات الدراسية والمهنية المختلفة.

وكي تظهر القدرة لا بد من قدر من التدريب والتعلم حتى تساعد هذه القدرات الكامنة على الظهور. وقد وجد العلماء أن الاستعدادات والقدرات لا توجد عند جميع الأفراد بدرجة واحدة؛ بل تأخذ شكل المنحنى الاعتدالي؛ حيث تتركز



الأغلبية في امتلاك درجة متوسطة من القدرات، وقلة من الأفراد تتفوق في استعداد ما، وفئة أخرى تكون ضعيفة في نفس الاستعداد، وإن كنا نظن أن التوزيع وفقًا لشكل المنحنى الاعتدالي لا يميز فقط بين الأفراد؛ بل يعبر عن الفروق داخل الفرد الواحد. وقد أوضحت فيما سبق أن الأسباب التي تكمن خلف بزوغ الفروق الفردية؛ إنما ترجع إلى عاملي الوراثة والبيئة، غير أن أثر الوراثة يكون أعمق بكثير من الاستعدادات، بيد أن الوراثة لا تكفي وحدها في تفسير تواجد الاستعداد ودرجته؛ إذ لا بد من اكتشاف الاستعداد، وصقله بالتدريب والمران والتعلم، بل والمواظبة على هذا التعلم، ولعل المثل القائل "ابن الوز عوام" خير مثل يوضح ذلك؛ إذ لا بد من أن يرث الشخص الاستعداد، ثم يتولى القائمون بالتربية اكتشاف هذا الميل وصقله بالمران. أما تشتت الفرد وعدم إلمامه باستعداداته، وتنقله من مهنة إلى أخرى، أو نوع دراسة أو آخر؛ فيعبر عنه المثل القائل: "سبع صنايع والبخت ضايع". ولعل هذا المثل يعبر عن سوء الفهم لما امتلكه الفرد من قدرات، أو ما فرضه عليه الآخرين من دراسة أو مهنة معينة قد لا توافق هوى أو استعدادا لدى الشخص، علما بأن


الاستعدادات أو الميول لا تتبلور للعيون واضحة إبان فتـرة الطفولة المثيرة؛ بل تبدأ في التبلور إبان فترة المراهقة؛ نتيجة للعديد من العوامل التي استجدت، وعلـى رأسـها النضـج الطبيعي، وتراكم الخبرة والتدريب والتعلم.

أنواع أو تصنيف الاستعدادات والقدرات:

أولاً- القدرات اللغوية:

يقصد باللغة القدرة على التواصل بين الفرد والآخـرين، من خلال رموز وكلمات معينة لها معنى سائد في البيئة التي يعيش فيها الفرد، والقدرة اللغوية مثلها مثل أي قدرة قد توجد بدرجة متوسطة عند بعض الأفراد، وقد يتقوم فيها الـبعض، وتكون محدودة عند البعض الآخر، وخاصة ضعاف العقول؛ حيث يرى بعض العلماء أن من ضمن محكـات تشـخيص الضعف العقلي الافتقار إلى عامل اللغة. ويبدو الاستعداد في اللغة في قدرة الشخص على معالجة الأفكار والمعاني، عـن طريق استخدام الألفاظ، ومعرفة ما بينها من علاقات، ويبدو الاستعداد اللغوي في المظاهر الآتية:

١- سهولة فهم الألفاظ والجمل والأفكار المتصلة بها.

٢- إدراك ما بين الألفاظ، أو ما بين الجمل من علاقات مختلفة (تشابه/ تضاد).

٣- سهولة التعبير التحريري والشفوي.

٤- استرجاع أكبر عدد من الألفاظ في وقت أقل.

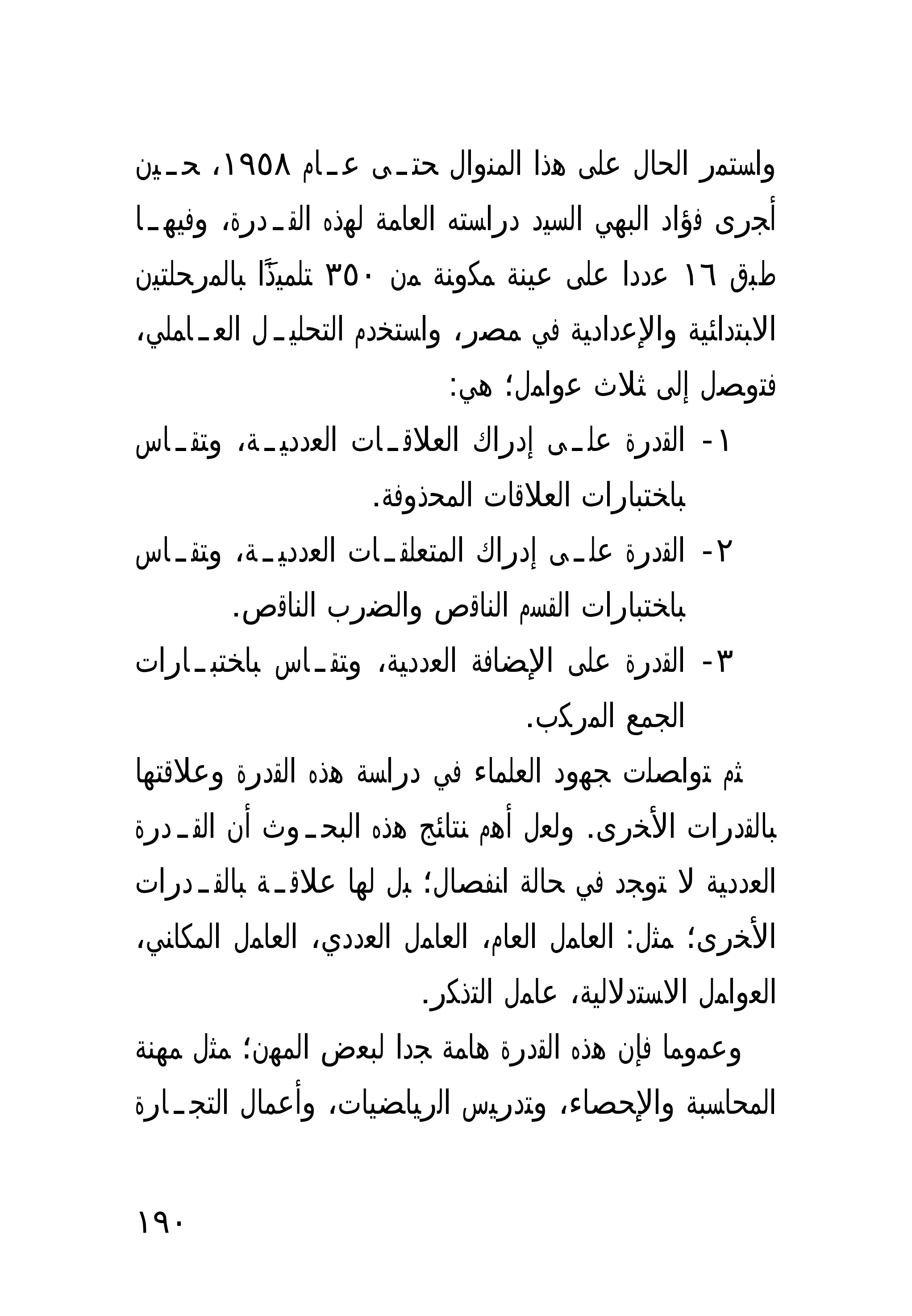
٥- القدرة على انتقاء الكلمات المناسبة للجملة.

٦- السرعة على إنتاج موضوع متماسك؛ وهو جزء من عامل القدرة على طلاقة الكلمات.

٧- القدرة على التسمية Naming؛ بمعنى إطلاق مسميات على أشياء غير مألوفة من قبل، ولا يخفى أن الاستعداد اللغوي ضرورة للنجاح في مهن محدودة؛ مثل: التأليف، والتحرير، والخطابة، والصحافة، والتدرب، والمحاماة، وكل من له صلة أو علاقة بالجمهور أو إدارة جلسات الاجتماع.

ثانيا- القدرات الحسابية:

يقصد بالقدرة الحسابية أو العددية أو الرياضية؛ قدرة الفرد على استخدام الأعداد، وفهم ما بينها من علاقات ذات دلالة، وسرعته ودقته في إجراء العمليات الحسابية، وقد كان من المظنون أن القدرة العددية قدرة واحدة أو أحادية،



واستمر الحال على هذا المنوال حتـى عـام ١٩٥٨، حـين أجرى فؤاد البهي السيد دراسته العامة لهذه القـدرة، وفيهـا طبق ١٦ عددا على عينة مكونة من ٣٥٠ تلميذًا بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية في مصر، واستخدم التحليـل العـاملي، فتوصل إلى ثلاث عوامل؛ هي:

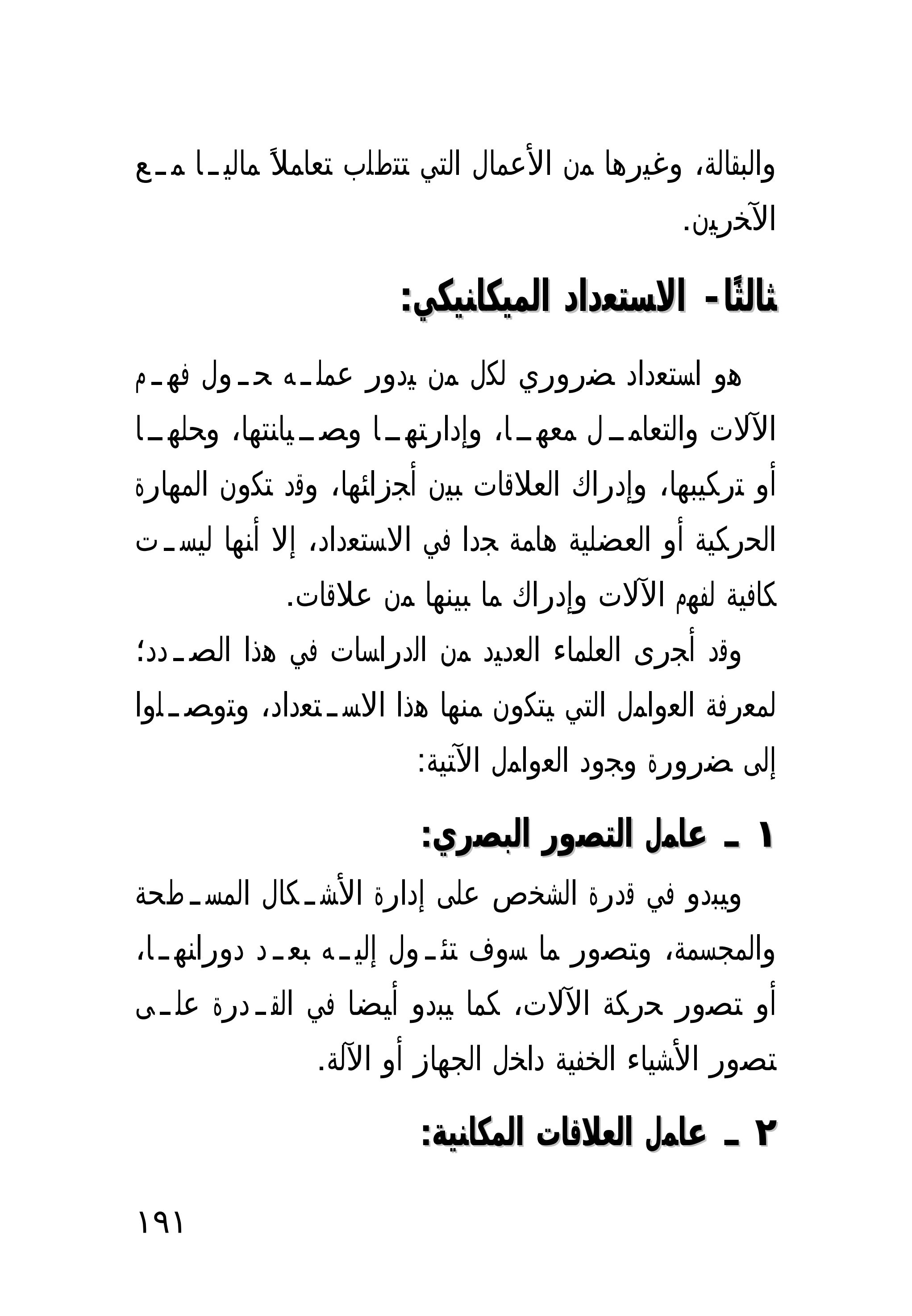
١- القدرة علـى إدراك العلاقـات العدديـة، وتقـاس باختبارات العلاقات المحذوفة.

٢- القدرة علـى إدراك المتعلقـات العدديـة، وتقـاس باختبارات القسم الناقص والضرب الناقص.

٣- القدرة على الإضافة العددية، وتقـاس باختبـارات الجمع المركب.

ثم تواصلت جهود العلماء في دراسة هذه القدرة وعلاقتها بالقدرات الأخرى. ولعل أهم نتائج هذه البحـوث أن القـدرة العددية لا توجد في حالة انفصال؛ بل لها علاقـة بالقـدرات الأخرى؛ مثل: العامل العام، العامل العددي، العامل المكاني، العوامل الاستدلالية، عامل التذكر.

وعموما فإن هذه القدرة هامة جدا لبعض المهن؛ مثل مهنة المحاسبة والإحصاء، وتدريس الرياضيات، وأعمال التجـارة



والبقالة، وغيرها من الأعمال التي تتطلب تعاملاً ماليـا مـع الآخرين.

ثالثًا- الاستعداد الميكانيكي:

هو استعداد ضروري لكل من يدور عملـه حـول فهـم الآلات والتعامـل معهـا، وإدارتهـا وصـيانتها، وحلهـا أو تركيبها، وإدراك العلاقات بين أجزائها، وقد تكون المهارة الحركية أو العضلية هامة جدا في الاستعداد، إلا أنها ليسـت كافية لفهم الآلات وإدراك ما بينها من علاقات.

وقد أجرى العلماء العديد من الدراسات في هذا الصـدد؛ لمعرفة العوامل التي يتكون منها هذا الاسـتعداد، وتوصـلوا إلى ضرورة وجود العوامل الآتية:

١ ـ عامل التصور البصري:

ويبدو في قدرة الشخص على إدارة الأشـكال المسـطحة والمجسمة، وتصور ما سوف تئـول إليـه بعـد دورانهـا، أو تصور حركة الآلات، كما يبدو أيضا في القـدرة علـى تصور الأشياء الخفية داخل الجهاز أو الآلة.

٢ ـ عامل العلاقات المكانية:

ويبدو في قدرة الشخص على تقدير المسافات والأبعاد بدقة، وكذا ملاحظة ما بين الأشكال من تشابه واختلاف.

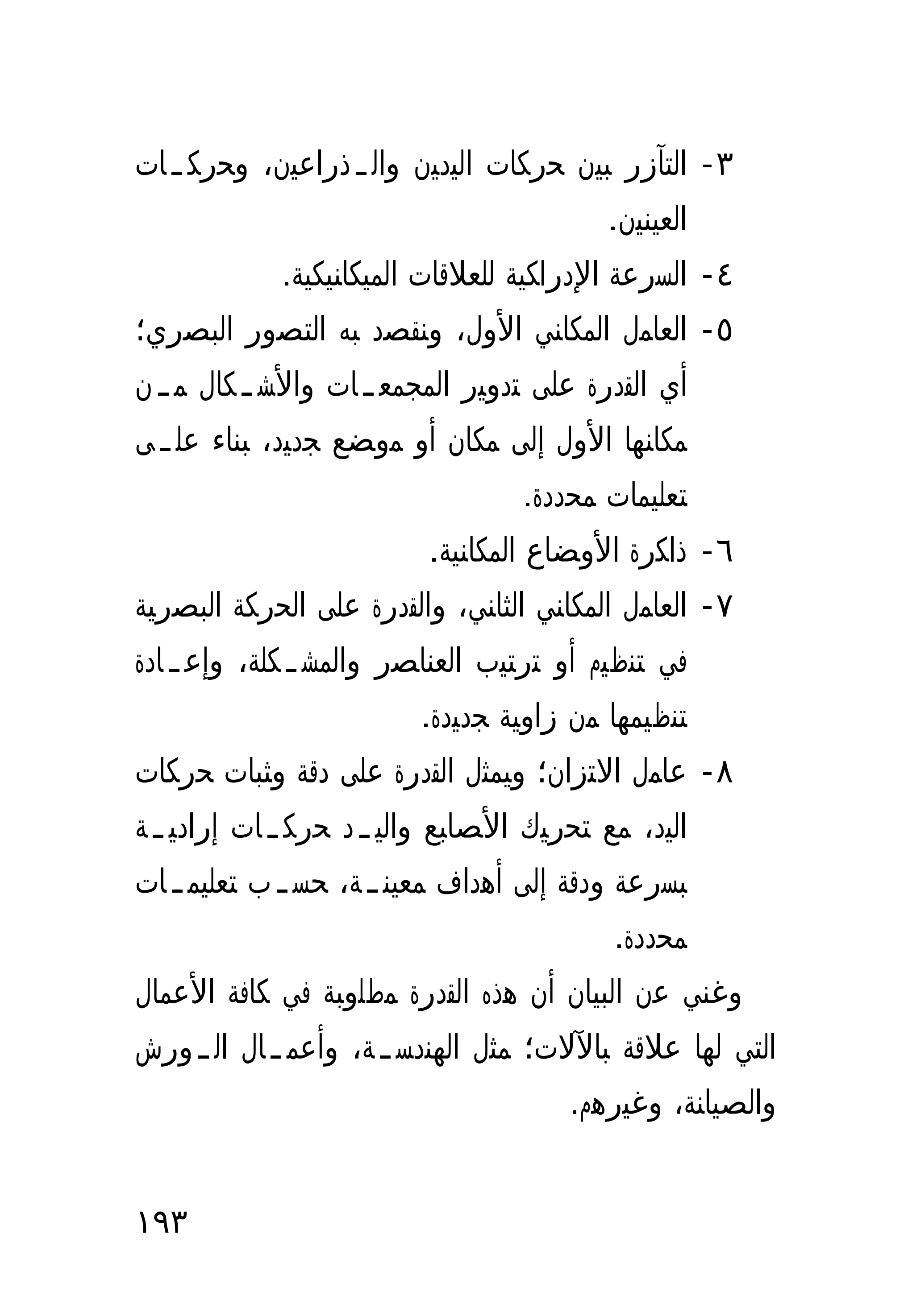
٣ ـ عامل المعلومات الميكانيكية:

ويقتضي ضرورة توافر ما يسمى الذكاء الميكانيكي، والذي يتطلب إلمام الشخص بالعديد من المعارف والمعلومات؛ بل والمهارات حول هذا المجال الميكانيكي.

ولعل أبرز الدراسات المصرية التي أجريت حول هذا العامل؛ دراسة محمود عبد القادر سنة ١٩٦٣؛ حيث اختار مجموعة من المهندسين الميكانيكيين، وطلب منهم اختيار مجموعة محتملة من الأعمال الميكانيكية، والتي تعبر عن الأعمال الميكانيكية الموجودة في مصر، ثم طبق منهج التحليل العاملي على هذه الأعمال، ثم أعد بطارية تتألف من ١٩ اختبارا، طبقها على عينة من التلاميذ للتوصل إلى مجموعة العوامل التي تتكون منها القدرة الميكانيكية، وتوصل إلى (٨) عوامل هي:

١- الاستدلال الميكانيكي.

٢- مهارة الأصابع واليدين.



٣- التآزر بين حركات اليدين والـذراعين، وحركـات العينين.

٤- السرعة الإدراكية للعلاقات الميكانيكية.

٥- العامل المكاني الأول، ونقصد به التصور البصري؛ أي القدرة على تدوير المجمعـات والأشـكال مـن مكانها الأول إلى مكان أو موضع جديد، بناء علـى تعليمات محددة.

٦- ذاكرة الأوضاع المكانية.

٧- العامل المكاني الثاني، والقدرة على الحركة البصرية في تنظيم أو ترتيب العناصر والمشـكلة، وإعـادة تنظيمها من زاوية جديدة.

٨- عامل الاتزان؛ ويمثل القدرة على دقة وثبات حركات اليد، مع تحريك الأصابع واليـد حركـات إراديـة بسرعة ودقة إلى أهداف معينـة، حسـب تعليمـات محددة.

وغني عن البيان أن هذه القدرة مطلوبة في كافة الأعمال التي لها علاقة بالآلات؛ مثل الهندسـة، وأعمـال الـورش والصيانة، وغيرهم.

رابعا- القدرات الكتابية:

تعد الوظائف الكتابية العمود الفقري في جميـع الهيئـات والمصالح الحكومية وغير الحكومية، والتي تتطلبها طبيعـة بعض الأعمال، كما أن الأعمال الكتابية على أنواع مختلفـة؛ منها إمساك الدفاتر، وإجراء الحسابات الكتابية علـى الآلـة الكاتبة أو الكمبيوتر، واستخدام الآلة الحاسبة، وحفظ الأوراق في الملفات بعد تبويبها، والنقل والتلخيص، وهكذا. والقدرات الكتابية تتطلب الجوانب الآتية:

١- القدرة على التصنيف والتبويب والتنسيق.

٢- القدرة على تشخيص الأفكار الأساسية.

٣- القدرة على اكتشاف الأخطاء.

٤- القدرة على ملاحظة التفاصيل بسـرعة، والكشـف عنها.

٥- الدقة والسرعة في نقل الجداول.

٦- القدرة على الكتابة على الآلة الكاتبـة (الكمبيـوتر)، واستخدام الآلة الحاسبة في دقة وسرعة.

٧- الدقة والسرعة فـي إجـراء العمليـات الحسـابية البسيطة.

٨- القدرة على فهم التعليمات.

٩- الصبر على احتمال العمل الرتيب.

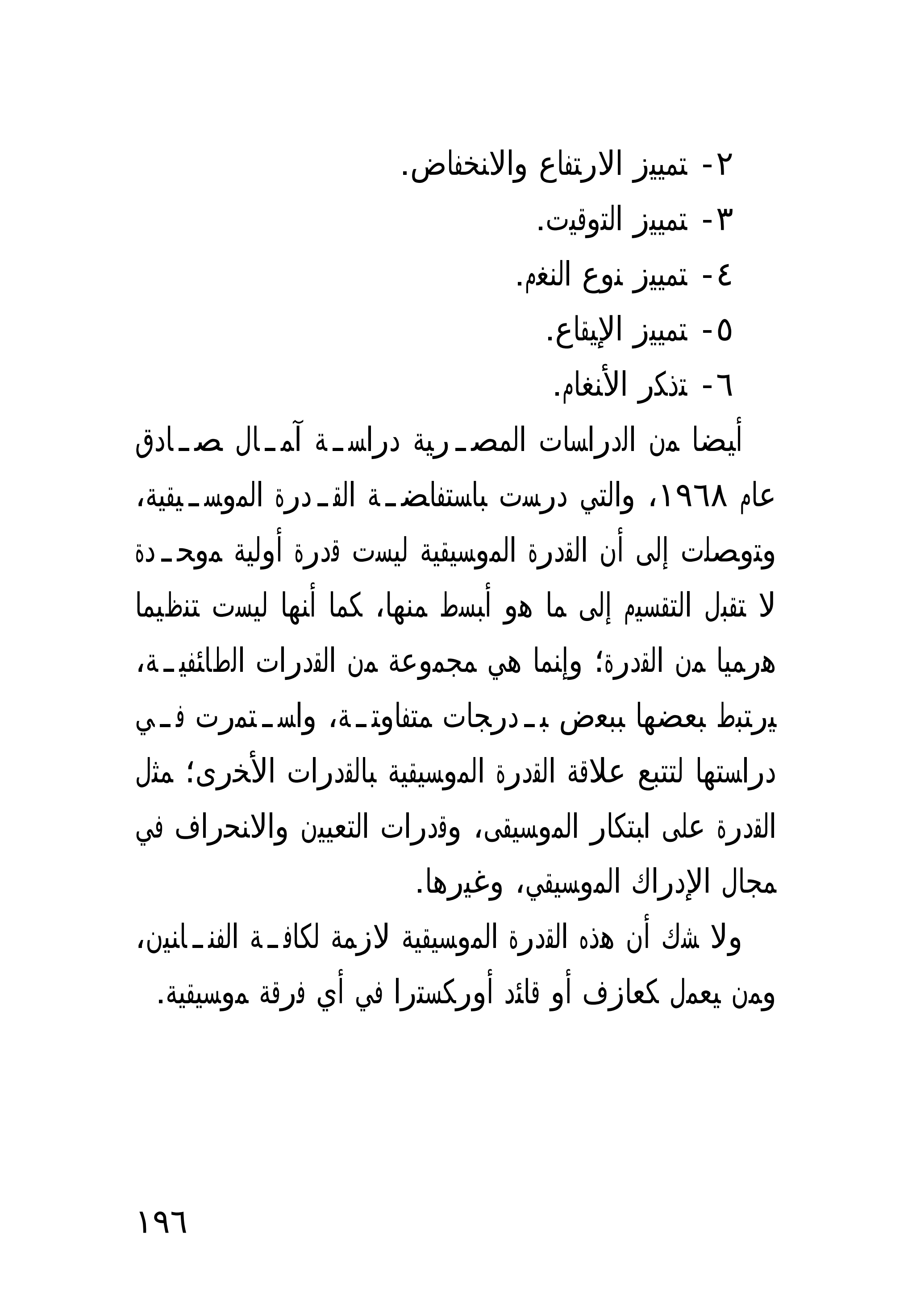
وغني عن البيان أن هذه القدرة مطلوبة في كافة الوظائف التي تتطلب الكتابة؛ مثل السكرتارية، وغيرها.

خامسا- القدرات الموسيقية:

يعد "سيشور Seashore" راعي حركة قياس القدرة الموسيقية؛ إذ يرى أن النجاح في هذه القدرة يتطلب نجاح الشخص في قدرته على المهارات اليدوية لاستعمال الآلات الموسيقية، إضافة إلى القدرة على المثابرة والنشاط، والتمرين المستمر، والخيال الانتصاري الذي يستخدم ليس في كتابة النوتة الموسيقية فقط؛ وإنما في فهم وتفسير الموسيقى الموجودة، إضافة إلى الحساسية الوجدانية التي تعد عناصر في الانتصار، كما يجب توافر الذكاء خاصة في المستويات الموسيقية العالية.

ولذا أعد سيشور اختبارا لقياس القدرة الموسيقية، يتكون من ستة أجزاء مسجلة على أسطوانات لقياس العوامل الستة الآتية:

١- تمييز حدة النغم (من حيث الدرجة).



٢- تمييز الارتفاع والانخفاض.

٣- تمييز التوقيت.

٤- تمييز نوع النغم.

٥- تمييز الإيقاع.

٦- تذكر الأنغام.

أيضا من الدراسات المصرية دراسة آمال صادق عام ١٩٦٨، والتي درست باستفاضة القدرة الموسيقية، وتوصلت إلى أن القدرة الموسيقية ليست قدرة أولية موحدة لا تقبل التقسيم إلى ما هو أبسط منها، كما أنها ليست تنظيما هرميا من القدرة؛ وإنما هي مجموعة من القدرات الطائفية، يرتبط بعضها ببعض بدرجات متفاوتة، واستمرت في دراستها لتتبع علاقة القدرة الموسيقية بالقدرات الأخرى؛ مثل القدرة على ابتكار الموسيقى، وقدرات التعيين والانحراف في مجال الإدراك الموسيقي، وغيرها.

ولا شك أن هذه القدرة الموسيقية لازمة لكافة الفنانين، ومن يعمل كعازف أو قائد أوركسترا في أي فرقة موسيقية.

سادسا- القدرات الفنية:

يعد "مايير Miere" وتلامذته في جامعة إيوا مـن الـذين اهتموا بدراسة هذه القدرة. ولم يتم تحليل هذه القدرة بطريقة التحليل العاملي، ولكن عن طريق تحليل المضمون، وتتبـع سير الفنانين وإنتاجهم. وقد توصلت هذه الدراسات إلى تحديد ستة عوامل تدخل في تكوين القدرة الفنية؛ وهي:

١- المهارة اليدوية.

٢- القدرة على بذل النشاط والاستمرار في العمل.

٣- الذكاء الجمالي؛ ويعني القدرة على إدراك المساحات بين الأشياء.

٤- الخيال الابتكاري؛ ويعرف بأنه القدرة على تنظـيم الإحساسات الحية في إنتاج جمالي.

٥- الحكم الجمالي؛ ويهتم بمعرفة القـدرة علـى إدراك الوحدة في التنظيم.

٦- التفصيل الجمالي: ويتمثل في نزعة سلوكية عامـة، تجعل الشخص يحب فئة معينة من الأعمال الفنيـة أو حتى الجمالية دون غيرها؛ أي ما يسمى بالتذوق الجمالي.

وغني عن البيان أن هذه القدرة هامة جدا لكل من يعمـل في مجال الفنون المختلفة أو التذوق الفني.

قياس القدرات:

نشط العلماء في إعداد العديد من الاختبارات وبطاريـات الاختبارات؛ لقياس وتشخيص وتحديد جوانب القدرات؛ مثـل بطارية اختبارات الاستعدادات الفارقة، والتي تتكـون مـن الاختبارات الآتيـة: التفكيـر اللفظـي، والقـدرة العدديـة، والاستدلال المجـرد، والعلاقـات المكانيـة، والاسـتدلال الميكانيكي، والقدرة علـى اسـتخدام الجمـل أو الإمـلاء، والسرعة والدقة في الأعمال الكتابيـة. ويمكـن اسـتخراج الدالات من كل اختبار.

أيضا اختبار القدرات الفعلية الأولية إعداد أحمـد زكـي صالح؛ وهو مقتبس بما يتناسب مع البيئـة المصـرية عـن اختبار فرستون للقدرات الأولية، وتقيس هـذه الاختبـارات أربع قدرات أولية، لها أهميتها في النجاح الدراسي والنجـاح المهني، إلى جانب إعطائها صورة عامة عن ذكـاء الفـرد العام. وهذه القدرات هي: القدرة اللغويـة، والقـدرة علـى الإدراك المكاني، والقدرة على الاستدلال، والقدرة العددية.

وهكذا تتواصل إنجازات العلمـاء، لدرجـة أننـا نجـد اختبارات قد تم إعدادها لقياس كل قدرة كما سبق وأشرنا إلى بعض منها أثناء حديثنا عن تصنيف القدرات.

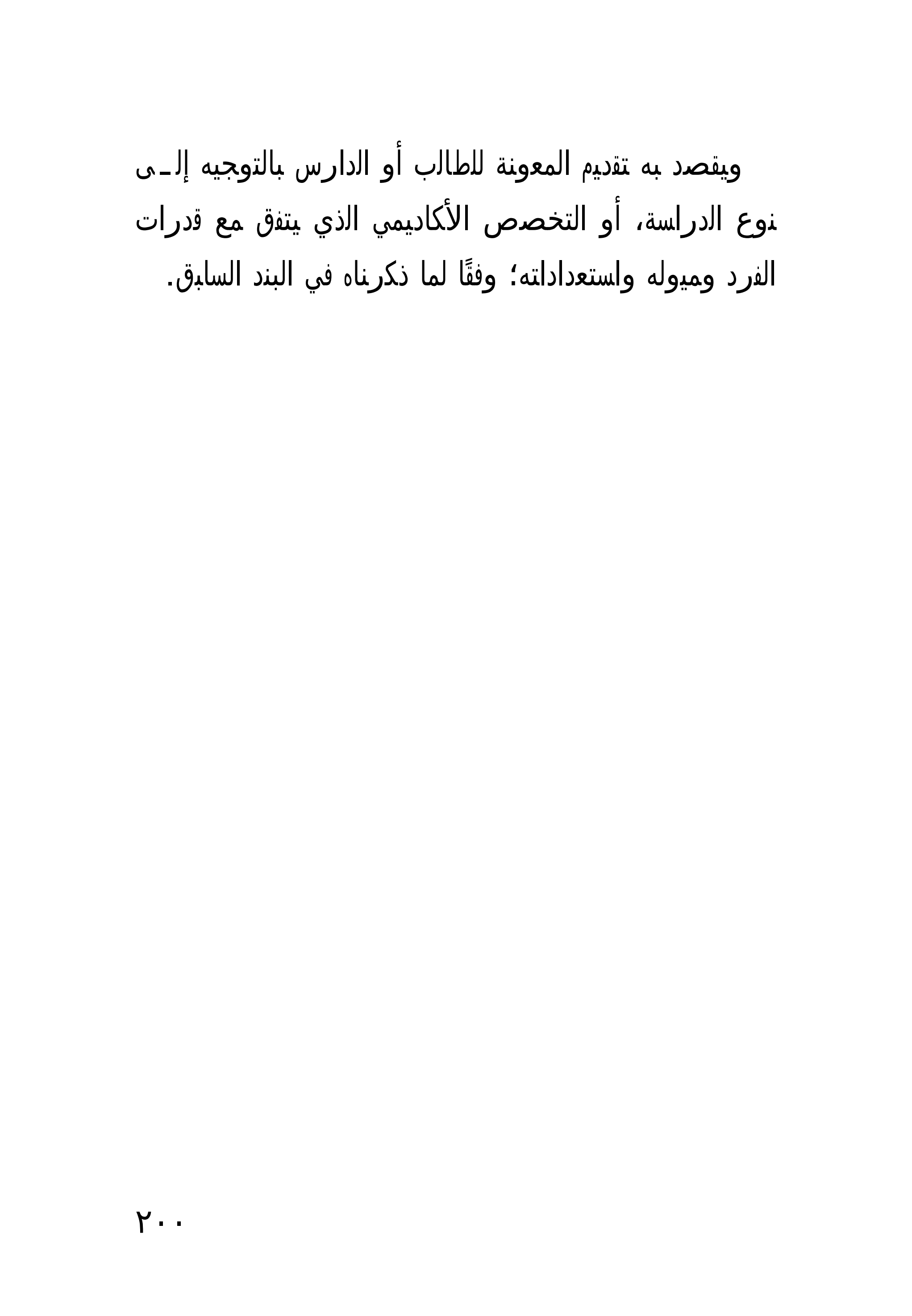
فائدة التعرف على القدرات:

هام جدا أن يتعرف كل فرد على مقدار مـا لديـه مـن استعدادات وميول وقدرات؛ لأن ذلك يفيد في:

١ ـ التوجيه المهني:

ويقصد به توجيه الفرد إلى المهنة التي تتفق مع ميولـه. ولا شك أن ذلك يتطلب القيام بعملية تحليل للفـرد، وتحليـل للأعمال وما تتطلبه من قدرات. وبناء على موازنة ما هـو موجود لدى الفرد من قدرات؛ يتم توجيه الفرد إلـى العمـل الذي يتفق مع ميوله. ولا شك أن ذلك يكون مفيدا جدا بالنسبة للفرد وللدولة؛ لأننا حققنا فعلاً وليس نظريا مقولة: "الرجـل المناسب في المكان المناسب".

٢ ـ التوجيه التعليمي:



ويقصد به تقديم المعونة للطالب أو الدارس بالتوجيه إلـى نوع الدراسة، أو التخصص الأكاديمي الذي يتفق مع قدرات الفرد وميوله واستعداداته؛ وفقًا لما ذكرناه في البند السابق.

الفصل السابع

جوانب اهتمام الفروق الفردية

مقدمة

لعل وجود مشكلة التخاف العقلـي أو الضـعف العقلـي أو نقص في درجات الذكاء عن الحد المتوسط.. كـل هـذه المسميات واحدة، وتؤكد حقيقة وجود الفروق بين الأفـراد، وكيف أن ا قد وهب الكثير من الأفراد درجات متوسـطة من الخاصية أو السمة، وقلة من الأفراد وهبهم تفوقًا ودرجة أعلى من هذه الخاصية، وقلة من الأفراد يمتلكون درجـات أقل؛ وهم في حالتنا المتخلفون عقليا.

ولا شك أن التخاف العقلي يمثل مشكلة اجتماعية كبـرى، خاصة في المجتمعات المتحضـرة، والتـي تحتـاج لـذكاء مواطنيها؛ ليس فقط في مسألة التوافق الاجتمـاعي؛ وإنمـا لإدارة شئونهم ودفع عجلة التقدم في مجتمعاتهم خطوات إلى الأمام، ناهيك عن المشاكل النفسية التي يسببها هؤلاء الأفراد لذويهم، وكذا المشاكل الاقتصادية، ومحاولات تدريبهم للقيام حتى بأبسط شئونهم. والتخاف العقلي يكون لأسباب تكون في الغالب وراثية، إضافة إلى العديد من العوامل والتي سنذكرها

في سياق هذا الفصل. وقد أثبتت دراسة التـوائم المتطابقـة أهمية العامل الوراثي في الذكاء؛ إذ لوحظ تشابه ذكاء هـذه التوائم، أو إن اختلف فيكون في مدى لا يزيد عـن خمـس درجات فقط، وهي النسبة المألوفة عند إعادة قيـاس نفـس الاختبار على نفس الفرد في مرتين مختلفتين لحساب تـأثير تدخل أي عامل من العوامل الداخلية؛ كأن يتذكر الشـخص إجابة سؤال لم يجب عنه في المرة الأولى، وعوامل خارجية للأخطاء خاصة بطريقة الإلقاء، أو لظروف خارجيـة غيـر متطابقة في كلا المرتين، أما إذا نشأت هذه التوائم في بيئتين مختلفتين فتتضح بعض الفروق في ذكائهم، وتزيد نسبة التوأم الذي ينشأ في بيئة أفضل من ناحيـة المـؤثرات المتعـددة بحوالي ١٠ ـ ١٣ نقطة، ويشير ذلـك إلـى أثـر البيئـة المحدودة، إضافة إلى أن البيئة تستطيع أن تحسن أو تعدل في حدود معينة من درجة معينة من ذكـاء الشـخص، لكنهـا لا تستطيع أن تجعل من الشخص المتخلف إنسـانًا عبقريـا، فالبيئة لها دورها في تحسين الذكاء؛ أي إن دورها يكون لـه حدود.

ولعل أشهر معادلة تتم بناءا على أساسها حساب نسبة الذكاء الخاصة للشخص تكون كالآتي:

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

ونقصد بالعمر العقلي Mental age مدى نجاح الشخص في اجتياز جميع أسئلة اختبارات مستوى عمري معين، حينئذ يتساوى في قدرته العقلية مع الأطفال والأفراد في هذا المستوى بغض النظر عن عمره الزمني.

مثال:

استطاع طفل عمره ٨ سنوات أن يجتاز بنجاح حل جميع أسئلة اختبارات سن ١٢ عاما. حينئذ يصبح عمره العقلي ١٢ عاما بغض النظر عن عمره الزمني الحقيقي، أما العمر الزمني Chronological age فنقصد به عمر الشخص الزمني من واقع شهادة الميلاد.

وعلى هذا الأساس فإذا كان عمر الشخص ١٠ سنوات، واستطاع اجتياز امتحان مستوى ١٣ عاما مثلاً؛ يكون متفوقًا عقليا، أما إذا فشل نفس الشخص في اجتيازه لامتحان مستوى سنه فيكون متخلفًا عقليا، وإن كان التخلف ليس واحدا؛ وإنما

له عدة تصنيفات بناءا على طبيعة الدرجة التي حصل عليها الشخص في اختبارات الذكاء. بقي أن نشـير إلـى حقيقـة أخرى؛ وهي أن الذكاء ينمو تدريجيا حتى سن ١٥ ثم يتوقف نموه في سن ١٧، وقد اختلف العلماء في تحديد السن، إلا أن السن ١٥ و١٧ هو المتفق عليه بين الأغلبية مـن العلمـاء، ويكتسب الفرد بعد ذلك خبرة ومرونة، أمـا ذكـاؤه فثابـت لا يتغير. وإذا لاحظنا تغييرا واضحا في الذكاء زيادة عـن المعدل المألوف (أي حوالي خمس درجات، أو نقاط)؛ فيعني ذلك الآتي:

١- وجود خطأ في القياس أو في الاختبار.
٢- عدم معرفة وخبرة الأخصائي القائم بالقياس.
٣- تغير الحالة النفسية والجسمية للشخص (المفحوص).
٤- إلمام الشخص وألفته بالاختبـارات قبـل أن تطبـق عليه.

وأخيرا فإن الكثير يظن أن التخلف العقلي والجنون شيء واحد، بل ويعتبرون أن المتخلف عقليا مثله مثـل الشـخص المجنون يمكن علاجه وشفاؤه، كما أن احترام الجنون وكـذا التخلف العقلي يختلف من مجتمع إلى آخر، فقد يكـون كمـا

مهملاً في مجتمع، أو يلقى الرعاية والعناية فـي مؤسسـات المجتمع في مجتمع آخر، وقد ينظر إليه على أساس أنه مـن أولياء ا الصالحين ذوي الكرامات في بعض المجتمعـات. لكن على أي حال فإن حقيقة وجود مثل هـذه الفئـة يؤكـد ضرورة أن تجد الرعاية والعناية؛ ليس فقط مـن مؤسسـات المجتمع المختلفة، وإنما أيضا من أفراد المجتمع من طريـق بث الأفكار السليمة حول طبيعة هذه الفئة، وكيفيـة التعامـل معهم، وعدم النفور منهم لأنهم في نهاية الأمر ما هم إلا أبناء لهذا المجتمع وأشقاء منا، وقد يكون قدرنا أو قدر أحفادنا، أن نرزق بمثل هذه النوعيات.

تعريف التخاف العقلي:

يرتبط مفهوم الضـعف العقلـي Mental deficiency أو التخاف العقلي Retardation بمفهـوم الـذكاء، ويمثـل بصفة عامة الطرف الأدنى من توفر مع الذكاء، إضافة إلـى نمو غير كاف للقدرات العقلية نموا لا يساعد علـى القيـام باحتياجات التعلم والتدريب المعتاد، كما يدل من ناحية أخرى على دونية Zufnormality القدرات اللازمة للتوافق والبقاء في وسط بيئي وثقافي محدد.

حجم مشكلة التخاف العقلي:

ليس من السهولة بمكان تحديد حجم أعداد التخاف العقلي في مجتمع ما، خاصة في المجتمعات النامية والتي لا تهـتم بمثل هذه الظواهر، وقد يعيش الشخص المتخاف عقليـا دون أن يلفت إليه الانتباه؛ نتيجة للعديد من الأعمال الدونية، والتي لا تتطلب قدرات أو مهارات خاصة تكشف عن درجة ذكائه أو استعداده، فالتخلف العقلي موجود في جميع الشعوب وفي كافة الأجناس، ومن خلال البحوث المختلفة التي أجريت في بلدان مختلفة لتحديد حجم مشكلة التخاف العقلي فقد تبـين أن نسبة التخاف العقلي بين السكان تتراوح بين ٣,١ %، إضافة إلى أن اكتشاف نسبة المتخلفين عقليا يكون أعلى فـي سـن التعليم عما هو عليه قبل سنوات الالتحاق بالدراسة وبعـدها؛ لأن المدارس تركز على الوظائف العقليـة، كمـا أن إلـزام الدولة للجميع بضرورة التعليم الإجباري قـد يكـون أحـد الأسباب الهامة التي تكشف عن وجود مثل هذه الحالات؛ إذ وجد ثلاثة أرباع من يوجدون في فصول المتخلفـين عقليـا يعتبر تخلفهم بسيطًا، وتكون نسبة الذكاء في العادة لديهم أكبر من الدرجة ٥، أما باقي الدرجات فتصل إلى ٤ في كل ألف،

وخاصة في الفئة العمرية من سن ١٠ سنوات إلى ١٤ عاما. وهنا يأتي دور المعلم في الفصل لكشف مثل هذه الحـالات، واتخاذ اللازم (الصحي) نحوهـا، وعـدم السـخرية منهـا أو مقارنتها بتلاميذ آخرين في الفصل حتى لا تزداد حـالتهم سوءا.

أسباب التخلف العقلي:

تتعدد العوامل التي تقود إلى التخلف العقلي، ومنها:

أولاً- الوراثة:

الوراثة معنى كل ما يرثه الطفل عن والديه وأجداده مـن صفات، ولقد أثبتت الأبحاث والتجارب أن الوراثة هي العامل الأساسي الأول في مشكلة التخلف العقلي. وإن هذه النتيجـة غالبا ما توضع في صيغة خاطئة ويرفضها الآبـاء؛ لأنهـا تفسر في العادة بأن غالبية ضعاف العقـول يولـدون لآبـاء ضعاف العقول، وهذه الواقعة ليست حقيقية؛ لأن العديد مـن الصفات قد تنتقل من الأجداد إلى الأبناء، ولـيس شـرطًا أن يكون الأبوين هما المسئولين الوحيدين عن توريث صـفات معينة لأبنائهم؛ إذ وجد سيرل بيرت - مثلاً - في دراسـته

التتبعية عن العلاقة بين ذكاء الآباء وذكاء الأبناء؛ أن نسـبة الآباء المتخلفين عقليا لا تتعدى نسبة الـ ـ ٦ %، كمـا أن الأطفال الذين ينجبهم ضعاف العقول يبدون أكثر ذكاء مـن آبائهم لا أقل ذكاء، ويشبه هذا التفسير ما كان يسميه جالتون Galton تراجعا ملائما تجاه المستوى العادي، فضلاً عن أن قوانين الوراثة وأشهرها قانون مندل Mendal قد أثبتـت أن الذكاء أمر وراثي؛ ولذا إذا اقترن شخصـين مـن الأذكيـاء بعضهما ببعض يغلب أن يكون أبناؤهم من الأذكياء، والعكس صحيح، وكل ذلك يتم من خلال قوانين الوراثة، وعن طريق بعض الصفات السائدة أو المتنحية أو المستترة Recessife، بالرغم من أن العلماء من خلال تجاربهم قد اختلفوا في كيفية توريث هذه الصفات. ولعل أكثر الطرق شيوعا وأحسنها في تتبع مثل هذه الحالات؛ هو تتبع تواريخ عـائلات الضـعف العقلي، ثم حساب النسب بين الأفراد الضعاف والعاديين فـي الأسرة الواحدة، فالبحث في تاريخ الأسرة الوراثية قد قام به جالتون لمعرفة المدى الذي يورث به الذكاء، واقتضى منـه هذا الغرض أن يتنقل عبر أرجاء المملكة المتحدة (بريطانيا)، ويقوم بتتبع تاريخ حياة الأسر التي انحدر منها عدد كبير من

الأشخاص، في مقابل الأسر التي انحدر منهـا المجرمـون وناقصو العقل والمنحرفون؛ مما حدا به إلى الاستنتاج بـأن الذكاء وراثي، أو أن الآباء الأذكياء ينجبون أولادا أذكيـاء، والعكس بالعكس. وقد أجريت العديد من الدراسات والتي لـم تخرج تقريبا عن نفس هذه النتيجة، وإن اختلفت في مدى هذه الدرجة.

ثانيا- البيئة:

هي كل ما يحيط بالشخص من ظروف مختلفة. وإذا كان بعض العلماء ـ كما سبق وأشرنا ـ قد بالغ في قيمة الوراثة في إكساب الذكاء؛ فإن البعض هنا من العلماء قد بـالغ فـي قيمة البيئة والحط من قيمة الوراثة، مستدلين على رأيهم بأن فئة المتخلفين عقليا، وكذا حالات "الجنون" والإجـرام؛ إنمـا تنحدر من بيئات بالغة الفقر. وعلى هذا الأسـاس أجريـت العديد من التجارب، والتي تعزز هذا الرأي، مسـتندة إلـى أرقام وإحصائيات اشتملت عليها تجارب جامعة إيـوا Jewa الأمريكية على بعض الأطفال من ذوي الضعف العقلي، بأن تم نقلهم إلى بيئات أخرى، وملاحظة مدى التغير الذي طـرأ على سلوكهم، والاستدلال من خلال ذلك على بيان أثر البيئة

في تعديل (أو نمو) درجات الذكاء، لدرجة أن هذه النظرة قد انتقلت إلى الأدب، ووجدنا أديبا مثل برنارد شـو B. Shaw قد تبنى هذه النظرية، وطبقها في رواياته الأدبية؛ كما جـاء في "بيجماليون" (والتي مصرت إلـى المسـرحية الشـهيرة "سيدتي الجميلة")؛ حيث صور امرأة تعيش في بيئة منحطة، وتقوم بأعمال السرقة، وتلقي بالألفاظ البذيئة فـي عدوانيـة لفظية وبدنية لا حدود لها، وحين انتقلت إلى بيئة أرستقراطية تم الرقي بسلوكها. ولا شك أن هذه نظريـة خياليـة لواقـع الأمور؛ إذ لو أن تحسين البيئة كفيل بحل هذه المشكلة لكـان من الأيسر القيام بذلك من خلال مؤسسات تدريب العقـول، وتوفير كافة الظروف حتى تغير نمط هـؤلاء الأشـخاص، صحيح أن التأثير متبادل بين الوراثة والبيئة، وصـحيح أن عامل الوراثة يظل في حالة كمون، وأن البيئة ومفرداتها هي التي تكشف عن هذه الاستعدادات؛ لكن ليس من المنطقي أن نعمم ونقول إن الذين يعيشون في بيئات فقيرة هم أكثر الناس معاناة من نقص درجات الذكاء (بالإضافة إلى العديـد مـن الوصمات الأخرى كالإجرام والإدمان والبغاء والذهان)؛ لأن الواقع يكذب ذلك، وإن العباقرة والمفكرين والنابغين كثيـرا

ما يكونون من بيئات متوسطة أو فقيرة. ولعل نظـرة إلـى نتائج الثانوية العامة في مصر، والأصول التاريخية الأسرية للكثير من المفكرين والعلماء في مصـر؛ تؤيـد حقيقـة أن الضعف العقلي ليس مقتصرا على البيئات الفقيرة.

ثالثًا- الإصابة بالأمراض المعدية:

وجد العديد من العلماء أن إصـابة الفـرد بالعديـد مـن الأمراض المعدية، وعدم تلقيه العلاج المناسب فـي الوقـت المناسب؛ قد يؤدي إلى التخلف العقلي، وخاصة إذا أصـيبت الأم أثناء الحمل (خاصة في الشهور الثلاثـة الأولـى مـن الحمل) بالحصبة الألمانية؛ ولذا ينصح العديد مـن الأطبـاء باللجوء إلى الإجهاض في مثل هذه الحالات؛ لأن ولادة طفل مصابا بالتخلف العقلي والصمم والبكم مسألة لا خلاف عليها، أيضا الإصابة بمرض الزهري؛ وهو مرض وراثي ينتقل من الأب أو الأم إلى الجنين، كما أن له علاقـات مختلفـة فـي الجهاز العصبي، إضافة إلى علامات مميـزة فـي الوجـه والأسنان والأنف مع التخلف العقلي، كما أن إصابة الطفـل بالعديد من الأمراض المعدية مثل الحمى الشوكية، والحمـى المخية أو الالتهاب السحائي الدرني؛ يقود إلى نفس النتيجـة.

ولذا من الهام جدا ضرورة فحص المقبلين على الزواج قبـل زواجهما؛ لمعرفة طبيعية الأمراض الوراثية التي يمكـن أن تنتقل إلى أولاد العم، واحتمال هذا الانتقـال، إضـافة إلـى ضرورة توفير كافة صنوف الرعاية الصـحية لـلأم أثنـاء فترات الحمل وبعدها.

رابعا- نقص الأكسجين في الدم:

وخاصة في الأطفال الذين يولدون قبل النضـج الكامـل، وفي أمراض المشيمة، وامتداد ساعات الـولادة؛ ممـا قـد يعرض الطفل للاختناق والزرقة الناتجة من نقص الأكسجين؛ مما ينعكس في عمل المخ، ويسبب عطبا دائما. ومما يجـدر ذكره اكتشاف أثر العامل RH في الضعف العقلـي، وهـذا العامل من العوامل التي تقرر نوع فصيلة الدم، وقد اكتشـف في عام ١٩٣٩، والغريب في هذا العامل أنه لا يوجد في الدم البشري عوامل مضادة له، إلا إنه إذا دخل الدم عن طريـق نقل الدم في أفراد لا يوجد في دمهم هذا العامـل أدى إلـى وجود تلك العوامل المضادة، ولما كانت عملية نقل الدم تـتم بين الجنين والأم في الرحم، فإذا كانت الأم خالية مـن هـذا العامل، ووجد هذا العامل في الطفل أدى إلى وجود العوامل

المضادة في دمها نتيجة للحمل، ولا تؤثر هذه الحالـة علـى الطفل الأول؛ لأن عملية تكوين هذه العوامل المضادة في الأم تستغرق وقتًا، فإذا كان العامل موجودا في الأطفال التـاليين أدى إلى وجود العوامل المضادة في دم الأم، إلى أن يصاب بإصابات جسيمة خطيرة قد تنتهي بوفاة الجنين في بطن الأم. ويقال إن هذه الحالة إذا لم تؤدِ إلى اضطراب جسماني لـدى الجنين؛ فإنها تقود إلى التخاف العقلي، وبتحليل دم عدد مـن الأشخاص من ذوي الضعف العقلي؛ وجد أن نسـبة مـنهم يؤدي تخلفهم العقلي إلى هذا العامل، ومـا زالـت البحـوث جارية للتأكد من ذلك.

خامسـا- سـوء التغذيـة أو نقـص بعـض الفيتامينات:

يمد الغذاء الإنسان بالطاقة والنشاط والحركـة، والقاعـدة الأساسية في التغذية أنه لا بد أن يشتمل نظام الإنسان علـى نسب متوازنة (دون إفراط أو تفريط) من كافـة العناصـر الغذائية التي يحتاج إليها الجسم؛ علما بأن الجنـين يتغـذى طوال فترة الحمل من خلال الحبل السري للأم، وهنا يكـون

الواجب على الأم مراعاة عامل التغذيـة حتـى لا تعـرض الجنين للإصابة ببعض الأمراض الناتجة عن سوء التغذيـة. وحتى بعد الميلاد وبعد انتهاء فترة الرضاعة؛ يبدأ الطفل في التعود على تناول الأطعمة الموجودة في البيئة التـي يعـيش فيها، وعدم التركيز على تناول أطعمة دون غيرهـا؛ حتـى لا يتعرض لسوء التغذية، والتي نقصد بها حدوث نقص فـي البروتينات التي تشكل مجموعة من المركبات المعقدة التـي يتم حدوثها بشكل طبيعي من الأحماض الأمينيـة المشـتملة على الكربون والهيدروجين والأكسجين وعـادة الكبريـت. وهذه الأحماض الأمينية إن هي إلا مكونات أساسية لجميـع الخلايا الحية، وكذلك لغذاء الكائن الحيواني الحي. وهكذا فإن البروتينات ضرورية لا غنى عنها في عمليـة بنـاء ونمـو وتكوين خلايا الجسم، ومن بينها خلايا المخ أيضا؛ لدرجة أن الباحثين يؤكدون على ضرورة توافر عامل البروتين، خاصة في الثلاث شهور الأولى من الحمل، وكذا العامين الأولـين عقب الولادة؛ وذلك للنمو السريع في خلايا الجسم، وإن كان لا يمنع من ضرورة تـوافر العوامـل الغذائيـة الأخـرى، وبصورة متوازنة؛ بل إن انتقال الأطفال من بيئات فقيرة إلى

بيئات توفر لهم كافة المتطلبات (وخاصة تنوع الغذاء)؛ يؤدي إلى بروز درجة الذكاء وتنمية القدرات.

سادسا- الأذى الجسمي:

ونقصد به التعرض للعضو أو لوظيفته بالأذى أو العدوان، والذي يؤدي إلى وجود خلل في العضو، وبالتالي ينعكس في الوظيفة. والأذى الذي يتعرض له الطفل قد يكون أثناء تواجده داخل رحم الأم، وقد يكون خارجه. أما عن الأذى الداخلي؛ فينتج من كافة الممارسات الخاطئة التي تقوم بها الأم أثناء الحمل؛ مثل الإفراط في التدخين، أو شرب الكحوليات، وكذا التعرض بكثرة للإشعاعات، إضافة إلى الانفعال والعصبية الزائدة، وقلة الحركة، أو المبالغة فيها، أو تناول عقاقير دون استشارة طبية. أما عن العوامل التي يتعرض لها الطفل أثناء الحمل؛ فقد تتمثل في طول فترة الولادة، أو اللجوء إلى العنف في جذب رأس الوليد، أو التعرض لضربات عنيفة على الجمجمة، أو كذا الإصابة بالعديد من الأمراض دون أن يجد الرعاية اللازمة من الأم والآخرين.

سابعا- اضطرابات الغدد الصماء:

في جسم الإنسان العديد من الغدد، وكل غدة يكـون لهـا وظيفة معينة، من خلال إفرازات تقوم بها؛ هذه الإفـرازات يجب أن تتم في حدود محددة؛ لأن الزيادة أو النقصان فـي الإفرازات يقود إلى العديد من المشاكل والاضطرابات.

فعلى سبيل المثال يلاحظ أنه إذا قل إفراز الغدة الدرقيـة، وأنه عندما تنقص كمية اليود في الطعام؛ فإن عمليات النمـو تتأثر وتقف، ويبدو هذا التوقف في النمو خاصة في الجمجمة والأعضاء التناسلية والمجموع العصبي، وتكون النتيجة عدم وصول الطفل لمستواه العقلي، وإذا كانت درجة النقص كبيرة فإن الطفل يبقى أبلها أو معتوها، أما إذا لم يبلغ النقص حـدا بعيدا فقد يصل الطفل إلى مستواه العقلي الطبيعي.

ثامنًا- العزلة الاجتماعية:

تواجد الفرد في بيئة طبيعية بها العديـد مـن المـؤثرات الحسية والإدراكية والثقافية هام جدا لإكساب الفرد العديد من أساليب المهارة الاجتماعية، وتنميـة الخبـرات وتزويـدها برصيد لا ينقص من هذا الرصيد الإنساني الهام.

ولذا فإن تعرض الطفـل للعزلـة، وعـدم السـماح لـه بالاحتكاك بالآخرين؛ يؤدي إلى العديد من النتائج السيئة؛ مثل تلف الحواس الخاصة كالعمى، والصمم والبكم؛ مما يـؤدي إلى انعزال الطفل، وعدم اكتسابه للمعرفة لعدم قدرته علـى التجاوب الحسي مع الناس؛ ومـن ثـم يصـاب بالضـعف أو القصور العقلي الناتج عن هذه العزلة الاجتماعية.

محكات تصنيف الضعف العقلي:

الضعف العقلي كما ذكرنا هو نقص في درجـة الـذكاء والقدرات للشخص؛ مما يقوده إلى عدم مسـايرة الآخـرين، سواء في الأعمال الدراسية أو المهنية، أو حتى في المهـارة الاجتماعية؛ ولذا تتعدد محكات تصـنيف التخلـف العقلـي، وتتنوع من مجتمع لآخر وفقًا لفلسفة هذا المجتمع، وبالتـالي مدى تقبله لهذه الظاهرة، ومدى تعقد الحياة فـي المجتمـع، ومدى وجود الخدمات التي يمكن أن تحظى بالقبول في كافة مجتمعات العالم، فبعض الأفراد ممن يكون تخلفهـم بسـيطًا يستطيعون الاستمرار في الحياة دون وجود مشاكل تظهـر؛ وذلك لطبيعة الأعمال المكلفين بها؛ لذا فإن تخلفهم يمر دون ملاحظة تذكر، على عكس الحال في المجتمعات الصـناعية

الأكثر تعقيدا، والتي تتطلب لإنجاز الأعمال العديد من القدرات والمهارات؛ مما يقود إلى سرعة "اكتشاف" الأفراد الذين يعانون من مثل هذا التخلف؛ بل ودرجته، وعموما نستطيع حصر محكات تحديد وتصنيف ضعاف العقول في المحكات الآتية.

أولاً- المحك السيكومتري (القياس النفسي):

ويعتمد على النتيجة التي لا يحصل عليها الفرد من تطبيق اختبارات ذكاء محددة، وحصول الفرد على درجة خام (لا تكون لها قيمة في حد ذاتها)، ولكن تحول إلى درجات معيارية، وبنسب محددة. وبناءا على ذلك يمكن مقارنة أداء الفرد على الاختبار (من خلال الدرجة التي حصل عليها) بدرجات غيره من الأفراد على نفس الاختبار؛ لرفع مستواه الزمني، وهنا نستطيع تحديد درجة ومكانة الشخص. ولعل أشهر درجة للذكاء هي تلك الدرجة الانحرافية للذكاء، وتكون بمتوسط قدرة ١٠٠، وانحراف معياري قدرة ١٥ درجة؛ ولذا فإن أشهر تصنيف لمستويات الضعف العقلي ذلك الذي قدمه ترمان عام ١٩١٦؛ وهو كالآتي:

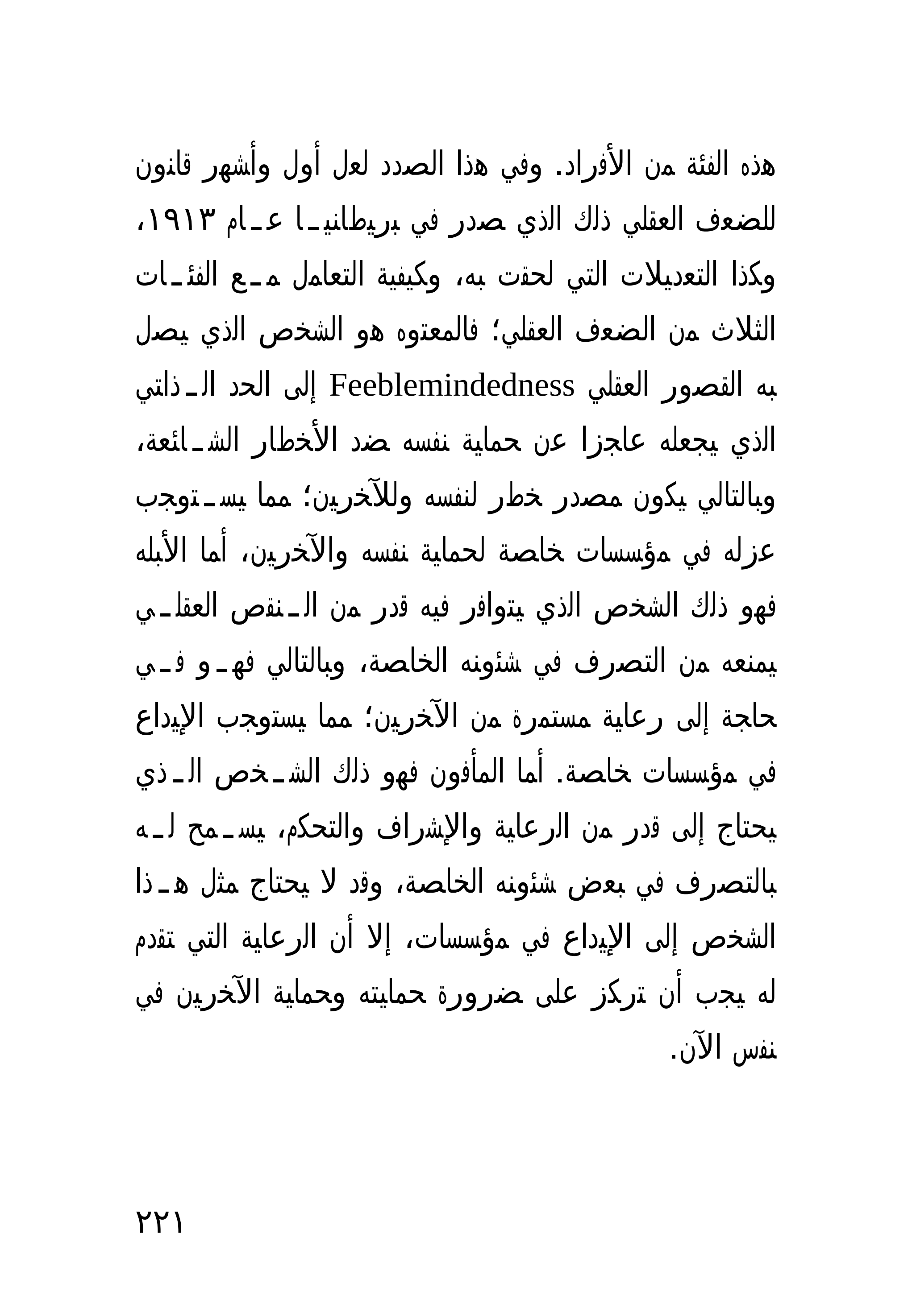
أقل من نسبة ذكاء ٢٠ فئة المعتوهين

من نسبة ذكاء ٢٠ ـ ٥٠	فئة البلهاء
من نسبة ذكاء ٥٠ ـ ٧٠	المأفونون (المورون)
من نسبة ذكاء ٧٠ ـ ٨٠	الحـــالات الهامشـــية أو "الأغبياء".
من نسبة ذكاء ٨٠ ـ ٩٠	الأغبياء، ونـادرا مـا يـتم تصنيفهم في فئـة ضـعاف العقول، بل هم حالات بـين وبين.

وإن منظمة الصحة العالمية قد أقرت هـذا التصـنيف، بالرغم من تعديل بعض المسميات، فبدلاً من مصـطلحات: المعتوه/ الأبله/ المأفون؛ فإنها عدلتها إلى: التخلـف العقلـي الشديد/ المتوسط/ البسيط. ووفقًا لمعد الاختبـار وحسـابه، ونسبة الذكاء الانحرافية؛ يكون التصنيف للأفراد في فئـات تعبر عن أن الفئات يتم تصنيفهم وفقًا لدرجة أدائهـم علـى المقياس.

ثانيا- المحك الاجتماعي والقانوني:

ظهرت المحكات الاجتماعية والقانونيـة لتؤكـد حقيقـة الوضع القائم؛ من اتخاذ التدابير الاجتماعية والقانونية تجـاه



هذه الفئة من الأفراد. وفي هذا الصدد لعل أول وأشهر قانون للضعف العقلي ذلك الذي صدر في بريطانيا عام ١٩١٣، وكذا التعديلات التي لحقت به، وكيفية التعامل مع الفئات الثلاث من الضعف العقلي؛ فالمعتوه هو الشخص الذي يصل به القصور العقلي Feeblemindedness إلى الحد الذاتي الذي يجعله عاجزا عن حماية نفسه ضد الأخطار الشائعة، وبالتالي يكون مصدر خطر لنفسه وللآخرين؛ مما يستوجب عزله في مؤسسات خاصة لحماية نفسه والآخرين، أما الأبله فهو ذلك الشخص الذي يتوافر فيه قدر من النقص العقلي يمنعه من التصرف في شئونه الخاصة، وبالتالي فهو في حاجة إلى رعاية مستمرة من الآخرين؛ مما يستوجب الإيداع في مؤسسات خاصة. أما المأفون فهو ذلك الشخص الذي يحتاج إلى قدر من الرعاية والإشراف والتحكم، يسمح له بالتصرف في بعض شئونه الخاصة، وقد لا يحتاج مثل هذا الشخص إلى الإيداع في مؤسسات، إلا أن الرعاية التي تقدم له يجب أن تركز على ضرورة حمايته وحماية الآخرين في نفس الآن.

غير أن هذه المحكات الاجتماعية والقانونية؛ مـا زالـت تثير الجدل، والعديد من الاختلافات. وقد أوضح ذلك فاروق محمد صادق (١٩٧٦) في مسح جديد لميدان الضعف العقلي.

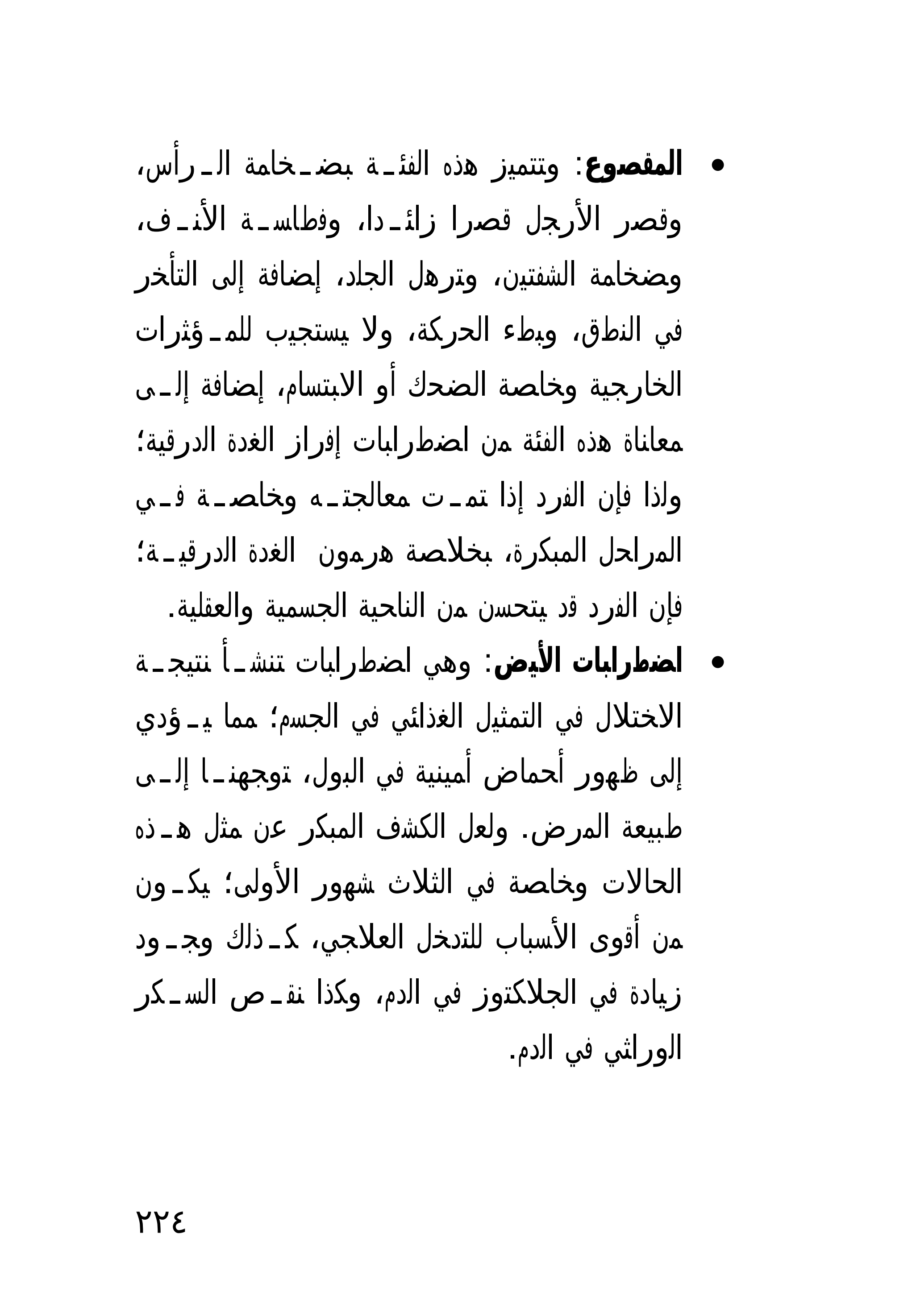
ثالثًا- المحكات التربوية والتعليمية:

لعل تزايد الاهتمام من قبل الدولـة ومـن قبـل الآبـاء بضرورة إلحاق أولادهم بمؤسسات التعليم، والتتبع لـدرجات تحصيلهم، والسؤال المستمر عنهم؛ كل ذلك يقود إلى الكشف عن حالات الضعف العقلي، والتعرف على الحـالات الغيـر قابلة للتعليم، ولا تجد صعوبات في المتابعة والفهم أو التذكر؛ وهي كلها قدرات مطلوبة في العملية التعليمية، إضافة إلـى بعض القدرات الأخرى إضافة إلى التعرف على الفئة التـي ينتمي إليها الشخص؛ مما يقتضي التعاون الكامل بين المنزل والمدرسة للتعامل مع مثل هذه الحالات، والتي تعـاني مـن درجات متفاوتة من التخلف العقلي.

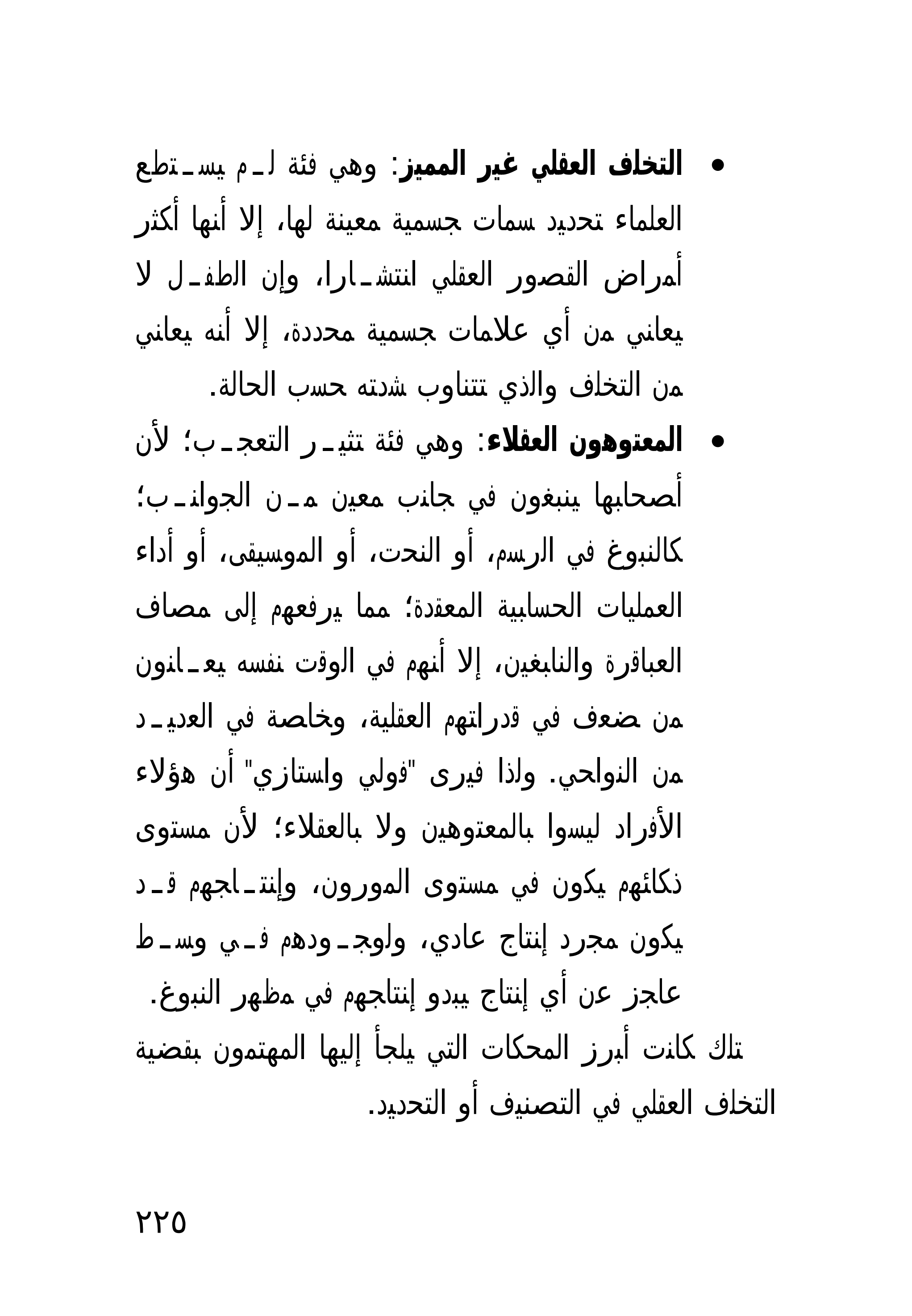
رابعا- المحكات الطبية الإكلينيكية:

حيث تم تقسيم حالات الضعف العقلي طبيا وفقًا للعديد من المحكات الجسمانية التي تفرق بينها. وأهم هذه الأنواع:

- المنغـــــــــولي أو أعــــــــــراض داون: Down's Zyndomeyndome؛ حيث يتميـزون بصغر حجم الرأس واستدارتها، وانحراف العينـين، وسمك الجفون، ونعومة الجلد ورطوبتـه، وتشـقق اللسان، ويكون هؤلاء عادة ما بين خمسة إلى عشرة في المائة من ضعاف العقـول فـي المستشـفيات العقلية. ومما تقدم كأسباب لتفسير مثل هذه الحالات؛ فإنها تعود إلى اختلال نظام تغذيـة الجنـين أثنـاء الحمل والتسمم، واضطراب نشاط الفـرد، كمـا أن أمهات مثل هؤلاء الأطفال غالبا ما يكن قد تجاوزن سن الأربعين.
- **غائر الرأس**: وتتميز هذه الحالات بصغر جمجمـة الرأس؛ لعدم اكتمال نموها فيما فـوق الحـاجبين، وفوق الأذنين؛ فيبدو شكل الرأس غريبا وصـغيرا، وتكون هذه الفئة نسبة ٥ % من حـالات الضـعف تحت سن عشر سنوات، وتشير بعض الدراسات إلى أن حالة الرحم أثناء الحمل قد تكون عاملاً مسببا لها أو مؤثرا فيها.



- **المغصوع**: وتتميز هذه الفئة بضخامة الرأس، وقصر الأرجل قصرا زائدا، وفطاسة الأنف، وضخامة الشفتين، وترهل الجلد، إضافة إلى التأخر في النطق، وبطء الحركة، ولا يستجيب للمؤثرات الخارجية وخاصة الضحك أو الابتسام، إضافة إلى معاناة هذه الفئة من اضطرابات إفراز الغدة الدرقية؛ ولذا فإن الفرد إذا تمت معالجته وخاصة في المراحل المبكرة، بخلاصة هرمون الغدة الدرقية؛ فإن الفرد قد يتحسن من الناحية الجسمية والعقلية.
- **اضطرابات الأيض**: وهي اضطرابات تنشأ نتيجة الاختلال في التمثيل الغذائي في الجسم؛ مما يؤدي إلى ظهور أحماض أمينية في البول، توجهنا إلى طبيعة المرض. ولعل الكشف المبكر عن مثل هذه الحالات وخاصة في الثلاث شهور الأولى؛ يكون من أقوى الأسباب للتدخل العلاجي، كذلك وجود زيادة في الجلاكتوز في الدم، وكذا نقص السكر الوراثي في الدم.



- **التخاف العقلي غير المميز**: وهي فئة لـم يسـتطع العلماء تحديد سمات جسمية معينة لها، إلا أنها أكثر أمراض القصور العقلي انتشـارا، وإن الطفـل لا يعاني من أي علامات جسمية محددة، إلا أنه يعاني من التخلف والذي تتناوب شدته حسب الحالة.
- **المعتوهون العقلاء**: وهي فئة تثيـر التعجـب؛ لأن أصحابها ينبغون في جانب معين مـن الجوانـب؛ كالنبوغ في الرسم، أو النحت، أو الموسيقى، أو أداء العمليات الحسابية المعقدة؛ مما يرفعهم إلى مصاف العباقرة والنابغين، إلا أنهم في الوقت نفسه يعـانون من ضعف في قدراتهم العقلية، وخاصة في العديـد من النواحي. ولذا فيرى "فولي واستازي" أن هؤلاء الأفراد ليسوا بالمعتوهين ولا بالعقلاء؛ لأن مستوى ذكائهم يكون في مستوى المورون، وإنتـاجهم قـد يكون مجرد إنتاج عادي، ولوجـودهم فـي وسـط عاجز عن أي إنتاج يبدو إنتاجهم في مظهر النبوغ.

تلك كانت أبرز المحكات التي يلجأ إليها المهتمون بقضية التخلف العقلي في التصنيف أو التحديد.

خصائص ضعاف العقول:

يمكن أن نلخص خصائص ضعاف العقول في:

١ ـ الخصائص الجسمية:

تؤكد نتائج البحوث التي أجريت على ضعاف العقول الذين يتم إيداعهم في المؤسسات؛ بأنهم أقل من المستوى العادي (مقارنة بالأشخاص الآخرين غير المتخلفين عقليا)؛ من حيث الصحة العامة، والقابلية للإصابة بالأمراض والنمو الجسمي، كما أن نسبة الوفيات بينهم أعلى من المعدل العادي للسكان، وليس هذا فحسب؛ بل أكدت البيانات أيضا أن أطوال وأوزان ضعاف العقول تكون أدنى من المستوى العادي للسكان في النمو الجسمي، إضافة إلى أن العديد من الشواهد قد أكدت شيوع النقائص الجسمية أكثر من شيوعها لدى الأفراد الأسوياء.

ولعل أثناء حديثنا عن المحك الطبي الإكلينيكي قد تحدثنا عن العديد من الصفات الجسمية التي تميز هذه الفئة؛ من حيث زيادة حجم الجمجمة، أو نقص حجم الرأس أو الأطراف، أو تساقط الشعر، وهكذا. كذلك تشيع بين فئة

ضعاف العقول وجود نقائص في الجوانب الحسية أكثر منها بين الأسوياء، وخاصة الصمم أو ضعف السمع، وكذا ضعف الإبصار وعدم وجود التأثر البصري الحركي؛ وهو لا شـك صفة لازمة للتعامل مع مفردات البيئة الخارجية.

٣ ـ الخصائص النفسية:

يبرز الاهتمام بالذكاء والقدرات كأحد العوامل التي تشكل بنية الضعف العقلي لدى هذه الفئة، ومن العجيب أن العلمـاء قد وجدوا أن التغير الذي يطرأ على نسبة الذكاء مع التقـدم في العمر يتناقص ولا يثبت؛ مما يؤدي إلى حدوث التدهور. ولعل هذه النتيجة تتفق مع نتائج بحوث الخصائص الجسمية في أن ضعيف العقل شخص ضعيف من الناحيـة التكوينيـة Genetic. وقد بذلت بذلك العديد من الجهود لتحديد خريطة القدرات لدى هذه الفئة، وقد أظهرت وجود نقص في درجـة هذه القدرات، كما أنهم لا يظهرون بصفة عامة سمات ممتازة تتوازن مع نقائصهم في سمات أخرى؛ وإنما هم في العـادة أقل من المتوسط في وظائفهم العقلية، وخاصة سمات القدرة اللغوية؛ لارتباطه باختبارات الذكاء اللفظية منذ بداية تـاريخ إنشاء الاختبارات حتى الآن، والذي يؤكد افتقار مثـل هـذه

الفئة إلى المكونات الأساسية لهذه القدرة، كذلك وجود العلماء في هذا الميدان. إن ما يميز هذه الفئـة أيضـا هـو وجـود خاصية التصلب والجمود وعدم المرونة؛ بل لـديهم القـدرة على تكرار الأعمال الروتينية بلا ملل، وهذا يتفق مع وجود القدرات لديهم بدرجة منخفضة.

ثالثًا- الخصائص الاجتماعية:

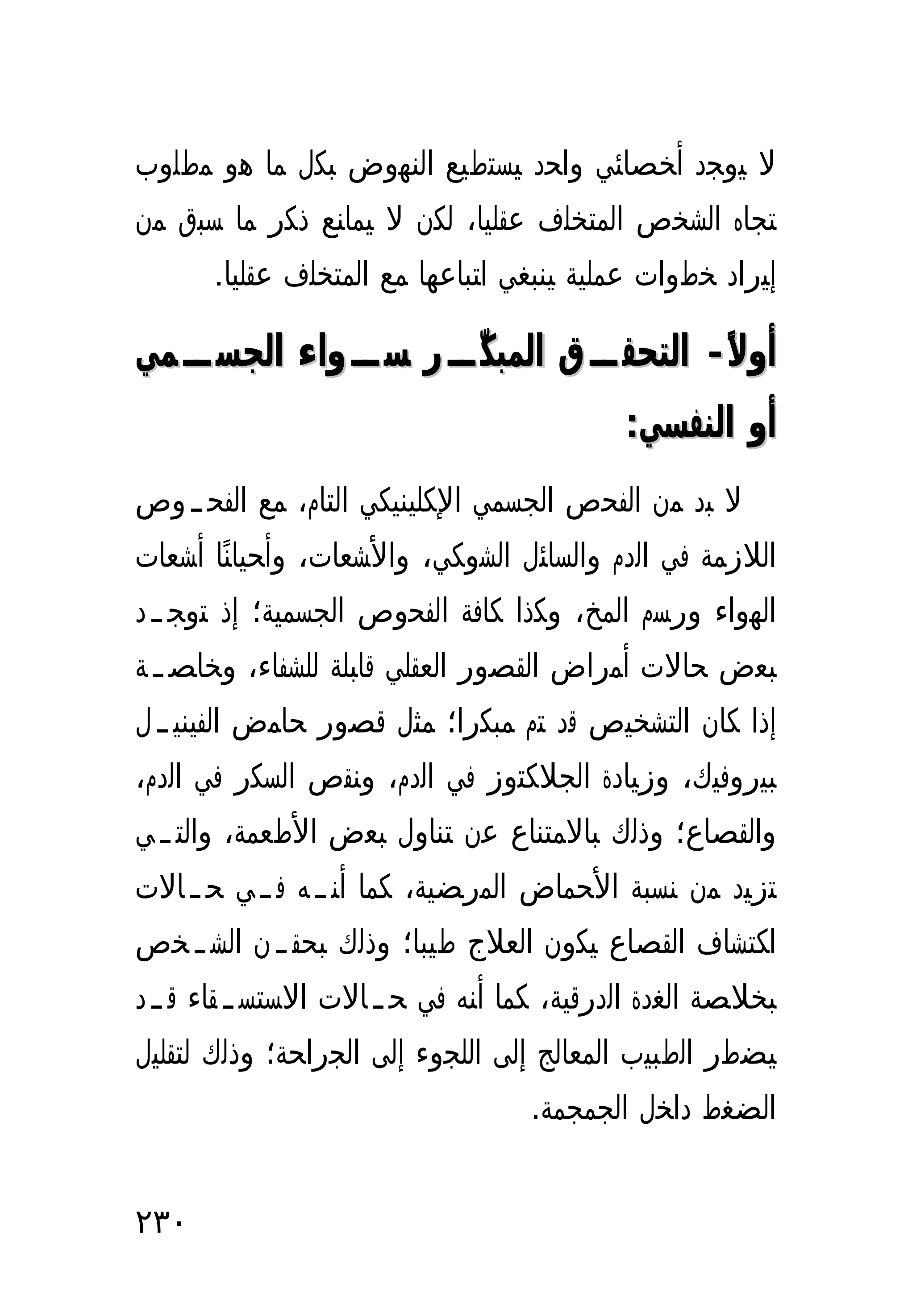
يفتقد الضعيف عقليا إلى مهـارة كيفيـة التعامـل مـع الآخرين، أو إلى قدرة الذكاء الاجتماعي، والذي يعني القدرة على فهم الرجال والنساء، والفتيان والفتيات، والتحكم فـيهم وإدارتهم؛ بحيث يقومون بأدوار حكيمة ومحددة في العلاقات الإنسانية، فالشخص يعيش في وسط اجتماعي، ولا بد له من التعامل، وقد وجد التحليل النفسي أن الفرد في أشد حـالات العزلة "يهلوس" بوجود الآخرين؛ ذلك الآخر الـذي يكـون إدراكه في البداية سابقًا على إدراك الذات، ومن خلال ذلـك يستطيع الشخص أن يفرق بين ذاته - والتي كانت مدمجة في ذوات الآخرين وضائعة في البداية - وذوات الآخرين، ومن هنا لا بد أن ينمو لدى الشخص ما يسمى بحاسـة التعـاطف Cmpathy، والذي يعني في جوهره فهم الأحداث الإنسانية

والاجتماعية التي تحدث في نطاق بيئته، ولا مانع من فهـم ما يحدث في البيئات الأخرى، وتكوين موقف محـدد سـلبا أو إيجابا، والقيام بالمشاركة الاجتماعية، ويتطلب هذا قـدرة من الشـخص علـى مـا يسـمى بـالإدراك الاجتمـاعي Social perception لكل الأحداث والأشـخاص Persons التي تقع في نطاق بيئته. وبالطبع يفتقد المتخلف عقليا إلـى مثل هذه المهارات، بل قد تصل بعض الحالات - كما سـبق وأشرنا - إلى ضرورة عزلها في مؤسسات خاصـة بـذلك؛ لأن تركها هكذا في المحيط الاجتماعي يكون خطرا.

علاج التخلف العقلي:

هل التخلف العقلي يمكن علاجه؟ وهل نستطيع باسـتخدام الوسائل المتنوعة من تحويل المتخلف عقليـا إلـى متوسـط الذكاء، أو حتى عبقريا؟

في الواقع إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارهـا أن التخلـف العقلي حالة مزمنة لا علاج لها، والحل الوحيد هو مسـاعدة الطفل على أن يتقدم خطوة ويظل في تقدمه، مع مراعاة أنـه سيظل دائما متخلفًا عقليا. ولما كانت مطالب المتخلف عقليـا متعددة، وتدخل في اختصاصات العديد من المختصين؛ فإنـه



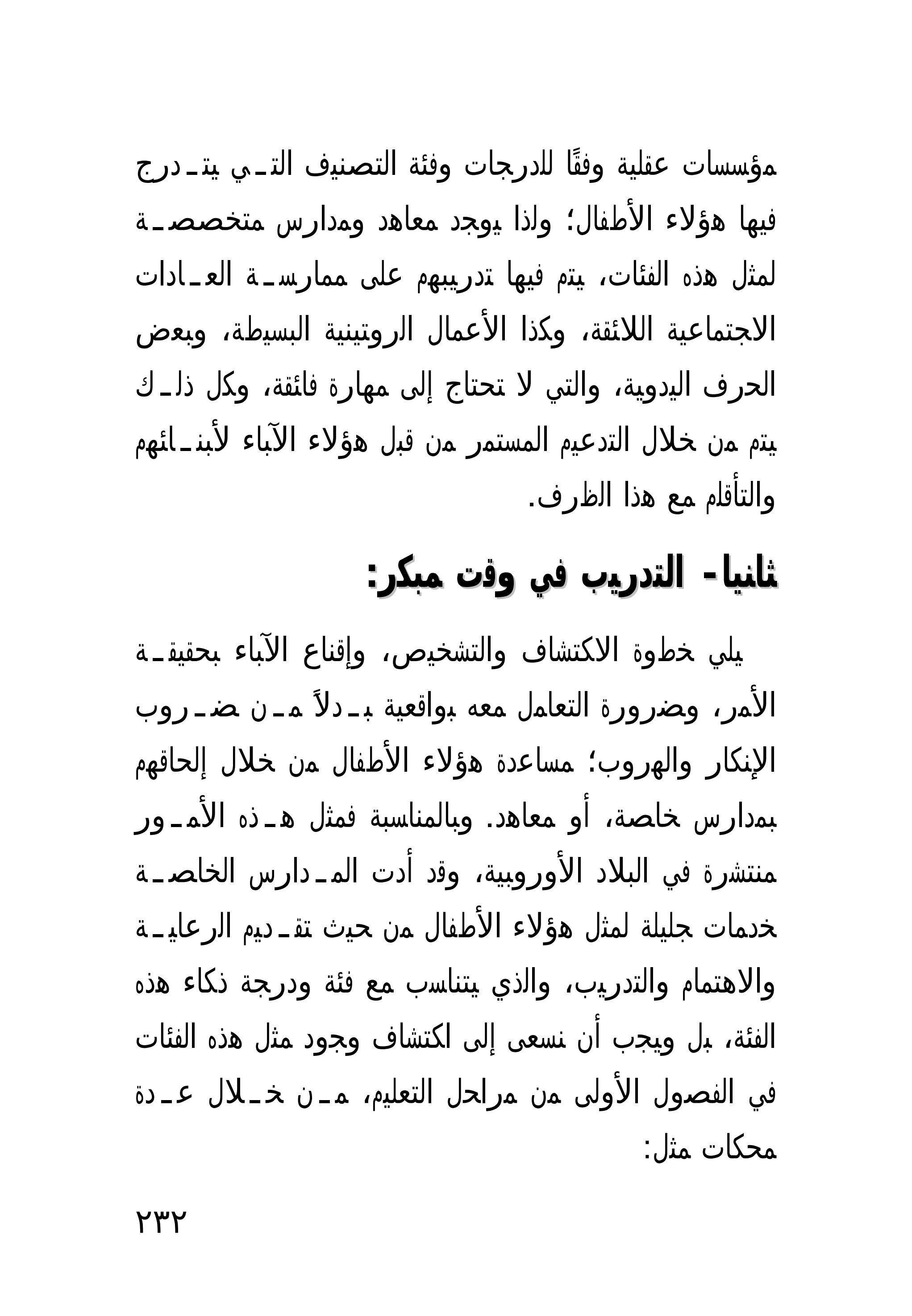
لا يوجد أخصائي واحد يستطيع النهوض بكل ما هو مطلوب تجاه الشخص المتخلف عقليا، لكن لا يمانع ذكر ما سبق من إيراد خطوات عملية ينبغي اتباعها مع المتخلف عقليا.

أولاً- التحقق المبكر سواء الجسمي أو النفسي:

لا بد من الفحص الجسمي الإكلينيكي التام، مع الفحوص اللازمة في الدم والسائل الشوكي، والأشعات، وأحيانًا أشعات الهواء ورسم المخ، وكذا كافة الفحوص الجسمية؛ إذ توجد بعض حالات أمراض القصور العقلي قابلة للشفاء، وخاصة إذا كان التشخيص قد تم مبكرا؛ مثل قصور حامض الفينيل بيروفيك، وزيادة الجلاكتوز في الدم، ونقص السكر في الدم، والقصاع؛ وذلك بالامتناع عن تناول بعض الأطعمة، والتي تزيد من نسبة الأحماض المرضية، كما أنه في حالات اكتشاف القصاع يكون العلاج طيبا؛ وذلك بحقن الشخص بخلاصة الغدة الدرقية، كما أنه في حالات الاستسقاء قد يضطر الطبيب المعالج إلى اللجوء إلى الجراحة؛ وذلك لتقليل الضغط داخل الجمجمة.

أما التحقق النفسي؛ فيتم عن طريق استخدام الاختبـارات التي تتناسب مع المرحلة العمرية للطفل، وكذا ملاحظة مقدار التغيرات التي تطرأ على كافة وظائفـه، خاصـة الحسـية والحركية؛ ولذا فإنه يوجد في الغرب العديـد مـن معاهـد الملاحظة؛ حيث يـتم إيـداع البـالغين أو الأحـداث مـن المجرمين؛ للتأكد من حالاتهم العقلية، ومدة الحجز في هـذه المعاهد تتراوح بين شهر وثلاثة أشـهر، ويعطـى الحـدث الحرية المطلقة في أن يتصـرف كيفمـا يشـاء دون كبـت لغرائزه؛ حتى يتمكن المراقبون مـن تـدوين ملاحظـاتهم، وتكون تحت نظر القاضي حين يصدر حكمـا علـى هـذا الشخص لبيان مدى مسئوليته من عدمها عن تصرفاته.

غير أن المشكلة النفسية المزمنة؛ هي كيفية إقنـاع آبـاء المتخلفين بتخلف أبنـائهم، وعـادةً لا يقبـل الآبـاء بهـذه "الحقيقة/ الصدمة"، ويأخذون في ضروب شتى من الإنكـار Denial والإسقاط، وأن هناك خطأ ما، وأن أولادهم أذكياء، أو على أسوأ الفروض لا يقلون ذكاء عـن بـاقي الأطفـال الآخرين، ولكن بعد اجتياز الآباء لهذه الخطوة الصعبة تكون الخطوة التالية بعد ذلك إقناعهم بإيداع هؤلاء الأطفـال فـي



مؤسسات عقلية وفقًا للدرجات وفئة التصنيف التـي يتـدرج فيها هؤلاء الأطفال؛ ولذا يوجد معاهد ومدارس متخصصـة لمثل هذه الفئات، يتم فيها تدريبهم على ممارسـة العـادات الاجتماعية اللائقة، وكذا الأعمال الروتينية البسيطة، وبعض الحرف اليدوية، والتي لا تحتاج إلى مهارة فائقة، وكل ذلـك يتم من خلال التدعيم المستمر من قبل هؤلاء الآباء لأبنـائهم والتأقلم مع هذا الظرف.

ثانيا- التدريب في وقت مبكر:

يلي خطوة الاكتشاف والتشخيص، وإقناع الآباء بحقيقـة الأمر، وضرورة التعامل معه بواقعية بـدلاً مـن ضـروب الإنكار والهروب؛ مساعدة هؤلاء الأطفال من خلال إلحاقهم بمدارس خاصة، أو معاهد. وبالمناسبة فمثل هـذه الأمـور منتشرة في البلاد الأوروبية، وقد أدت المـدارس الخاصـة خدمات جليلة لمثل هؤلاء الأطفال من حيث تقـديم الرعايـة والاهتمام والتدريب، والذي يتناسب مع فئة ودرجة ذكاء هذه الفئة، بل ويجب أن نسعى إلى اكتشاف وجود مثل هذه الفئات في الفصول الأولى من مراحل التعليم، مـن خـلال عـدة محكات مثل:

١- لا يتعلم ناقص الذكاء بنفس السرعة التي يتعلم بها العادي.

٢- ولا يتحسن بنفس السرعة التي يتحسن بها الشخص العادي (رغم توحد نفس الظروف).

٣- لا يتمكن ناقصو الذكاء من الانتقال – من أثر التدريب - من قدرة إلى أخرى مهما كانت درجة التشابه.

٤- لا يمكن أن يتعلم أشياء أو يكتسب مهارات أكثر مما يسمح به عمره العقلي.

ولذا ينادي أصحاب هذا الاتجاه بضرورة الاهتمام بمثل هذه الفئة، وكذا إنشاء فصول خاصة بهم؛ نظرا لأنهم إذا انتظموا مع التلاميذ العاديين فقد يتسببون في حدوث بعض المشاكل؛ مثل تعطيل الدراسة، إضافة إلى عزلتهم الاجتماعية وعدم التفاعل مع الآخرين.

ثالثًا- الاستمرار في مراقبة هذه الفئة:

إذ لا تكون المراقبة لهؤلاء الأشخاص أثناء تواجدهم فـي مؤسسات تدريب ضعاف العقول فقط؛ بل يجب مراقبتهم في الخارج، ومراعاة الآتي:

١- عدم السماح لضعاف العقول بالزواج من ضـعاف العقول.

٢- عدم السماح لرجال ظهـر الضـعف العقلـي فـي عائلاتهم بأن يتزوجوا من نسـاء ظهـر الضـعف العقلي في عائلاتهم؛ وذلك لأنه مـن المحتمـل أن تكون صفة الضعف موجودة عند أحدهما، ولكنهـا متنحية Recessive، ولكن من خلال التزاوج تظهر في النسل.

٣- التفريق بين من توارثوا الضعف وبين من اكتسـبوا هذا الضعف أثناء الولادة أو بعدها؛ عند البحث فـي العائلات قبل الزواج.

٤- هناك اتجاه آخر ينادي بأن التخلف طالما يورث في الغالب؛ فيجب أن يعقم مثل هؤلاء الأشخاص؛ وذلك لتحديد النسل، أو عدم وجود نسل لهم على الإطلاق.



وكل تلك العوامل السابقة ما هي إلا محكات تحاول قـدر الإمكان التعامل مع هذه الفئة.

الفصل الثامن

المتفوقون عقليا

مقدمة

على عكس فئة المتخلفين عقليا من حيث امتلاكهم لدرجة أدنى في الذكاء والقدرات؛ توجد فئة أخرى تمتلـك درجـة أعلى من الذكاء والقدرات؛ مما يؤكد من جهة عامل الفروق الفردية، وكذا قاعدة أن الخصائص تتوزع توزيعا اعتـداليا، كما يؤكد حقيقة أن الذكاء - مثله مثل القدرات، والعديد مـن المفاهيم في مجال علم النفس والعلوم الإنسـانية - مفهـوم فرض؛ بمعنى أننا لا نلاحظه في ذاته، أو نلاحظه ملاحظـة مباشرة؛ وإنما نحن نستدل على وجوده من مشاهدة مجموعة من أنماط السلوك الذكي، فلـيس للـذكاء وجـود ملمـوس أو محسوس في حد ذاته، ولكن من خلال محكـات معينـة نستطيع أن نستنتج تمتع الشخص بدرجة أعلى من الـذكاء، أو متوسطة، أو حتى دون المتوسط.

والاهتمام بفئتي؛ ضعاف العقول، والمتفوقين عقليا؛ إنمـا يدخل في صميم اهتمام علم النفس الفارق، فحيثما وجد بعض الأشخاص الذي يتمتعـون بـدرجات عاليـة مـن النبـوغ

أو درجات دون المستوى من القدرات العقلية؛ فـإن هـؤلاء الأفراد يصبحون موضوعا لحب الاستطلاع، بـل وإجـراء الدراسات والبحوث لمحاولة سبر أغوار مثل هذه الظـواهر الشاذة.

تعريف المتفوقون عقليا:

اتفق غالبية من تصدوا بالدراسة لهذا الموضـوع علـى النظر إلى الأفـراد الـذين يحصـلون علـى نسـبة ذكـاء ١٢٠ أو ١٢٥ وما فوقها كعباقرة، أو أصحاب ذكاء مرتفـع Superior، ويمثل هؤلاء الأطفال نسبة مـن ٥: ١٠ مـن مجموع الأطفال في سن العاشرة، أما الأطفال الذين تصـل نسبة ذكائهم إلى ١٣٥ و١٤٠؛ فيشار إلـيهم بـأنهم أطفـال موهوبون Gifted، ويمثـل هـؤلاء الأطفـال نسـبة مـن ١: ٣% من مجموع أبناء المجتمع.

ويلاحظ أن فئة المتفوقين عقليا لديها مستوى يفوق ما عند المتوسطين في نواحٍ متعددة؛ مثل النواحي التالية: التكامل في الشخصية، الاستقلال، الإبداع، التحليل، النشـاط والفاعليـة، التفوق الدراسي، والنبوغ المهني بل والتفرد فيه.

العلاقة بين التفوق الدراسي والتفوق العقلي:

يظن الكثيرون أن هناك علاقة إيجابية بين التفوق العقلي، والذي يظهر في التفوق الدراسي من خلال عملية التقويم التحصيلي، والتي تتم بطرق مختلفة، ولعل أكثرها شيوعا في المدارس استخدام أسئلة المقال، والتي تركز على عدة قدرات يجب أن تتوافر لدى الطالب؛ مثل قدرته على تنظيم إجاباته، واستخدام ألفاظه الخاصة، وقدرته على العرض والربط بين أجزاء الموضوع المختلفة، أو السير وفق منهج محدد يبدأ بالمقدمة، ثم الدخول إلى الموضوع، وأخيرا إنهاء الموضوع، ورغم كل هذه المميزات للاختبارات المقالية؛ إلا أن هناك العديد من الجوانب التي تغفلها عملية التقويم؛ حيث لا تهتم إلا بقدرة الطالب على الحفظ، والقدرة على استظهار المعلومات، وقتل روح النقد والابتكار (على أساس أن المعيار هو الالتزام بما يرد في نصوص كتاب الوزارة)، ومن العجيب أن إسماعيل القباني (رائد التربية في مصر) قد ذكر هذه العيوب عام ١٩٣٩، وما زالت قائمة حتى الآن، ناهيك عن إدخال العديد من الآفات المرضية، والتي فشلت الوزارة في العثور على علاج ناجح لها حتى الآن؛ مثل

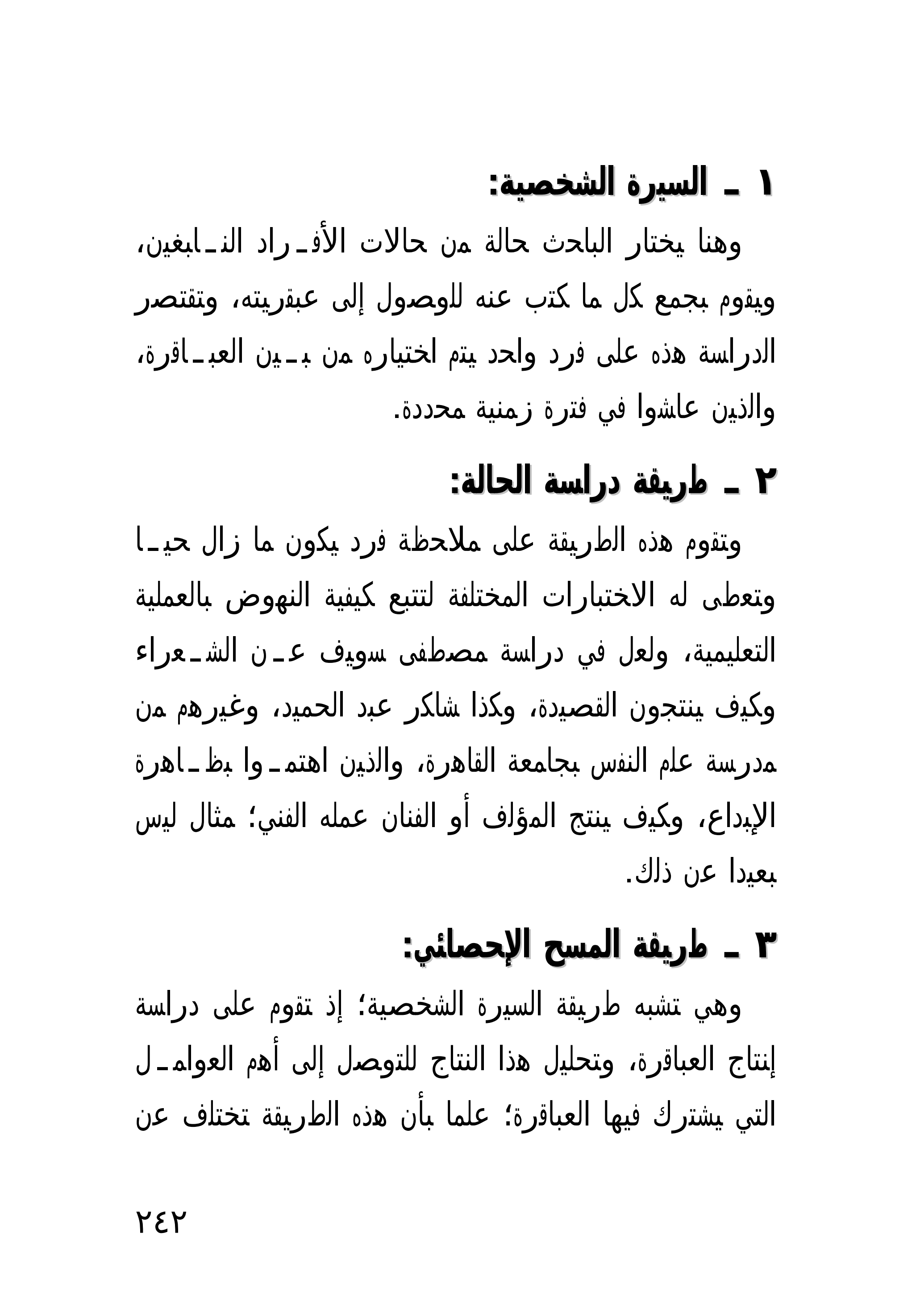
انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية، وكذا الغـش (الفـردي والجماعي)، وأيضا تسرب الأسئلة وأجوبتها لمـن يملكـون المال والسلطة، كما حدث في امتحان الثانوية عـام ٩٦/ ٩٧ في محافظة الإسكندرية؛ ولذا فمن الممكن جدا في مثل هـذه الظروف أن ينمو الشخص المتفوق إلى الـبلادة والكسـل؛ لعجزه عن مجاراة الأحداث التي تنبت داخل المدرسـة مـن تكدس الفصول، ومعلم أنهكه البحث عـن تحسـين وضـعه المالي، ومضايقة الآخرين له، وقد ينتهـي الأمـر بالتلميـذ صاحب الذكاء المرتفع إلى أن يصبح تلميذًا مشكلاً؛ بسـبب ما تولد ونما عنده من جوانب إحباطية متعددة.

إضافة إلى أن الآباء قد يقفون موقـف المعـارض لهـذا التفوق، وهنا يصبح شأنهم شأن من يربـي بـدون نظـام، ويحدث أن يصبح الآباء كثيري الإلحاح، كثيري الطلبـات، عدوانيين وغير متعاونين، بـل ويفرضـون علـى أبنـائهم تخصصات معينة (حيث يحـدث أن يسـقط الآبـاء فشـلهم واحتياجاتهم التي فشلوا في تحقيقها على أولادهم، ويلحـون في ضرورة تحقيقها(!)، وتكون النتيجة أن يقع المتفوق عقليا تحت تأثير الإحباط واحتمال الفشل، ناهيك عن أن الكثير من

المؤثرات الثقافية التي يحتاج إليها المتفوق قد لا تتوفر في المنزل (أي الكتب والمجلات والجرائد بشكل خاص)، بل هناك نظرة من الكثير من الآباء - حتى الآن - إلى أن أي قراءة في أي كتاب بعيدا عن الكتب المقررة من لدى وزارة التربية والتعليم ما هي إلا مضيعة للوقت، ونشاط يجب أن يتم وأده بأسرع يكون حتى يسترد "الولد" وعيه، ويعود إلى كتاب الوزارة، والذي بناءا عليه يتحدد مصيره ومستقبله، وبالتالي تحقيق أو عدم تحقيق أمنية أهله المحبطين. وخلاصة ما نود قوله: إن النجاح في العملية الدراسية يمكن أن يكون مؤشرا على تمتع الطالب بدرجة عالية من الذكاء، لكن من الخطأ المطابقة بين التفوق العقلي والتفوق الدراسي؛ لأن الأخير ما هو إلا جانب واحد من جوانب التفوق العقلي المتنوع والثري.

طرق البحث في التفوق العقلي:

تتعدد الطرق التي اتبعها الباحثون في مجال التفوق العقلي، ونستطيع إجمالها في:



١ ـ السيرة الشخصية:

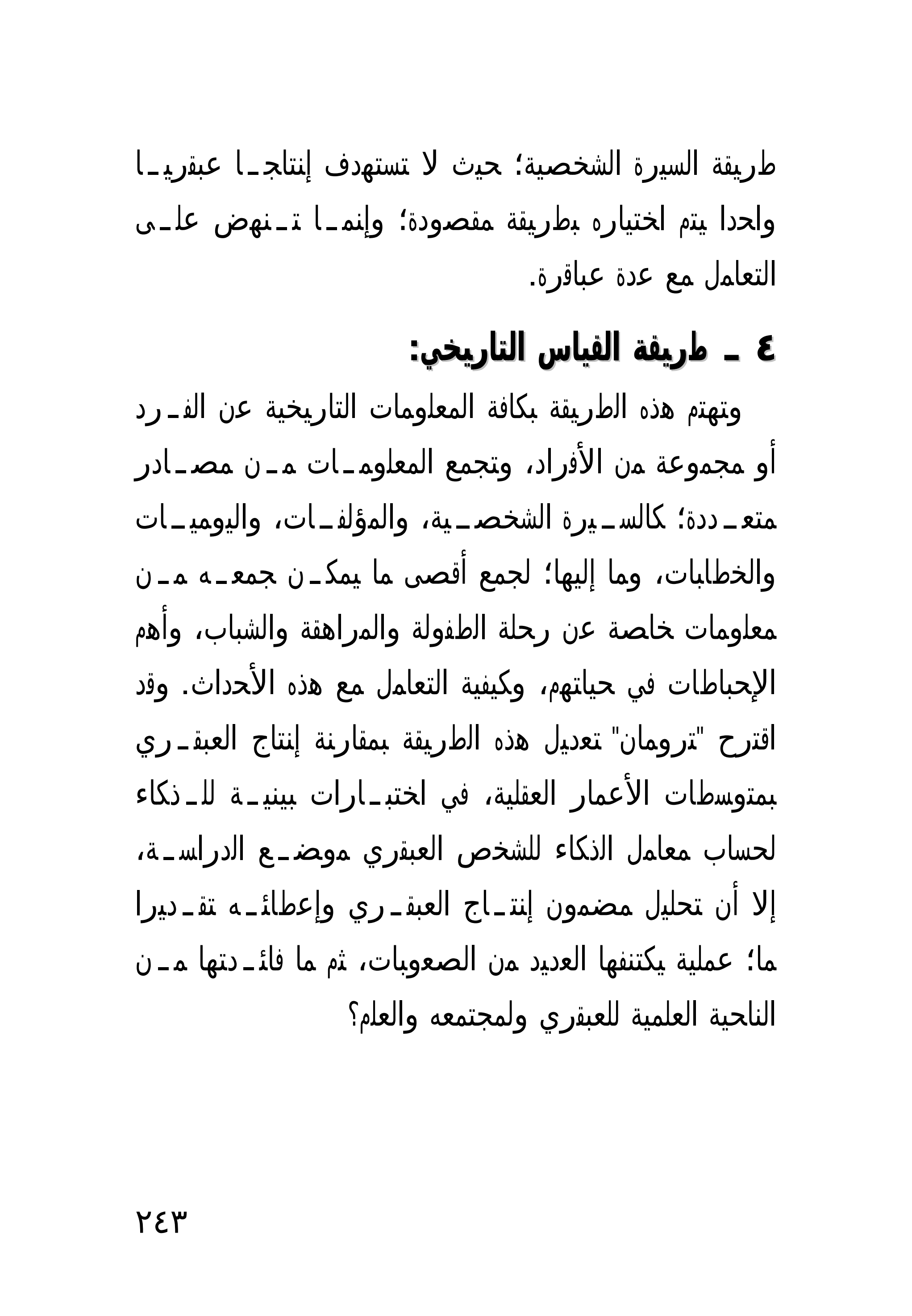
وهنا يختار الباحث حالة من حالات الأفـراد النـابغين، ويقوم بجمع كل ما كتب عنه للوصول إلى عبقريته، وتقتصر الدراسة هذه على فرد واحد يتم اختياره من بـين العبـاقرة، والذين عاشوا في فترة زمنية محددة.

٢ ـ طريقة دراسة الحالة:

وتقوم هذه الطريقة على ملاحظة فرد يكون ما زال حيـا وتعطى له الاختبارات المختلفة لتتبع كيفية النهوض بالعملية التعليمية، ولعل في دراسة مصطفى سويف عـن الشـعراء وكيف ينتجون القصيدة، وكذا شاكر عبد الحميد، وغيرهم من مدرسة علم النفس بجامعة القاهرة، والذين اهتمـوا بظـاهرة الإبداع، وكيف ينتج المؤلف أو الفنان عمله الفني؛ مثال ليس بعيدا عن ذلك.

٣ ـ طريقة المسح الإحصائي:

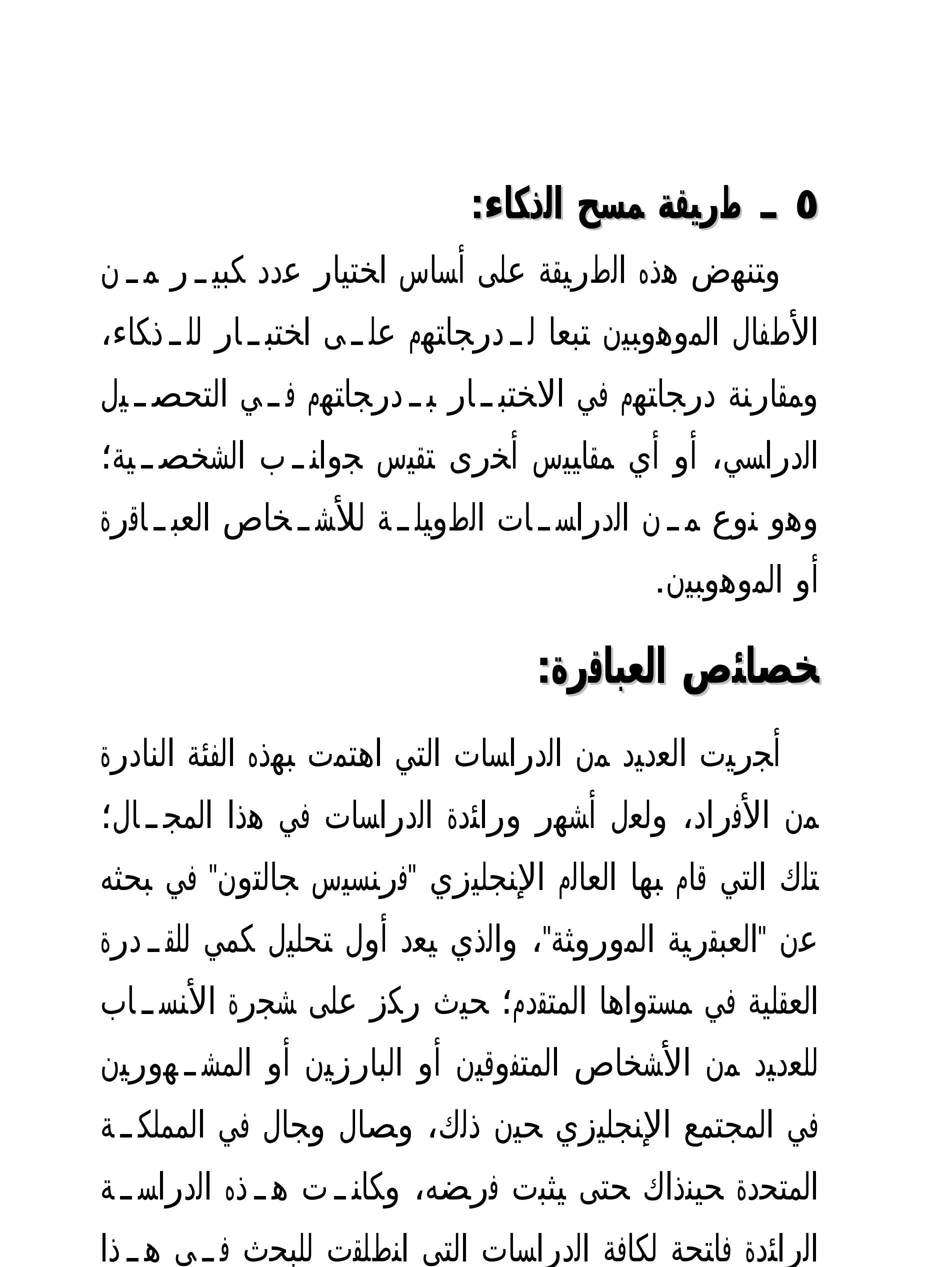
وهي تشبه طريقة السيرة الشخصية؛ إذ تقوم على دراسة إنتاج العباقرة، وتحليل هذا النتاج للتوصل إلى أهم العوامـل التي يشترك فيها العباقرة؛ علما بأن هذه الطريقة تختلف عن



طريقة السيرة الشخصية؛ حيث لا تستهدف إنتاجـا عبقريـا واحدا يتم اختياره بطريقة مقصودة؛ وإنمـا تـنهض علـى التعامل مع عدة عباقرة.

٤ ـ طريقة القياس التاريخي:

وتهتم هذه الطريقة بكافة المعلومات التاريخية عن الفـرد أو مجموعة من الأفراد، وتجمع المعلومـات مـن مصـادر متعـددة؛ كالسـيرة الشخصـية، والمؤلفـات، واليوميـات والخطابات، وما إليها؛ لجمع أقصى ما يمكـن جمعـه مـن معلومات خاصة عن رحلة الطفولة والمراهقة والشباب، وأهم الإحباطات في حياتهم، وكيفية التعامل مع هذه الأحداث. وقد اقترح "ترومان" تعديل هذه الطريقة بمقارنة إنتاج العبقـري بمتوسطات الأعمار العقلية، في اختبـارات بينيـة للـذكاء لحساب معامل الذكاء للشخص العبقري موضـع الدراسـة، إلا أن تحليل مضمون إنتـاج العبقـري وإعطائـه تقـديرا ما؛ عملية يكتنفها العديد من الصعوبات، ثم ما فائـدتها مـن الناحية العلمية للعبقري ولمجتمعه والعلم؟

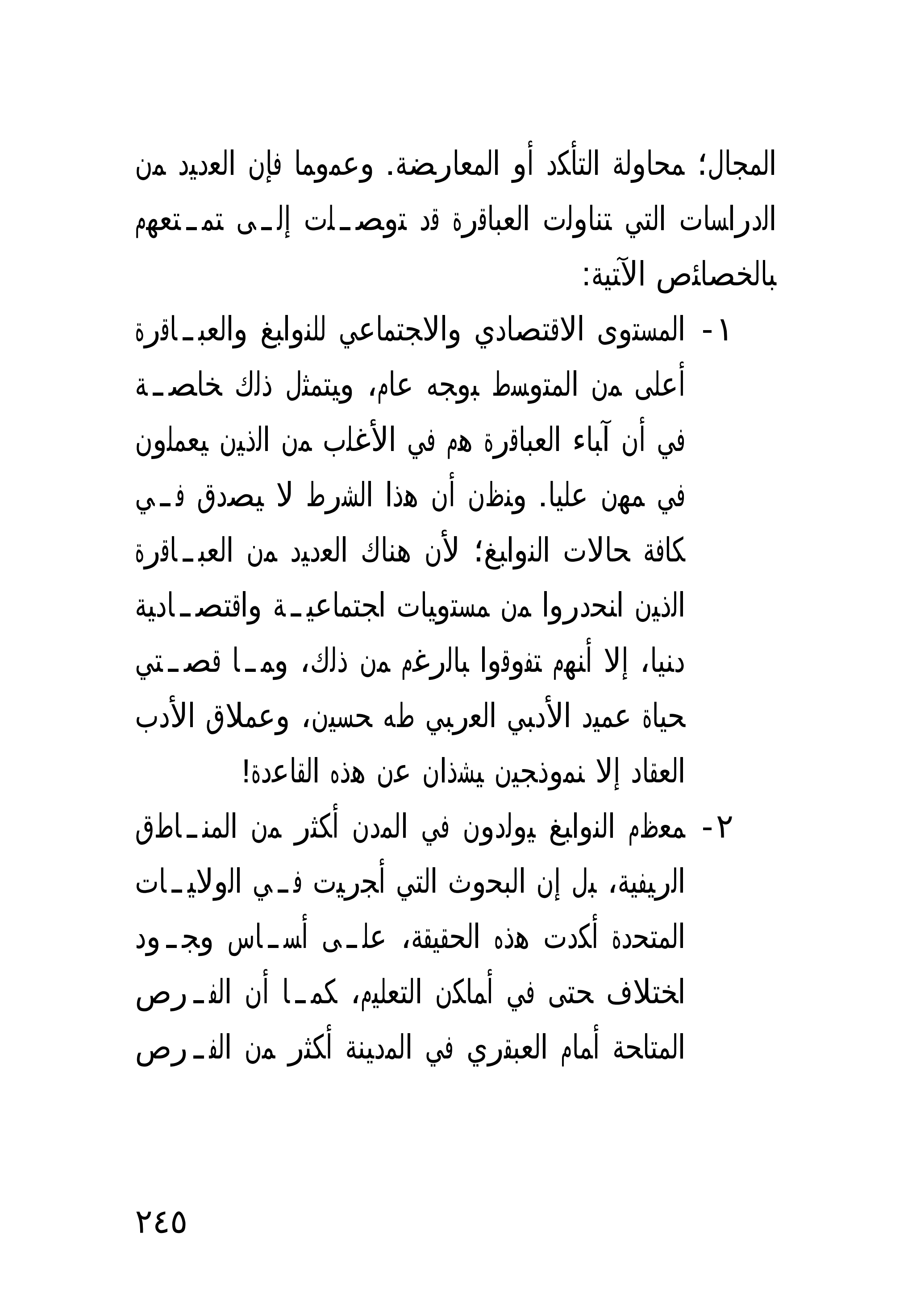


٥ ـ طريقة مسح الذكاء:

وتنهض هذه الطريقة على أساس اختيار عدد كبير من الأطفال الموهوبين تبعا لدرجاتهم على اختبار للذكاء، ومقارنة درجاتهم في الاختبار بدرجاتهم في التحصيل الدراسي، أو أي مقاييس أخرى تقيس جوانب الشخصية؛ وهو نوع من الدراسات الطويلة للأشخاص العباقرة أو الموهوبين.

خصائص العباقرة:

أجريت العديد من الدراسات التي اهتمت بهذه الفئة النادرة من الأفراد، ولعل أشهر ورائدة الدراسات في هذا المجال؛ تلك التي قام بها العالم الإنجليزي "فرنسيس جالتون" في بحثه عن "العبقرية الموروثة"، والذي يعد أول تحليل كمي للقدرة العقلية في مستواها المتقدم؛ حيث ركز على شجرة الأنساب للعديد من الأشخاص المتفوقين أو البارزين أو المشهورين في المجتمع الإنجليزي حين ذاك، وصال وجال في المملكة المتحدة حينذاك حتى يثبت فرضه، وكانت هذه الدراسة الرائدة فاتحة لكافة الدراسات التي انطلقت للبحث في هذا


المجال؛ محاولة التأكد أو المعارضة. وعموما فإن العديد من الدراسات التي تناولت العباقرة قد توصلت إلى تمتعهم بالخصائص الآتية:

١- المستوى الاقتصادي والاجتماعي للنوابغ والعباقرة أعلى من المتوسط بوجه عام، ويتمثل ذلك خاصة في أن آباء العباقرة هم في الأغلب من الذين يعملون في مهن عليا. ونظن أن هذا الشرط لا يصدق في كافة حالات النوابغ؛ لأن هناك العديد من العباقرة الذين انحدروا من مستويات اجتماعية واقتصادية دنيا، إلا أنهم تفوقوا بالرغم من ذلك، وما قصتي حياة عميد الأدبي العربي طه حسين، وعملاق الأدب العقاد إلا نموذجين يشذان عن هذه القاعدة!

٢- معظم النوابغ يولدون في المدن أكثر من المناطق الريفية، بل إن البحوث التي أجريت في الولايات المتحدة أكدت هذه الحقيقة، على أساس وجود اختلاف حتى في أماكن التعليم، كما أن الفرص المتاحة أمام العبقري في المدينة أكثر من الفرص

في الريف. إلا أننا لا يجب أن نفهم مـن ذلـك أن عامل البيئة يعد الدور الأساسي في نشوء العبقرية.

٣- معظم العباقرة يأتون من أسر بها نوابـغ آخـرون، وهذا يؤكد دور الوراثة، إلا أننا لا يجب أن نغفـل دور البيئـة، صـحيح أن جـالتون قـد وجـد أن ٩٧٧ عبقريا كانوا موضوع دراسته؛ لهـم أقـارب ينتمون إلى شـجرة عـائلاتهم فـيهم مـا يقـارب الـ ٧٣٩ عبقريا، وقد تأكدت هذه الحقيقة من خلال العديد من الدراسات التي تناولت مثل هذا الأمر.

٤- متوسط أعمار آباء العباقرة عند ميلاد أطفالهم هـو ٣٥ عاما، وقد تأكدت هذه الحقيقة في العديـد مـن الدول الأوربية. إلاّ أنه ليس من السهولة بمكان تقبل هذه النتيجة على علّتها؛ لسـبب بسـيط أن غالبيـة الأفراد في الطبقات الراقية يقدمون على الزواج في سن متأخرة نسبيا، ويكون إنجابهم تبعا لذلك وهم في أواسط أعمارهم، على عكس الحـال فـي الأسـر المتوسطة أو ما دون ذلك، الذين يحرصون على أن يتم الزواج والإنجاب في سن مبكرة.

٥- ترتيب الطفل العبقري هو في العادة الأول، ويليه في الشيوع الطفل الأخير في الترتيب الولادي، ويمكـن تفسير هذه النتيجة أو الملاحظة في أن الطفل الأول أو الأخير وآخر العنقود غالبا ما يلقون الاهتمام في المحيط الأسري والثقافي الذي ينشئون فيه.

ونشير أخيرا إلى أن ما سبق ذكره مـا هـو إلاّ مجـرد مؤشرات (وليست حقائق ثابتـة يقينيـة) إلـى خصـائص الموهوبين عقليا، وهم على أي حال يتميزون بزيـادة نسـبة الذكاء (مقارنة بالآخرين)، كما أنهم يظلون محافظين علـى تفوقهم، كما يظهر نبوغهم الأكاديمي والمهني، كما أنهم فـي الغالب متوافقون جنسيا في زيجاتهم، كما أنهم قادرون علـى الابتكار والتجديد.

الذكاء والمرض العقلي:

يؤكد لنا التاريخ الخاص بالعباقرة أنه قديما كان ينظر إلى العباقرة على أساس أنهم فئة من الشواذ والمرضـى، ممـن يدخلون في عداد المجانين والمرضى النفسيين، بل إن مـن تصدى لدراسة هذه الظاهرة حاول تفسير هذا الارتباط وفقًـا للمحكات الآتية:

١- إن المرضى النفسيين غالبا ما تزيد حدتهم الانفعالية، وبالتالي تزيد حدة حساسية الفـرد لأقـل الأشـياء، إضافة إلى إرادته؛ ولذا تزيـد درجـة حساسـيته، ويكون أقدر من غيره علـى التعبيـر عـن هـذه الحساسية بضروب من السلوكيات الغير مألوفة.

٢- يعاني المريض نفسيا من شعور بالتعاسة والـنقص؛ مما يحفزه أكثر إلى التحصيل ومحاولة إثبات الذات.

٣- ولما كانت الحياة العقلية للمريض نفسيا غنية بالخيال وأحلام اليقظة؛ فقد يساعد ذلك على الابتكار والقدرة على التعبير.

وقد أكّد "كول مان" Cale man في استعراضه للـذهان الـوظيفي The functional Psychoses أن المـريض العقلي لا يرتبط بالذكاء، وأن الاضطرابات الذهانية توجد بين العباقرة أو شديدي الذكاء، كما توجد بين ضـعاف العقـول؛ فمستوى الذكاء والمستوى التعليمي متساويان لدى مـريض الذهان، ولدى الناس الأسوياء في المجتمع عامة، وإن كانـت هناك فروق في مستوى الذكاء بين طوائف المرض العقلي.

والخلاصة أننا نرى أن المرض العقلي ليس مرتبطًا بتفوق الفرد في درجة الذكاء؛ لأن الجنون والاضطراب النفسي ينتج عن العديد من العوامل. صحيح أن العبقري يخالف العديد من نظم المجتمع وتقاليده، فيبدو شاذًا مثله مثل المتخلف عقليا أو المريض نفسيا، ولكن فقد قدر لمن يحملون هذه الشعلة المقدسة تغيير الكثير من الآليات ودفع عجلة الحياة في المجتمع قبل أن يصيبهم الموت؛ ولذا فقد يتهم العباقرة بالجنون، وقد يتم عزلهم في مؤسسات عقلية ووصمهم بهذا التشخيص "المخيف/ المرعب"؛ الجنون.

الذكاء والجريمة:

ظلت الفكرة السائدة حتى وقت قريب أن أرباب السوابق والمتبحرين في عالم الإجرام (بكافة طوائفه) إنما ينحدرون من مستويات عقلية أدنى، لدرجة أن H. Godard في كتابه: "الكفاءة الإنسانية ومستويات الذكاء" يذهب إلى القول إن جميع البحوث التي أجريت على عقليات المجرمين والأحداث ومرتكبي الجنح، وغيرهم من الجماعات المضادة للمجتمع؛ أثبتت لهم ذكاء منخفضا.

ولكن مثل هذا الحكم مبالغ فيه، ويحمل شبهة التحيز؛ لأن مثل هؤلاء الأشخاص "الغير سويين" حين يرتكبون جريمـة؛ فإنهم سرعان ما يتم إلقاء القبض عليهم، وتطبيـق أقصـى نصوص القانون عليهم، على عكس الحالة فيما يتعلق بجرائم أصحاب النفوذ؛ إذ سرعان ما يتم التسـتر علـيهم لأسـباب متعددة، كما أنه ليس كل من يرتكب جريمة يتم إلقاء القبض عليه. ولعل دراسة سيد عويس الشهيرة عـن "ملامـح مـن المجتمع المصري الحديث: ظاهرة إرسـال الرسـائل إلـى ضريح الإمام الشافعي" (١٩٦٦)؛ توضح العديد مـن أبعـاد هذه القضية؛ حيث توجد العديد من القضايا المجهولـة فيمـا يتعلق بالسلطة، ولذا فإن الأقرب إلى الواقع أن نقول إن هناك علاقة بين الذكاء ودرجته ونوعيـة الجريمـة، فالأشـخاص أصحاب الذكاء العالي يرتكبون الجرائم التي تتطلـب قـدرة عقلية عالية؛ مثل جرائم الاخـتلاس، والاحتيـال، والغـش، والسرقات المدبرة تدبيرا محكمـا، وكـذا جـرائم التزويـر والتزييف (علما بأنه قد برز إلى السطح مؤخرا في مصـر العديد من أصحاب هذه الجرائم)، أما المجرمـون أصـحاب

الذكاء المتوسط أو المنخفض، فإنهم يتورطون فـي جـرائم السرقة والقتل والضرب والنشل أو حتى البغاء.

والخلاصة أنه ليس شرطًا أساسيا أن كل من يتمتع بالذكاء أو الموهبة لن يرتكب جريمة، كما أن ارتكاب الجريمة ليس قاصرا على أصحاب ذوي الذكاء المنخفض، وأن الجريمـة ترتبط بعوامل متعددة، كما أن نوعية الجرائم المرتكبة ترتبط بالمستوى العقلي والاقتصادي والاجتماعي للشـخص الـذي يقدم عليها.

الذكاء المجتمع:

ليس شرطًا في جميـع الأحـوال أن يحظـى العبـاقرة والموهوبون على التقدير أثناء حياتهم مـن المجتمـع، بـل العكس قد يكون هو الصحيح؛ إذ يحصلون علـى الإهمـال واللامبالاة وعدم الالتفـات إلـيهم؛ ولـذا فـإن "تـانبيوم" Tanneubaum يرى أن الموهبة لا يجـب أن ننظـر لهـا نظرة مستقلة عن طبيعة المجتمع الذي نشـأت فيـه؛ إذ قـد يحصل العبقري على التقدير من مجتمعـه، ووفقًـا لـروح العصر وطبيعة القيم السائدة في المجتمع حينذاك، وقد يظـل الشخص العبقري مدفونًا في مجتمعه؛ بل ويحارب، فإذا مات

يعيد المجتمع اكتشافه، وأيضا يأخذ في إقامـة المهرجانـات الاحتفالية له في محاولة لرد الاعتبار.

الاهتمام بالمتفوقين عقليا:

إن الأشخاص الذين يمتلكون صفة "العبقرية" و"الموهبـة" ما هم إلا ثروة عظيمة للمجتمع الذي ينشـأون فيـه؛ لأنهـم قادرون على استيعاب منجزات العلم والتكنولوجيا المعاصرة؛ ولذلك فإن ذكاء الأمة هو ثروتها القومية الغالية، ورصـيدها الثمين الذي يتطلب العناية والرعاية، ومن هنا يجب أن توفر لهم الدولة كافة صنوف الرعاية؛ حيث يجب أن يكـون لهـم مناهج دراسية وأكاديمية خاصة بهم (حتـى يسـتمروا فـي المحافظة على ذكائهم وتوقد قدراتهم)، إضافة إلى ضـرورة الاهتمام بكافة نواحيهم الجسـمية والانفعاليـة، أو الاهتمـام بغذائهم، والاستمرار في تدريبهم وتأهيلهم وتشجيعهم المستمر على الإبداع والابتكار، وتذليل كافة المعوقات الروتينية التي قد تخنق الإبداع.

وإذا كانت الأمم تهتم بفئة "المتخلفين عقليا" مـن منطلـق إنساني؛ فإن اهتمامها بهذه الفئة من المتفوقين إنما يجـب أن



ينطلق من قاعدة "المحافظة على كنوزهم البشرية والإبداعية؛ لضمان تواجدهم على خريطة التقدم في المجتمع".

الجزء الثاني

بعض نتائج الدراسات الميدانية في مجال علم النفس الفارق

مقدمة

لعل من أكثر الموضوعات إثارة للجدل؛ هو إقرار حقيقة أن الإدمان قاصر فقط على الذكور، ويستند هذا الاستنتاج إلى عدة أمور:

١- إن المتتبع لتاريخ أبحاث الإدمان في مصر - بدئًا من بحث المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٩ - لن يجد أي دراسات قد أدخلت الإناث ضمن فئات الدراسة.

٢- إن المجتمع المصري قد ألف أن يرى فئاته في صورتها الخاضعة الخائفة المستسلمة، والتي لا تقوى على القيام بأي سلوك لا اجتماعي ضد السلطة الوالدية، متجاهلاً فكرة أنها إنسانة في المقام الأول، وتعاني ـ مثل الرجل تماما ـ من العديد من الصراعات والمشاكل التي يعاني منها الرجل، بل أكثر من ذلك بحكم كونها أنثى يقع عليها الكثير من

الظلم الاجتماعي في تحديد دورها الاجتماعي والاقتصادي (محمد رمضان، ١٩٨٢، ص ١٩٤). ولذا فإن القول بوجود فتاة مدمنة يدخل في عداد "الأشياء التي لا تصدق".

٣- تأكيد الكثير من المؤمنين بقضايا المرأة أن "تهميش" دورها وعدم اشتراكها في الإنتاج، وأن الأدوار المحددة التي تقوم بها، والنظر إليها على أساس أنها "جسد جميل يجب إحكام الرقابة عليه"؛ كل ذلك قد قاد المرأة إلى عدم الدخول في متاهات العمل والضغوط، وما يترتب عليها من مشاكل قد تقود إلى الإدمان (على سبيل المثال فرج أحمد: محاضرات علم النفس العام، ١٩٧٧، من ص ١٣٧: ١٥٤)، في حين أن المتتبع للدراسات الأجنبية الغربية يجد اعترافًا بإدمان الفتاة، وأنها على قدم المساواة مع الشاب، وأنها تتعرض لما يتعرض له من ضغوط وأزمات، وأنها في نهاية الأمر إنسان قد تفقد أو يضطرب توافقها؛ مما يقودها إلى دروب مختلفة الأسماء؛ ومنها الإدمان؛ فعلى سبيل المثال نجد

أبحـاث لوريتـا فنجـان Loretta Finnegan (١٩٧٩)؛ حيث تذكر ـ من خـلال العديـد مـن الدراســات الميدانيــة علــى فتيــات ونســاء مدمنات ـ أنه من بين كل أربعة مدمنين للمخدرات يوجد بينهم امرأة واحدة، وبين كل اثنين من مدمني الكحوليات سنجد بينهم امرأة، وأن السن الذي يكثـر فيه الإدمان عند السيدات يتراوح من سن ١٥ سـنة إلى ٤٠ عاما، وأن خطر الإدمان لا يقتصـر فقـط على هؤلاء الفتيات والسيدات؛ أي أمـور المشـكلة لا تنحصر فقط على هذا الجيل؛ بل قد تمتـد إلـى أجيال أخرى تالية؛ نظرا لطبيعة الدور التي تقوم به الأم في الحمل والولادة والرعاية؛ ولـذا يجـب ألا نهمل أبدا طبيعة هذه المشكلة، وتحديدا إدمان الفتيات والسـيدات (L. Finnegan, ١٩٧٩ pp: ١٢١: ١٢٢)؛ ولذا تعد دراسة محمد رمضان (١٩٨٠) من الدراسات الرائدة؛ لأنها تناولـت أمـرين أغفلتهمـا الدراسات التي تناولت الإدمـان قبـل عـام ١٩٨٠ وهي:

١- أمور الدراسة لأول مرة قد تناولت طلاب وطالبات الجامعات.

٢- إجراء مقارنة بين الفتاة المتعاطية للحشيش، والفتى المتعاطي للحشيش، وكانت هذه الدراسة فاتحة خير لإجراء العديد من الدراسات التي تناولـت طـلاب الجامعة، وكذا إدخال الفتيات والسيدات في عينـات الدراسة.

وقبل الدخول إلى استقصاء هذه الدراسات، والوقوف على أهم النتائج؛ يجب أن نشير فـي عجالـة لـبعض الخطـوط العريضة في قضايا الإدمان.

ـ تعريف الإدمان: Addication:

تتعدد التعريفات التي قدمت لمفهوم الإدمان، وغني عـن البيان أيضا أنه قد استمرت المحـاولات منـذ العشـرينيات المبكرة، وحتى أوائل الستينيات. وقد أوصت هيئة الصـحة العالمية باستبعاد المصطلحين (الإدمان ـ التعـود) بـإحلال مصطلح الاعتماد محلهما، والذي قد يأخذ شـكل الاعتمـاد القصري للنفس، ورغم ذلك ما زالت كلمة الإدمـان تتكـرر

تأكيدا الآن؛ لأنها أكثر شهرة من أي مصـطلحات أخـرى تعرضها أي هيئة تأكيدا، وإن كانت عالمية.

ونقدم تعريف مصطفى سويف (١٩٩٦) الـذي يـرى أن إدمان المخدرات والكحوليات يقصد به التعاطي المتكرر لمادة نفسية. إنها لمواد نفسية لدرجة أن المتعاطي يكشـف عـن انشغال شديد بالتعاطي، كما يكشف عـن عجـز ورفـض للانقطاع، أو إنهاء أو تعديل تعاطيه، وكثيرا ما تظهر عليـه أعراض الانسحاب إذا ما انقطع عن التعاطي، وتصبح حيـاة المدمن تحت سيطرة التعاطي إلى درجة تصل إلى اسـتبعاد أي نشاط آخر. ومن أبعاد الإدمان ما يلي:

أ- ميل إلى زيادة جرعة المادة المتعاطاة؛ وهو ما يعرف بالتحمل.

ب- واعتماد له مظاهر فيزيولوجية واضحة.

ت- حالة تسمم عابرة ومزمنة.

ث- رغبة قهرية قد ترغم المدمن على محاولـة الحصول على المادة النفسية المطلوبة بـأي وسيلة.

ج- تأثير مدمر على الفرد والمجتمع (مصطفى سويف، ١٩٩٦، ١٧: ١٨).

- متعاطو المخدرات ليسوا فئة واحدة:

ولذا نجد بعض التصنيفات لهم.. من هذه التصنيفات: -

أ- المتعاطي المجرب: وهذه الفئة تمثل أي شخص قد دفعه الفضول وحب الاستطلاع إلى تجريب عقار مخدر، فتعاطاه مرة واحدة لإشباع فضوله ولفض مجهلته بهذا المخدر، كما أن هذه الفئة لا تكرر التعاطي مرة أخرى؛ لذا لا تدخل ضمن فئة الإدمان.

ب- المتعاطي العرضي: وتمثل جماعة من الناس تقدم على تعاطي بعض المخدرات، وإذا توافرت لهم دون عناء أو مجانًا، وعادة تتم العملية بشكل عفوي ودون تخطيط، وفي مناسبات معينة دون شرائها، إلا أن هذه الفئة قد تنزلق إلى هوة الإدمان، رغم أن أفرادها ما زالوا خارج نطاقه.

ت- المتعاطي المنتظم: وهو الشخص الذي يتعاطى المخدرات في فترات منتظمة، سواء كان تكرارا متقاربا أو متباعدا؛ لذا فإن المتعاطي في هذه الفئة

يشعر بالتعاسة والتوتر إذا لم يتـوفر لـه المخـدر، ويبذل بعض الجهد للحصول عليه، وهذا النوع مـن المدمنين يمثل المدمنين الحقيقيين.

ث- المتعاطي القهري: ويتميز عن المتعاطي المنـتظم، والمدمن هنا يتعاطى المخدر في فترات متقاربة جدا، ويسيطر المخدر على حياته سيطرة تامة ويصبح أهم شيء بالنسبة له، وينفق كل وقته وتفكيـره وإرادتـه وحاله للحصول على المخدر وتعاطيه.

وتنصب الدراسات المتعلقة بالإدمان على الفئتين الثالثـة والرابعة، وتستبعد الفئتين الأولى والثانية من الدراسة، لكـن نتفق مع Egger بأن التعاطي الأول (أي التجريب) قد يقـود إلى وقوع الشخص في براثن الإدمان، وأن حالـة الإدمـان ليست حالة الكل أو لا شيء؛ ولكنها الدرجة القصوى التـي تصل بك أن تتعاطى. (Egger, ١٩٨٠, P: ١٦٥).

تصنيف المواد المخدرة: Narcatic:

تتعدد وتتشعب التصنيفات التي قدمت لمحاولـة تصـنيف المواد المخدرة، ومن أهم هذه التصنيفات:

١- المخدرات المسكنة: Narcotic: وتشتمل هذه الفئـة على الأفيون، المـورفين، الهيـروين، الميثـادون، وغيرها من المخدرات المسكنة.

٢- المهبطات أو المثبطات: Depressants: وتشـتمل على: الكحوليات، البـاربيتيورات/ البنزودبـازبين، وغيرها.

٣- المنشطات: Stimulants: وتحتوي على الكوكايين، الأمفيتامين/ الفنمترازين، وغيرها.

٤- المهلوسات: Hallucinogens: وتشتمل على عقار الـ L. S. D، المسكالين، وغيرها من المهلوسات.

٥- فئة القنب: Cannabis: وتشتمل على الماريجوانـا والحشيش، وزيت الحشيش.

٦- الطباق: أي النيكوتين، والتبغ، والـذي يـدخل فـي صناعة كافة أنواع السجائر. وقد أشارت العديد من الدراسات التجريبية إلى وجود أعـراض انسـحاب تنطبق على المدخنين المتوقفين نتيجة لانقطاع مـادة النيكوتين.

٧- البن والشاي: وذلك لاحتوائهما على مادة الكـافيين، والتي لها تأثير منشط ومعدل للمزاج والمخ، لدرجة أمور الـ DSM IV ١٩٩٤ قد ذكرتا يسمى "التسمم الكافييني"، والاضطراب النفسي والعضلي المـرتبط بالكافيين.

٨- المواد الطيارة: Voatilesufstances: وتشمل كافة مواد الطلاء، الأصماغ، الغراء، التولوين، البنزين، وغيرها من المواد التي تستخدم في إزالة البقعة من الملابس، وكذا الأسيتون (مزيل طـلاء الأظـافر)، وأنواع الأيروسول التي يكثر استخدامها في المنازل ضد الذباب والحشرات الطيارة.

ـ ثلاثية التعاطي:

لكي يحدث الإدمان لا بد من توافر ثلاث عناصر هي:

أولاً- الشخص المتعاطي: وقد أشارت العديد من البحوث والدراسات إلى أن خاف تعاطي الشخص العديد من الـدوافع مثل: البحث عن اللذة، وحب الاستطلاع، والثقة في الـنفس، إطالة فترة الجماع الجنسي.. إلخ هذه الدوافع.

أما فيما يتعلق بشخصية المدمن؛ فقد أشارت العديد من الدراسات (على سبيل المثال عادل صادق ١٩٨٦، ص ٢٩ - ٣٢) إلى أن الإدمان يزداد انتشارا بين أربع فئات هي:

أ- الشخصية الاكتئابية.

ب- الشخصية الفصامية.

ج- الشخصية المكروبة.

د- الشخصية المضادة للمجتمع.

كما أشار لانج ١٩٩٠ Lang إلى أن كافة المدمنين يشتركون في:

١- غير ناضجين انفعاليا.

٢- متهورون/ اندفاعيون.

٣- اعتماديون على الآخرين بدرجة مرضية.

٤- أقل تحملاً للإحباط والتوترات.

٥- أقل قدرة على تحمل الألم.

٦- غير قادرين على مواجهة المشاكل.

٧- يجدون صعوبة في تأجيل الرغبات. (Lang ١٩٩٠ p: ١٩.)

ثانيا: المواد المخدرة: حيث لا يمكن أن ينهض الإدمـان دون توافر المادة المخدرة. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن بعض المواد المخدرة قادرة على استثارة الاعتماد، ويطلـق عليها اسم "المواد النفسية"، والتـي يكـون لهـا خصـائص فارماكولوجية، تجعلهـا قـادرة إذا مـا تناولهـا الإنسـان أو الحيوان على التأثير في نشاط المراكز العصبية العليا، في حين أن بعض المواد المخدرة لا تسـتثير الاعتمـاد بـنفس الدرجة؛ أي توجد فروق في تأثير المواد المخدرة، بالإضافة إلى العديد من العوامل؛ مثل: مدى توافر المخدر، وسـهولة الحصول عليه، وغيرها. (سويف ١٩٩٦، ٨١: ٨٣).

ثالثًا- البيئة التي يقع فيها الإدمان: ويقصد بالبيئة طبيعـة المناخ الذي يتم فيه التعاطي، ومـدى التسـامح أو التشـدد أو التساهل بدءا مـن الأسـرة وكافـة مؤسسـات التنشـئة الاجتماعية، ومرورا بالإعلام. وفي سلسـلة مـن البحـوث الميدانية في مصر أجراها المركز القـومي علـى طـلاب مدارس الثانوي العام والفني وطلاب الجامعـات؛ وجـد أن تأثير الإعلام (بكافة وسائله) يأتي في مرتبـة بعـد مرتبـة

الأصدقاء مباشرة؛ كمصدرٍ هامٍ يستمد منه هـؤلاء الطـلاب معلوماتهم عن ثقافة المخدر.

الفروق بين الجنسين حتى الآن:

هل كل ما سبق ينطبق فقط علـى الـذكور؟ وإذا كانـت الأمور كذلك؛ فما هو الموقف بالنسبة للفتيـات أو للسـيدات المدمنات؟ بعبارة أخرى: هل يوجد في مجتمعنـا المصـري فتيات مدمنات؟ الواقع: نعم، يوجد فتيات ونساء مدمنات، وإن على المجتمع أن يكون موضوعيا، ويعترف بوجود الفتيـات الجامعيات المدمنات، وإن كان هذا موقفًا صادما للبعض، إلا أنه موجود بالفعل (محمد رمضان ١٩٨٢/ ١٩٨٤).

وسوف نذكر العديد من الدراسات التي تناولـت إدمـان الـــذكور والإنـــاث؛ ســـواء فـــي البيئـــات الأجنبيـــة أو العربية/المصرية، مركزين قدر الإمكان على نتائج بحوثنا المحلية.

من بين الأبحاث الأجنبية دراسة لوريتا فنجـان؛ حيـث وجدت من خلال دراساتها الميدانية انتشـار الإدمـان بـين الفتيات وبنسب عالية.

كذلك أشار البعض أن الطريق إلى إدمان الشباب إنما يأتي تحت إلحاح العديد من الضغوط الاجتماعية، وفرض القيم على بعض الشباب، والذي بدوره يسعى إلى الإدمان؛ إما بسبب وجود بعض الانبساطية في شخصيته، أو الرغبة في التمرد على الأوضاع.

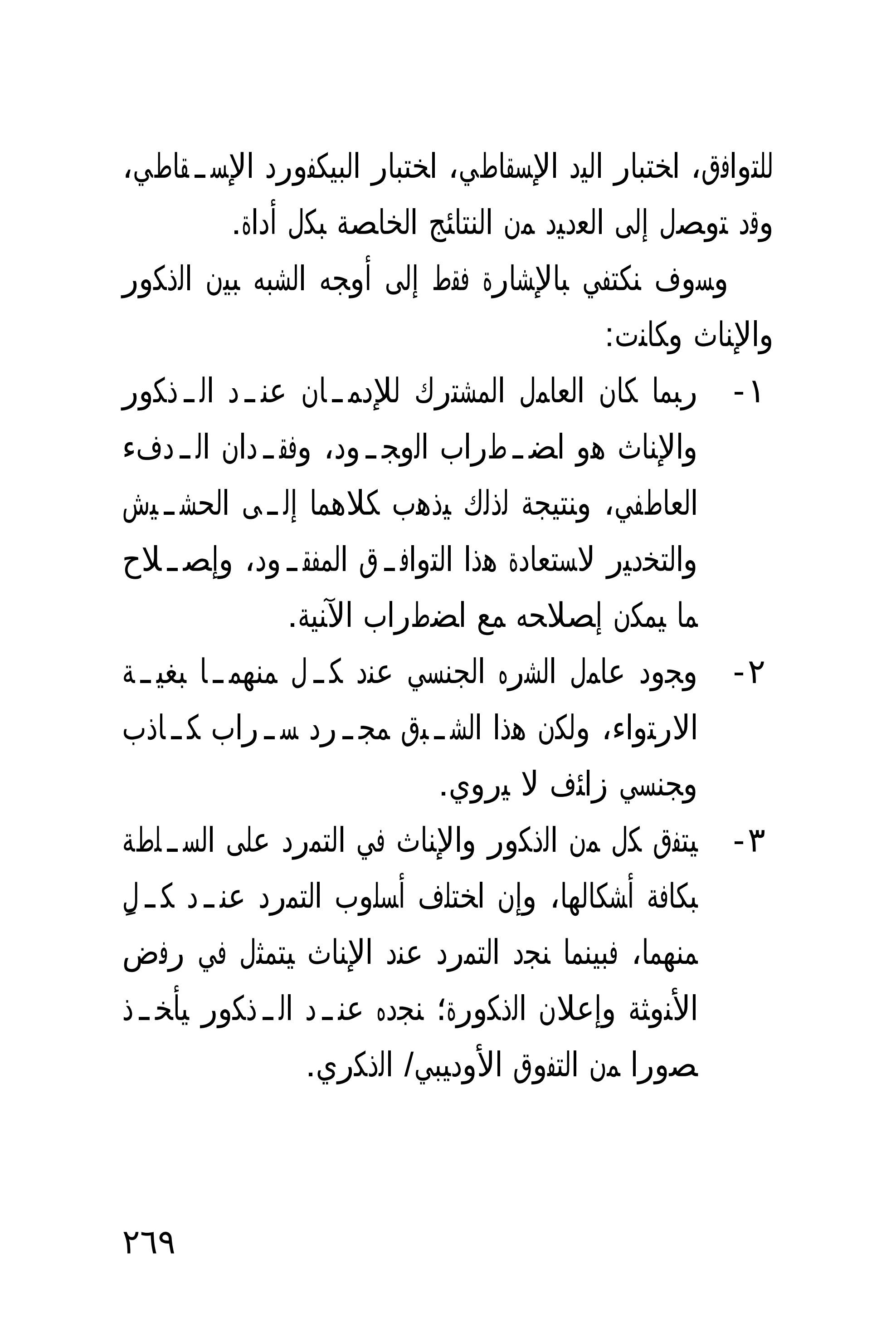
ودراسة فراشيا ج وآخرين عن الحاجات النفسية الظاهرة لمدمني الهيروين عام ١٩٧٥؛ حيث تكونت عينة الدراسة من ٥٩ من المتقدمين إلى برنامج علاجي ميثادون؛ منهم ٥٠ من الذكور و٩ من الإناث، ومتوسط السن في المجموعتين ٢٣٠٤، وتم استخدام استبيان التقرير الذاتي من أصل قائمة الحاجات لموراي، وقد تم التوصل إلى عدد من النتائج: إن هؤلاء المدمنين (ذكورا وإناثًا) يعانون من الافتقاد إلى التحصيل/ الطموح/ الجنسية الغيرية، إضافة إلى أن المدمن في المستوى الأعمق الدينامي يعاني من صراع داخلي، والذي يحرك لديه سلوك الشارع (أي السلوك الانحرافي).

كذلك أشار التقرير الذي أصدره المركز القومي للولايات المتحدة عن الإحصائيات الصحية في أكتوبر ١٩٩١ إلى العديد من النتائج التي تثبت تأثر الأبناء بإدمان الآباء (دون

تفرقة بين طبيعة الجنس)، بل إن ١٠ % من البـالغين قـد تزوجوا أو أقاموا علاقة عاطفية مـع مـدمنين أو مـدمنات مثلهم.

أما عن عالمنا العربي؛ ففي دراسة تـم إجراؤهـا فـي الجمهورية العربية اليمنية؛ وجد أن الأطفال حديثي الـولادة لأمهات قد اعتدن مضغ القات وتخزينه تحدث لهم العديد من المشاكل والاضطرابات، سواء تلك الخاصة بالنمو، أو غيرها من المشاكل، إضافة إلى وجود العديد مـن الاضـطرابات، وكذا الإهمال الشديد في تربية الأبناء؛ ممـا يؤكـد الحقيقـة القائلة بأن إدمان النساء أكثر خطورة من إدمان الرجال، وأنه لا يتعدى فقط جيلاً واحدا؛ بل قد يمتد تأثيره المدمر إلى عدة أجيال.

وهناك دراسة محمد رمضـان (١٩٨٠) عـن تعـاطي المخدرات لدى الشباب المتعلم، وكانت عينة الدراسـة مـن الشباب الجامعي مكونة من ٥ من الذكور، و١٥ من الفتيات الجامعيات، وتراوح متوسط الأعمار بين ١٩ و٢٤ عاما، وقد استخدم الأدوات الآتية: المقابلـة الإكلينيكيـة، اختبـار بـل



للتوافق، اختبار اليد الإسقاطي، اختبار البيكفورد الإسقاطي، وقد توصل إلى العديد من النتائج الخاصة بكل أداة.

وسوف نكتفي بالإشارة فقط إلى أوجه الشبه بين الذكور والإناث وكانت:

١- ربما كان العامل المشترك للإدمان عند الذكور والإناث هو اضطراب الوجود، وفقدان الدفء العاطفي، ونتيجة لذلك يذهب كلاهما إلى الحشيش والتخدير لاستعادة هذا التوافق المفقود، وإصلاح ما يمكن إصلاحه مع اضطراب الآنية.

٢- وجود عامل الشره الجنسي عند كل منهما بغية الارتواء، ولكن هذا الشبق مجرد سراب كاذب وجنسي زائف لا يروي.

٣- يتفق كل من الذكور والإناث في التمرد على السلطة بكافة أشكالها، وإن اختلف أسلوب التمرد عند كلٍ منهما، فبينما نجد التمرد عند الإناث يتمثل في رفض الأنوثة وإعلان الذكورة؛ نجده عند الذكور يأخذ صورا من التفوق الأوديبي/ الذكري.

٤- يشترك كل من الذكور والإناث في محاولتهم الجـادة لخصاء الراشد، ولكن بأسلوب مختلف. فالذكر يحاول خصاء الراشد رمزيا ليعلن تفوقه الأوديبي، ويخفـي عجزه وتثبته على الأم. بينما تحاول الفتاة عن طريق الاستعراضية وإظهار الأنوثة، ويـتم ذلـك بهـدف لا شعوري هو إذلال الرجال.

٥- إن المشكلة الأساسية التي تواجه الجنسين هي مشكلة الإحساس بالضياع واللا هدف؛ ذلك الوجود المنبـوذ والهوية المتداعية.

٦- يتفقان في الطبيعة الاكتئابية التي تنكر أثناء التعاطي، ويظهر بدلاً منها الهوس لإنكار الاكتئاب.

٧- تدور الخيالات الجنسية عندهما حول اشتهاء المحارم.

٨- الاعتمادية؛ حيث يتعاملان مع المخدر كمـا يتعامـل الطفل مع أمه؛ فيلجأ إليه عند كـل صـعوبة، ومـا الحشيش والجنس إلا موضوعات بديلـة للموضـوع الأصلي؛ وهو ثدي الأم وحنانهـا (محمـد رمضـان ١٩٨٢، ١٤٠٠: ٣٢١، وتعد هذه الدراسـة فاتحـة للاهتمام بالشباب المتعلم، وكذا الإنـاث المتعلمـات،

وبالتالي نفي التهمة عن أن الإدمـان قاصـر علـى الطبقات المتدنيـة، ونفـي تهمـة أن الإنـاث غيـر مدمنات).

ولذا؛ فقد جاءت دراسة مصري حنورة عـام ١٩٨٣ عن: مشكلة تعاطي المخدرات والكحوليات بين طلاب الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من ٢٦٠ فردا، منهم ١٤٨ طالبا، و١١٢ طالبة، تراوحت أعمـارهم بـين ٢٠: ٢٢ عاما. أما أدوات الدراسة فكانـت: مقياسـا الاتجاه نحو التعاطي، ومقياسا لمعرفة الاتجـاه نحـو أساليب التعاطي، مقياسا لانتشار التعاطي بين الطلاب وأقاربهم، ومقياس الفاعلية للإيحاء. ولعل أهم النتائج أن نسبة التعاطي في الذكور أعلى من مثيلاتها عنـد الإناث (١٦ % في مقابل ٨ %)، وأن المتعاطين أقل قابلية للإيحاء، وليس صـحيحا أن المتعـاطي سـهل الانقياد، واتفق غالبية أفراد العينة (من الجنسين) على أن التعاطي له العديد من التـأثيرات السـيئة علـى الجوانب المختلفة، إضافة إلى ذكر العديد من الفوائـد التي تعود من التعاطي؛ مثل: المساعدة على التفكير،

تنشيط الذكاء، الحصول على المتعة، زيادة اللذة الجنسية (مصري حنورة، ١٩٨٥، ٢٤٩: ٢٧٣).

وجاءت دراسة جبر محمد جبر (١٩٩٥) عن دوافع إدمان الهيروين والكوكايين؛ حيث تكونت عينة الدراسة من ٤٢ نزيلاً ونزيلة بسجني الرجال والنساء بمنطقة سجون القناطر الخيرية، وتراوحت أعمارهم ما بين ٢٢ و٣٨ عاما. وقد استخدم المقابلة مركزا السؤال عن الدوافع والأسباب التي أدت بالمدمن إلى الإدمان، وقد توصل إلى العديد من النتائج:

١- المشاكل والهموم.

٢- التفكك الأسري.

٣- التوتر العصبي.

٤- الفرفشة والانبساط.

٥- الأغراض الجنسية.

٦- أصدقاء السوء

٧- كثرة المال.

٨- حب الاستطلاع.

٩- الضياع.

١٠- أوقات الفراغ.

١١- أسباب أخرى متنوعة (جبر محمد جبـر/ ١٩٩٥، ٨٤: ٥٦).

ومن الدراسات عبر الحضارية؛ دراسة طـاهر شـلتوت (١٩٨٨) والمعنونة: دراسة مقارنة حول استخدام العقـاقير المؤثرة في الحالة النفسية في كل مـن الولايـات المتحـدة ومصر، وتكونت عينة الدراسة مـن ١٢٠٠ شـخص مـن المعتمدين على العقاقير المؤثرة على الحالة النفسية، بواقـع ٦٠٠ مدمن من كل حضارة، وقد استخدم الاسـتمارة التـي صممها سويف وزملاؤه حول استعمال الكحـول والسـجائر والمواد الفعالة نفسيا، إضافة إلـى القيـام بـإجراء فحـص طبي/ نفسي لكل فرد قبل تطبيق الاسـتمارة. ولعـل أبـرز النتائج أن المتزوجين والعزاب كانوا أكثر الفئـات عرضـة للإدمان بالنسبة للعينة المصرية (ذكورا وإناثًا)، بينما العزاب والمطلقين أكثر عرضة للإدمـان فـي الولايـات المتحـدة الأمريكية، وأن نسبة المدمنين أكثر من نسبة المدمنات فـي مصر، وأن معظم الأمريكان كانت لديهم خبرات في تنـاول

العقاقير المؤثرة؛ كانت أفضل بشكل عام عن نظيرتهـا فـي العينة المصرية (طاهر شلتوت، ١٩٨٨).

ومن الدراسات الهامة دراسة هند سيد طه عن: تعـاطي المواد النفسية بين طالبات الجامعة (١٩٨٩)، وتكونت عينـة الدراسة من ٢٣٦٦ طالبة من جامعتي القاهرة وعين شمس. وقد توصلت إلى النتائج الآتية بعد تطبيق استمارة مقننة فـي هذا الشأن:

١- أقرت نسـبة ١,٤٤١ % مـن الطالبـات بتـدخين السجائر.

٢- تبين أن ٥,٧ % من الطالبات قـد تعـاطين أدويـة مهدئة أو منبهة أو منومة وبدون إذن طبي.

٣- تراوحت الأعمار التي بدأت الطالبات عندها تعاطي المخدرات الطبيعية بين ١٦ و٢٦ عاما.

٤- أقر حـوالي ١٩,٣٢ % مـن الطالبـات بتعـاطي الكحوليات، وكانت أكثر المشروبات الكحولية البيرة، يليها النبيذ، ثم الويسكي (هند سـيد طـه، ١٩٨٩، ٤٢٢: ٤٣٠).

ودراسة ماجدة عبد الفتاح بكر (١٩٩٠) عـن: تعـاطي بعض طلاب الجامعات للمخدر، ودور التربية فـي القضـاء عليها، هادفة إلى التعرف على دور التربية في وقاية الطلاب من المخدرات. وتكونت عينة الدراسـة مـن ١٢٤ طالبـا، و١٦ طالبة من الذين يقضون فترة العقوبة في السجن لجرائم ترتبط بالمخدرات. وقد توصلت الباحثة إلـى العديـد مـن العوامل والظروف التي دفعت بـالطلاب والطالبـات إلـى الوقوع في براثن الإدمان (ماجدة عبد الفتاح، ١٩٩٠).

ودراسة محمد غباري (١٩٩١) عن: "الإدمان: الأسـباب والنتائج، وعلاجه من وجهة نظر المدمنين، والذين يترددون على العيادة الخارجية بمنطقـة الإسـكندرية"، وأداة البحـث عبارة عن استمارة مكونة من ٥٢ سـؤالاً. وتوصـل إلـى النتائج الآتية:

- إن أعلى فئة للتعاطي هي فئة الشـباب مـن ٢٠ إلـى ٤٠ عاما.
- إن الغالبية العظمى من المدمنين كانـت مـن الـذكور، مقارنة بنسبة الإناث.

- يسكن الغالبية العظمـى مـن المـدمنين فـي الأمـاكن المزدحمة، وإن الغالبية من العزاب وجد أنهم يتعـاطون المخدرات بصورة متنوعة (هيروين، حبـوب مخـدرة، خمر، ماكستون فورت، أفيون، حشيش) (محمد سـلامة غباري، ١٩٩١).

وهكذا أثبتت العديد من الدراسات أن المرأة حين تتعرض لنفس ظروف العمل والضغوط والصراعات ـ مثلها في ذلك مثل الرجل ـ فإنها قد تنزلق في هوة الإدمـان؛ لأن نفـس العوامل والظروف واحدة.

ثانيا- الفروق بين الجنسين في العدوان المعنى/ الأسباب/ الأمثلة.

مقدمة

تثير قضية الفروق بين الجنسين العديد من الاستشكالات، ولعدة أسباب، خاصة الأسباب التاريخية، والتي انتهت بالتحول من عالم الأمومة؛ حيث كانت الأم مقدسة مقارنة بالرجال، ثم حدثت تطورات انتهت بسيطرة الرجال على كل شيء، وأضحت المرأة بمثابة متاع أو شيء مسئول عنه الرجل، ناهيك عن تفضيل العديد من المجتمعات - خاصة النامية - لإنجاب الذكور، بل إن قيمة المرأة تتحدد صعودا وهبوطًا وفقًا لعامل الإنجاب، وإنجاب الذكور تحديدا، وتبدو هذه الأمور وكأننا إزاء عالمين؛ عالم الذكور، وعالم الإناث والواقع أنهما يشكلان وجهي الوجود الإنساني؛ حيث لا وجود للرجل إلا في مواجهة أنثى، والعكس بالعكس، كما أن الذات لا تكتسب شرعيتها إلا في وجود الآخر (فرج أحمد، ١٩٨٠).

بينت العديد من الدراسات أن اكتساب السلوك العـدواني صفة لازمة للذكور. وعمليات التنشئة تؤكد هذه الصفة لـدى الذكور عن الإناث، واللاتي تتجه أساليب تربيتهن إلى تأكيـد صفة الخضوع والاعتماد على الآخرين، والرقة، والسـيطرة على الآخرين بأساليب أنثويـة. وتعـد الأسـرة مـن أهـم المؤسسات التي تؤثر في شخصية الفـرد وأنمـاط سـلوكه وصفاته، ومن بين هذه الصـفات: العـدوان وكيفيـة رده، ويظهر ذلك في الأقوال الآتية:

- رد العدوان بالعدوان: (اللي يضربك اضربه).
- التبليغ عن العدوان: (لو حد ضربك لازم تيجي تقـوللي، وتشوف أنا هعملك فيه إيه).
- التفويض بالأمر إلى ا : (أي حد يؤذيـك قـل لـه ا يسامحك)، ثم نجد الأمثال الشعبية تؤكد ذلك: "يا بخـت من نام مظلوم ولا نامش ظالم".
- كتابة البلاغات وإشراك الحكومة: حيث يلجأ العديد مـن الأشخاص إلى الإسراع بكتابة البلاغات، بل والإسـراع بتقديم التقارير الطبية مستندين إلى: "اللي مـوش كبيـر

الحكومة تكون كبيرته"، و"البلد فيها قانون"، و"الحكومة تأخذ لي حقي".

- لا ترد العدوان في التو واللحظة؛ بل اجعل الطرف الآخر يستشعر أنك ضعيف، ثم رد العدوان بعنف وبشدة وفي الوقت المناسب. ولعل حوادث الثأر خير مثال على ذلك؛ حيث يرفض أهل القتيل الإبلاغ، وفي الوقت نفسه يكونون قد أعدوا العدة تمهيدا للانطلاق في الوقت المناسب.
- لكي تكون قويا لا بد أن تستند إلى سلطة. ولعل العديد من الأمثال تعبر عن هذه الحقيقة: "يا بخت من كان النقيب خاله"، "اللي له ضهر ما ينضربش على بطنه"، "الناس مقامات"، وغيرها من الأمثال.

ولعل هذه محاولة لتتبع كيفية رد العدوان في البيئة المصرية.

تعريف العدوان:

ليس من السهولة بمكان تقديم تعريف متفق عليه لمفهوم العدوان، بيد أننا سنكتفي بتقديم تعريفين:

١- يشرح صلاح مخيمر العدوان بأنه من خلال النظـر إلى الوجود البشري على أنه ذلك النسيج الفريد من ديالكتيك غرائز الحيـاة والمـوت، سـواء كانـت طاقاتهمـا موضـوعاتية أو نرجسـية سـادية، أو مازوخية؛ تكون العدوانية هي الطاقة التي تخـدم في الحالات السوية غرائز المـوت بشـكل غيـر مباشر؛ بمعنى أنها تكون في خدمة غرائـز الحيـاة الإيجابية، أو توكيدا للذات، كما يقصـد بالعـدوان تلك النزعـة أو مجمـل النزعـات التـي تتجسـد في تصرفات حقيقية أو خيالية ترمي إلـى إلحـاق الأذى بـالآخر وتـدميره وإكراهـه وإذلالـه (عبد ا   عسكر، ١٩٨٨، ٩٤).

٢- يعرف تشابلن (١٩٧٣) العدوان بأنه: هجوم أو فعل معادٍ موجه نحو شخص ما، أو شيء ما، وإظهـار الرغبة في التفوق على الأشخاص الآخـرين، وأي استجابة للإحباط، والهجوم المتطفل والوقح من قبل أحد الأطراف على الأطراف الأخرى، والحاجة إلى الاعتداء على الآخرين أو إيذائهم، أو الاستخفاف بهم

أو منهم، أو إغاظتهم بشكل ماكر لغـرض إنـزال عقوبة بهم!

أنواع العدوان:

تتعدد أنواع وأشكال العدوان. ولعل الجديد الذي نقدمه هنا هو ما ذكره رشاد موسى (١٩٩١) عن حصر العدوان وفقًـا لرؤية الدين الإسلامي للعدوان؛ حيث تنقسم إلـى المجـالات الآتية:

١- **العدوان اللفظي**: توضح بعض الآيـات القرآنيـة العدوان اللفظي؛ مثل قوله تعـالى: ﴿**ولاَ تَسـبوا الَذِين يدعون مِن دون ا ِ فَيسبوا ا َ عدوا بِغَيرِ عِلْمٍ كَذَلِك زينا لِكُلِّ أُمةٍ عملَهم ثُـم إِلَـى ربهِـم مـرجِعهم فَينَبـئُهم بِمـا كَـانُوا يعملُـون**﴾ (الأنعام ـ الآية ١٠٨).

٢- **العدوان الظاهر**: كما بينت بعض الآيـات التـي جاءت في القرآن، وقدمت صورا متنوعـة مـن العدوان الظاهر بين الأنبياء والكفار والمشركين، وبين الشيطان والمؤمنين، وبين المؤمنين والكفار، وبين الفرد ونفسه؛ مثل قوله تعـالى: ﴿**وكَـذَلِك**

جعلنَا لِكُل نَبِي عدوا من الْمجرِمين﴾ (الفرقان ـ ٣١)، وقوله تعالى: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقِع بينَكُم الْعداوةَ والْبغْضاء﴾** (المائدة/ ٩١)، أو.. ﴿**إن الشيطان لكُم عدو فَاتخِذُوه عدوا﴾** (فاطر/ ٦).

٣- **العدوان نحو الآخرين**: حيث تنوعت الآيات القرآنية في إظهار صور مختلفة من العدوان نحو الآخرين؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وما كان لِمؤْمِنٍ أن يقْتُلَ مؤْمِنًا إلا خَطأً ومن قَتَلَ مؤْمِنًا خَطأً فَتَحرِير رقَبةٍ مؤْمِنَةٍ ودِيةٌ مسلمةٌ إِلَى أَهلِهِ إلا أَن يصدقُوا فَإِن كَان مِن قَومٍ عدو لكُم وهو مؤْمِن فَتَحرِير رقَبةٍ مؤْمِنَةٍ وإِن كَان مِن قَومٍ بينَكُم وبينَهم ميثَاقٌ فَدِيةٌ مسلمةٌ إِلَى أَهلِهِ وتَحرِير رقَبةٍ مؤْمِنَةٍ فَمن لم يجِد فَصِيام شَهرين متَتَابِعين تَوبةً من االله وكَان االله علِيما حكِيما﴾** (النساء ٩٢)، وقوله تعالى أيضا: ﴿**واعتَصِموا بِحبل االله جمِيعا ولاَ تَفَرقُوا واذْكُروا نِعمتَ االله علَيكُم إِذْ كُنْتُم أَعداء فَأَلفَ بين قُلُوبِكُم فَأَصبحتُم**

بِنعمتِهِ إِخْوانًا وكُنْتُم على شَفَا حفْرةٍ مـن النـار فَأَنقَذَكُم منْها كَذَلِك يبين ا ُ لَكُـم آياتِـهِ لَعلَّكُـم تَهتَدون﴾ (آل عمران ١٠٣).

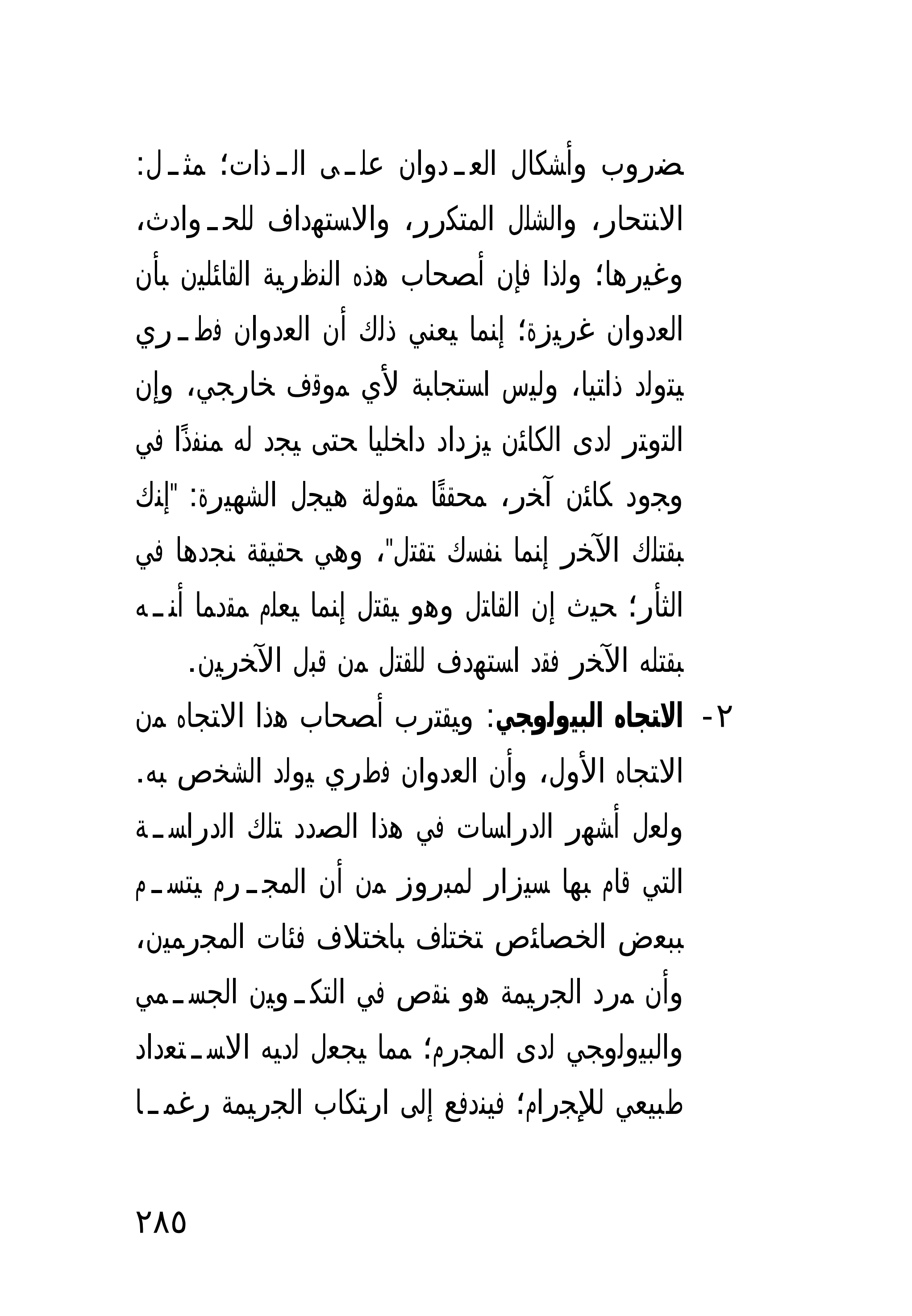
٤- **العدوان على حدود ا** : حيث تضـمن القـرآن الكريم العديد من الآيات التي ركزت على حـدود ا ؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَمن ابتَغَـى وراء ذَلِك فَأُولَئِك هم الْعادون**﴾ (المؤمنون، ٧)، وأيضا قوله تعالى: ﴿**وما يكَذب بِهِ إِلا كُل معتَـدٍ أَثِـيمٍ**﴾ (المطففين ١٢).

أما عن تصنيف العدوان في علم النفس فقد قام به سـيزر وآخرون؛ حيث يصنف العدوان إلى: العدوان الموجه نحـو الوالدين، والعدوان الموجه نحو الإخوة، والعـدوان الموجـه نحو الأطفال الآخرين، وإسقاط العدوان نحو الذات، وإسـقاط العدوان نحو الخارج، والعدوان المضاد للمجتمع، وعـدوان المجاراة الاجتماعية (رشاد علي موسى ١٩٩١/ ٥٣: ١٤).

أسباب نشأة السـلوك العـدواني: محـاولات للتفسير:

هناك العديد من المحاولات التي فسرت العدوان؛ ومنها:

١- **نظريات الغرائز**: تساءل الكثير من الفلاسفة والعلماء عما إذا كان هناك نزعة فطرية عامة تجعل النـاس تسلك بعنف وعدوانية تجاه بعضهم البعض؛ وذلـك لأن تاريخ البشرية حافل بصور رهيبـة للعـدوان صاحبت تقدم البشرية، ويرى توماس هوبز البشرية على أنها في حالة حرب وعدوان مع نفسها، ويرى هربرت سبنسر نفس النظرة؛ بل قام بتطبيق نظرية تشارلز دارون عن تطور الأنواع وبقـاء الأصـلح على السلوك الاجتماعي، وافترض أن الإنسان لديه ميل طبيعي لأن يزيد من اللذة وأن يقلل أو يتجنـب الألم؛ الأمر الذي يقود إلى الصـدام بـين النـاس بعضهم البعض، وفي هذه الحالة فإن الأقوى سيكتب له النجاح والبقاء، في حين ينتهي الضعيف إلى فناء. أما سيجموند فرويد؛ فقد أرجع العدوان إلى غريـزة تنطوي على قوى التدمير والهدم والفنـاء، وأطلـق عليها غريزة الموت. وإذا ما وجهت إلـى الـداخل (أي إلى ذات الشخص) فإنها تقود إلى العديـد مـن


ضروب وأشكال العـدوان علـى الـذات؛ مثـل: الانتحار، والشلل المتكرر، والاستهداف للحـوادث، وغيرها؛ ولذا فإن أصحاب هذه النظرية القائلين بأن العدوان غريزة؛ إنما يعني ذلك أن العدوان فطـري يتولد ذاتيا، وليس استجابة لأي موقف خارجي، وإن التوتر لدى الكائن يزداد داخليا حتى يجد له منفذًا في وجود كائن آخر، محققًا مقولة هيجل الشهيرة: "إنك بقتلك الآخر إنما نفسك تقتل"، وهي حقيقة نجدها في الثأر؛ حيث إن القاتل وهو يقتل إنما يعلم مقدما أنـه بقتله الآخر فقد استهدف للقتل من قبل الآخرين.

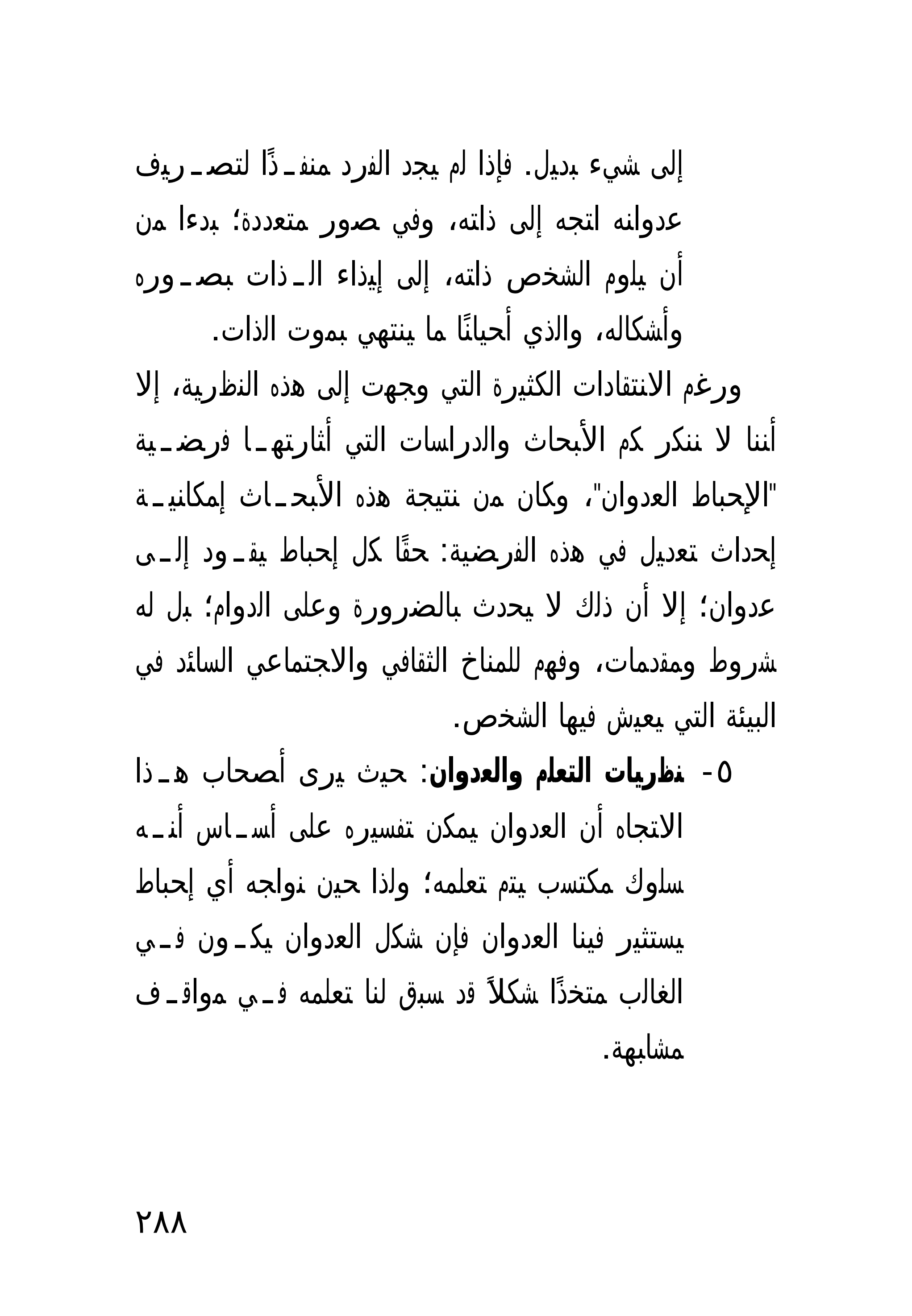
٢- **الاتجاه البيولوجي**: ويقترب أصحاب هذا الاتجاه من الاتجاه الأول، وأن العدوان فطري يولد الشخص به. ولعل أشهر الدراسات في هذا الصدد تلك الدراسـة التي قام بها سيزار لمبروز من أن المجـرم يتسـم ببعض الخصائص تختلف باختلاف فئات المجرمين، وأن مرد الجريمة هو نقص في التكـوين الجسـمي والبيولوجي لدى المجرم؛ مما يجعل لديه الاسـتعداد طبيعي للإجرام؛ فيندفع إلى ارتكاب الجريمة رغمـا

عنه، بل يذهب لمبروزو إلى القول بـأن المجـرم الحالي هو إنسان يحمل خصائص الإنسان البـدائي المتوحش، ويجب على المجتمع أن يتخذ بشأنه كافة التدابير التي تستأصل شره من المجتمع، علما بـأن نظرية لومبروزو هذه تجد صدى عند الكثيرين ممن يتعاملون مع الفئات الإجرامية؛ بسبب أنه قد توصل إلى هذه القوانين والخصائص الداخلية والخارجيـة التي تميز فئات المجرمين؛ من خـلال الدراسـات الميدانية على فئـات المجـرمين، والتـي شـملت ٥٠٠٧٩ سجينًا من نزلاء السجون الإيطالية. ورغم الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية؛ إلا أنها قد أثارت العديد من الدراسات والتجارب.

٣- **الاتجاه الفسيولوجي**: وينهض هذا الاتجـاه علـى مقولة مؤداها إن للإنسان والحيوان أنماطًا سـلوكية غريزية هادفة إلى إشـباع الحاجـات البيولوجيـة الناشئة عـن الرغبـات الملحـة، التـي يثيرهـا الهيبوثلاموس؛ وهو الذي ينشـأ عـن اضـطراب التوازن البيولوجي الداخلي. وقد أشار أحمد عكاشة

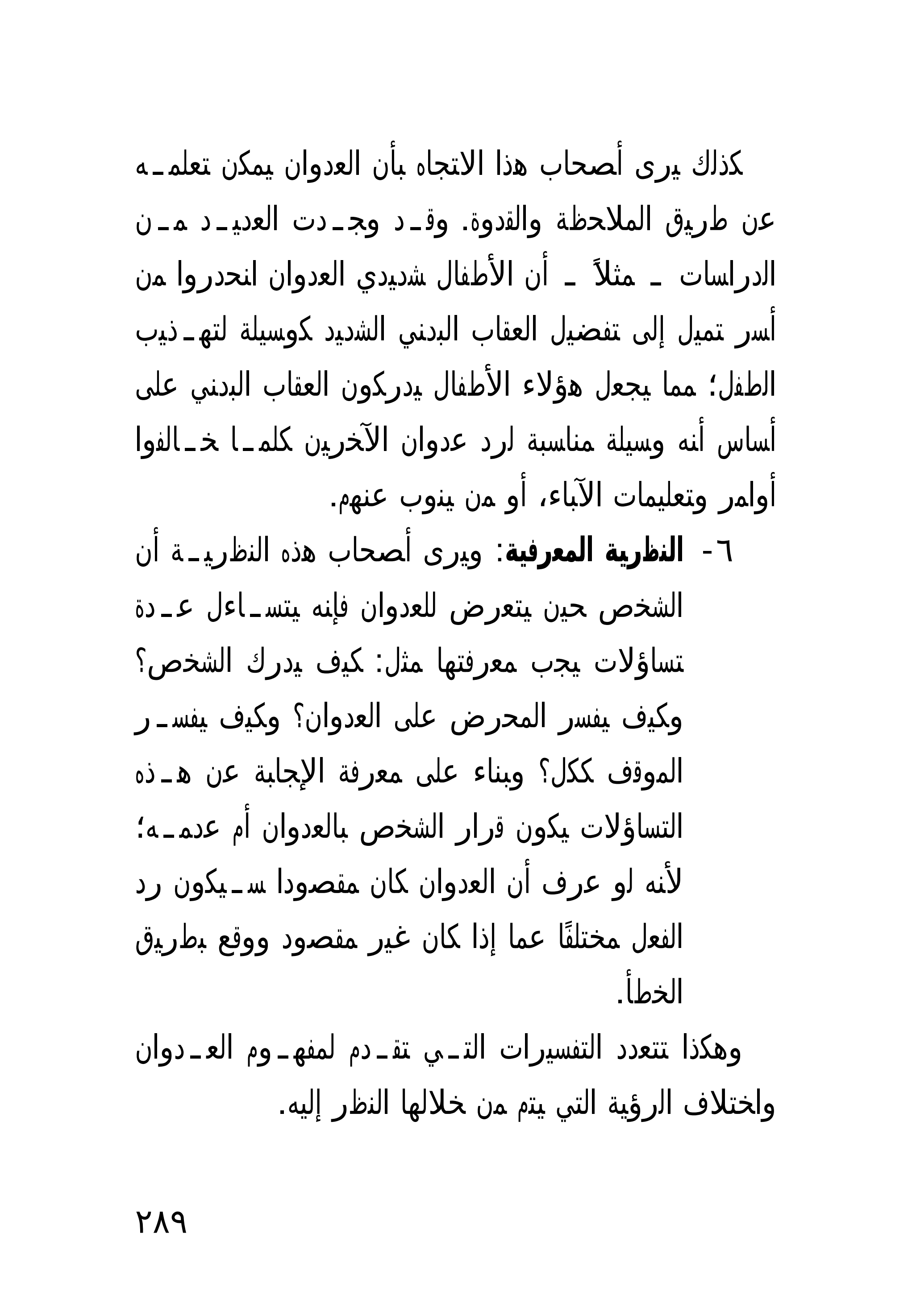
إلى كيفية تحكم الهيبوثلاموس في السلوك العدواني، كما أشار العديد من العلماء أن العدوان - وبالتالي السلوك الإجرامي - إنما يرجع إلى خلل في الغدد الصماء، خاصة لدى الفئات المجرمة، كذلك أشار كانون إلى العديد من التغيرات الفسيولوجية والجسمانية المصاحبة للانفعال؛ مثل توقف المعدة عن القيام بعملية الهضم، وارتفاع ضغط الدم، وازدياد ضربات القلب، وزيادة إفراز الأدرينالين في الدم، وغيرها من التغيرات التي ترافق الانفعالات.

٤- **الإحباط يقود إلى العدوان**: لعل دولارد وميلر من أشهر من قالوا بهذه النظرية؛ حيث يرون أن العدوان حافز يستثيره ويحركه وينشطه الإحباط، وكلما حدث إحباط حدث عدوان كرد فعل ناتج ومترتب ومتوقع لهذا الإحباط. وينشأ الإحباط حين يعترض رغبات الفرد شيء ما؛ لأن الإحباط هو المنع أو الصد أو الإعاقة؛ مما يحدث ألما يترتب عليه عدوانًا يأخذ العديد من الأشكال؛ إما عدوان تجاه الشيء الذي أحدث الإحباط، أو يتجه العدوان


إلى شيء بديل. فإذا لم يجد الفرد منفـذًا لتصـريف عدوانه اتجه إلى ذاته، وفي صور متعددة؛ بدءا من أن يلوم الشخص ذاته، إلى إيذاء الـذات بصـوره وأشكاله، والذي أحيانًا ما ينتهي بموت الذات.

ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى هذه النظرية، إلا أننا لا ننكر كم الأبحاث والدراسات التي أثارتهـا فرضـية "الإحباط العدوان"، وكان من نتيجة هذه الأبحـاث إمكانيـة إحداث تعديل في هذه الفرضية: حقًا كل إحباط يقـود إلـى عدوان؛ إلا أن ذلك لا يحدث بالضرورة وعلى الدوام؛ بل له شروط ومقدمات، وفهم للمناخ الثقافي والاجتماعي السائد في البيئة التي يعيش فيها الشخص.

٥- **نظريات التعلم والعدوان**: حيث يرى أصحاب هـذا الاتجاه أن العدوان يمكن تفسيره على أسـاس أنـه سلوك مكتسب يتم تعلمه؛ ولذا حين نواجه أي إحباط يستثير فينا العدوان فإن شكل العدوان يكـون فـي الغالب متخذًا شكلاً قد سبق لنا تعلمه فـي مواقـف مشابهة.



كذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن العدوان يمكن تعلمه عن طريق الملاحظة والقدوة. وقد وجدت العديد من الدراسات - مثلاً - أن الأطفال شديدي العدوان انحدروا من أسر تميل إلى تفضيل العقاب البدني الشديد كوسيلة لتهذيب الطفل؛ مما يجعل هؤلاء الأطفال يدركون العقاب البدني على أساس أنه وسيلة مناسبة لرد عدوان الآخرين كلما خالفوا أوامر وتعليمات الآباء، أو من ينوب عنهم.

٦- **النظرية المعرفية**: ويرى أصحاب هذه النظرية أن الشخص حين يتعرض للعدوان فإنه يتساءل عدة تساؤلات يجب معرفتها مثل: كيف يدرك الشخص؟ وكيف يفسر المحرض على العدوان؟ وكيف يفسر الموقف ككل؟ وبناء على معرفة الإجابة عن هذه التساؤلات يكون قرار الشخص بالعدوان أم عدمه؛ لأنه لو عرف أن العدوان كان مقصودا سيكون رد الفعل مختلفًا عما إذا كان غير مقصود ووقع بطريق الخطأ.

وهكذا تتعدد التفسيرات التي تقدم لمفهوم العدوان واختلاف الرؤية التي يتم من خلالها النظر إليه.

بعض الدراسات في الفروق بين الجنسين فـي العدوان:

يعد الجنس سببا من أسباب تباين مظاهر العـدوان بـين الجنسين؛ فالذكور أكثر عدوانية من الإناث، ويتمثل ذلك في عدد مرات ارتكـاب جـرائم القتـل، ومقـدار التخريـب، والدرجات على المقاييس، ويعود هذا جزئيا إلى تعلم الأدوار الجنسية من خلال عملية التوحد بالأب، إضافة إلى قوة القيود الداخلية عند الإناث بسبب عملية التنشئة المبكرة في الطفولة؛ حيث تبين أن الأطفال الذكور بين الثالثة والخامسة يميلـون إلى ممارسة بعض الأفعال العدوانية فـي مواقـف اللعـب بالعرائس؛ مما يرجح أن هناك فروقًا جنسـية فطريـة فـي الميول العدوانية. وتؤيد بعض التجارب التي قامت على حقن الهرمون الذكري في الحيوانات هذا الفرض؛ إذ تحولت تلك الحيوانات إلى السيطرة وارتفاع العدوان (ميشـيل أرجبيـل ١٩٨٣، ٨٨).

بدراسة أثر نوع الجنس للمدرس سواء كان ذكرا أو أنثى على السلوك العـدواني الصـريح لـدى طـلاب المرحلـة

الابتدائية، ولتحقيق هذا الفرض تكونت عينة الدراسـة مـن ٨ ذكور و٨ إناث من طلاب المرحلة الابتدائية، وتم تسجيل سلوكيات عينة البحث من خلال شرائط الفيديو، وفي مواقف ثلاثة: موقف يوجد به مدرسون من الذكور، وموقف يوجـد به مدرسون من الإناث، وموقف يوجد به مدرس ومدرسـة، وعن طريق تسجيل سلوكيات أفراد العينة وفقًا لكل موقـف؛ تبين أن الذكور أكثر تعبيرا عن العدوان من الإناث في كـل المواقف الثلاثة المختلفة، إضافة إلى أن العـدوان الصـريح واضح بصورة ملحوظة في الموقف المكون من مدرسـات، ويقل بوضوح في الموقف المكون من مدرسة.

- وقام براسد Prasd ١٩٨٠ بدراسة الفروق الجنسية فـي التعبير عن العدوان، وتكونت عينة الدراسة من ٥٠ طالبا وطالبة من طلاب الدراسات العليا فـي الهنـد؛ حيـث تراوحت أعمارهم بين ٢٠ و٢٥ عاما، وتم تطبيق مقياس العدائية (الشعور بالذنب)، وانتهت النتائج إلى حصـول الذكور على درجات مرتفعة في مجالات العدوان غيـر المباشر، والشك والعدوان اللفظي، مقارنة إلى درجـات الإناث، وقد تم تفسير هذه النتـائج بالعوامـل الثقافيـة،

وظروف التنشئة الاجتماعية التي ربما تكـون المحـدد الرئيسي في زيادة التنفيس الانفعالي لأشكال معينة مـن العدوان.

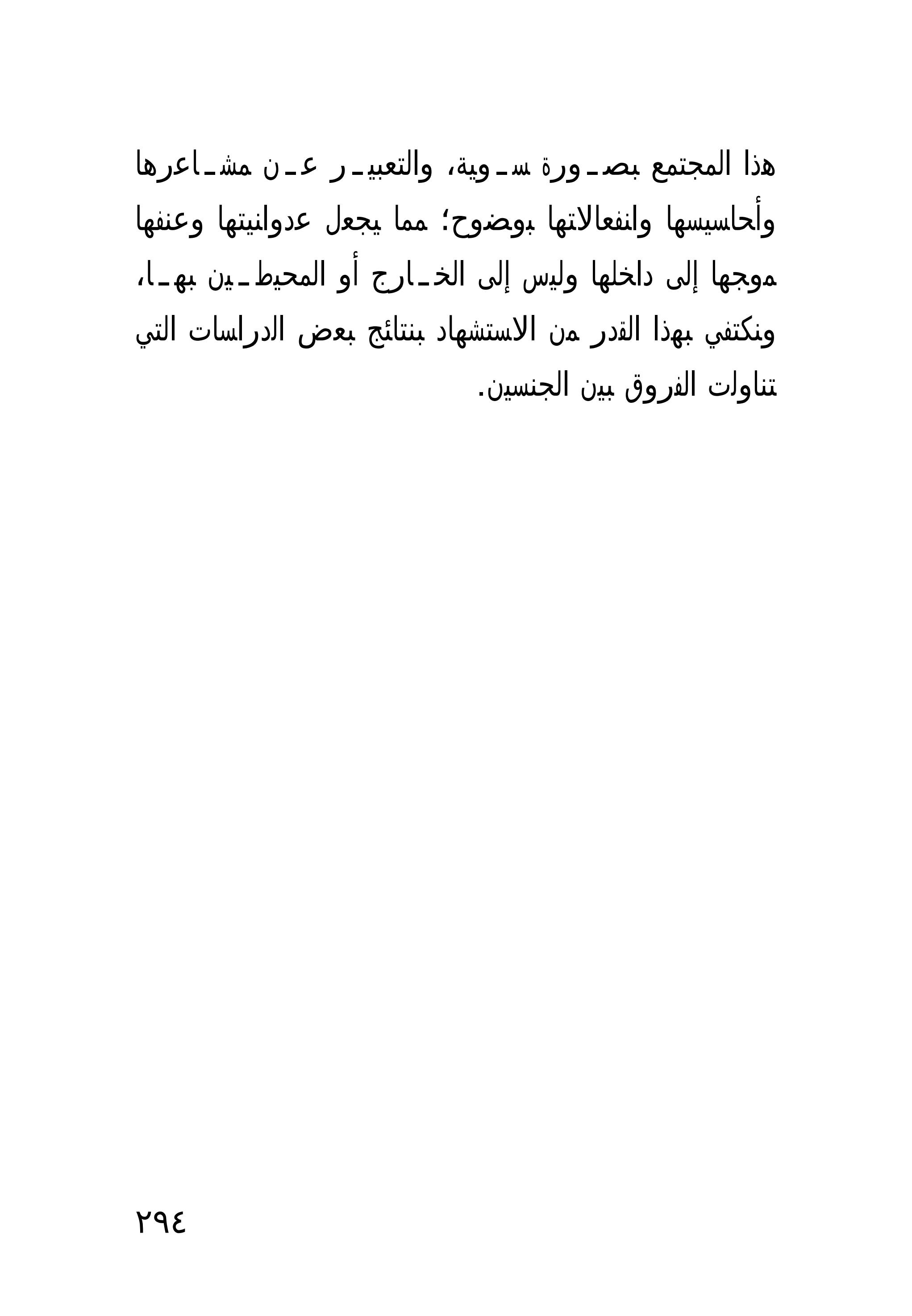
- دراسة مديحة منصور (١٩٨١) عـن: دراسـة بعـض أساليب المعاملة الوالديـة، وعلاقتهـا بعـدوان الأبنـاء وتكيفهم الشخصي والاجتماعي؛ حيـث تكونـت عينـة الدراسة من ٤٨ مراهقًا في الفرقة الثانية مـن المرحلـة الثانوية، وقد تم تطبيـق مقيـاس العـدوان للمـراهقين واستمارة لجمع البيانات الأولية، وقد توصلت الدراسـة إلى وجود العديد من الفروق الدالة إحصائيا بين الـذكور مرتفعي العدوان والإناث مرتفعات العدوان على مظاهر العدوان التالية: العدوان الموجه نحو الآخرين، والعدوان الموجه نحو الأشياء.

وكان العدوان الكلي لصالح الذكور مرتفعي العدوان على مقياس العدوان للمراهقين، في حين لم توجـد فـروق دالـة إحصائيا بين الذكور مرتفعي العـدوان والإنـاث مرتفعـات العدوان، على المقياس الفرعي للعدوان الموجه نحو الذات.

والخلاصة التي انتهت إليها الدراسة أن الـذكور أكثـر عدوانية من الإناث في بعض مظاهر العدوان المختلفة؛ مثل العدوان نحو الآخرين، والعدوان نحو الأشـياء، والعـدوان الكلي، في حين أن الإناث كن أكثر عدوانية فـي العـدوان الموجه نحو الذات.

- دراسة سعيد نصر، وسناء سليمان (١٩٨٩) عن: "ظاهرة العنف لدى بعض شرائح المجتمع المصـري: دراسـة استطلاعية"؛ حيث توصلا إلى أنـه بالنسـبة للعـدوان الداخلي فالإناث أكثر ميلاً للعدوان الداخلي من الـذكور؛ حيث إن ٥٦٢ من الإناث يملن إلى كبـت العنـف إلـى داخلهن؛ أي كبت مشاعرهن العدوانية، وعـدم التعبيـر عنها صراحة، بينما ٥٣٨ من الذكور يميلون إلى ذلك.

وبالنسبة للعدوان الخارجي؛ وجد أن ٥٥١ من استجابات الذكور تتسم بالعدوان الخارجي، و٥٤٩ من استجابات الإناث تتسم بذلك. ويفسر ذلك في ضوء طبيعة المـرأة والتنشـئة الاجتماعية الخاصة بها، والهالة التي تحيط بها، وما يسـقطه المجتمع من إسقاطات على طبيعة المرأة في جعلهـا تشـعر غالبا أنها في مرتبة ثانية؛ مما يجعلها عاجزة عن مواجهـة



هذا المجتمع بصـورة سـوية، والتعبيـر عـن مشـاعرها وأحاسيسها وانفعالاتها بوضوح؛ مما يجعل عدوانيتها وعنفها موجها إلى داخلها وليس إلى الخـارج أو المحيطـين بهـا، ونكتفي بهذا القدر من الاستشهاد بنتائج بعض الدراسات التي تناولت الفروق بين الجنسين.

مقدمة

وفي دراسة ميدانية أجراها الباحث على مجموعتين من الذكور المسجونين والإناث المسجونات في فئات: النشل، والسرقة، والقتل، والبغاء، والقوادة، ومن خلال تطبيق العديد من الاختبارات والوسائل النفسية؛ توصل إلى العديد من النتائج.

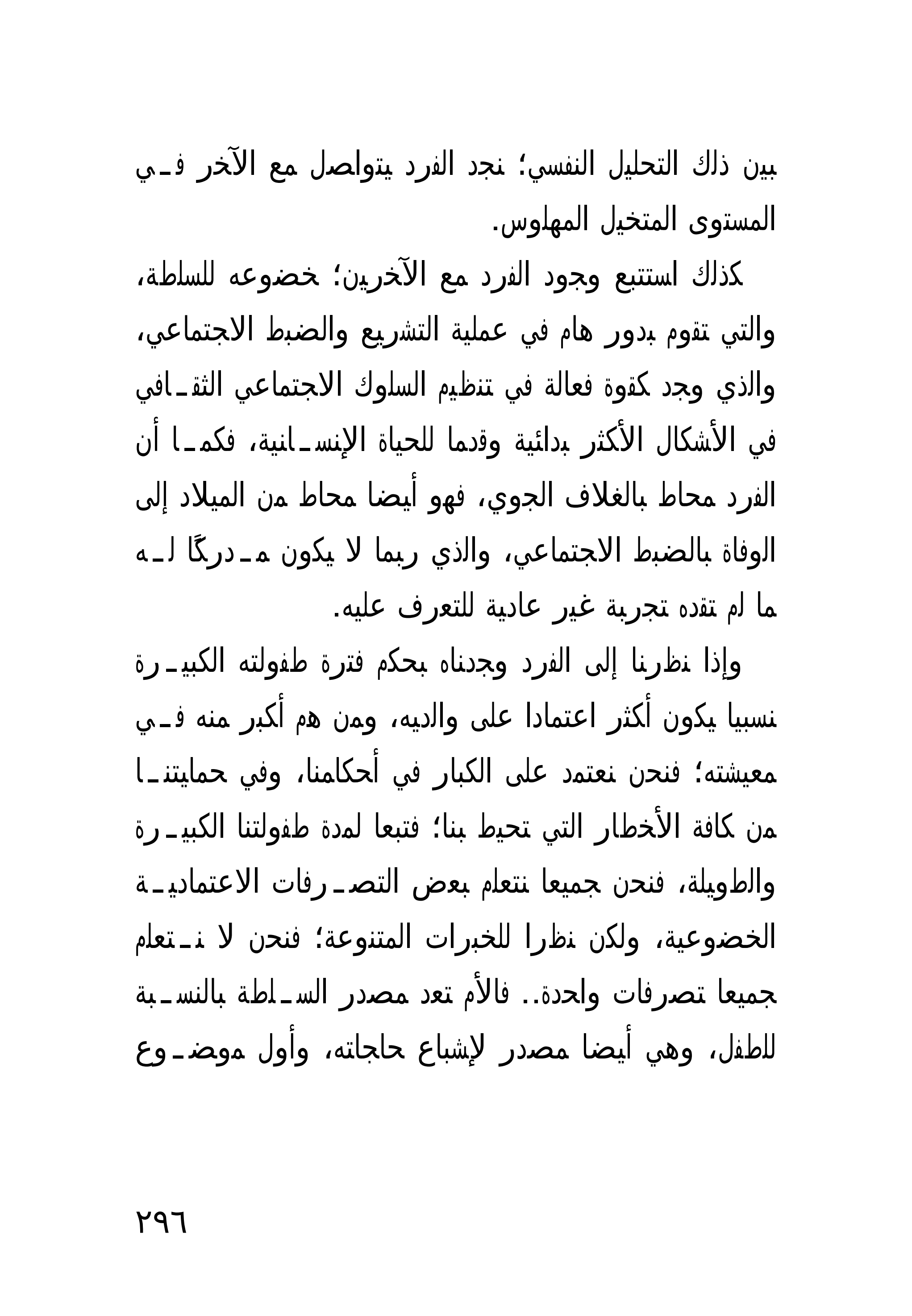
ديناميات صورة السلطة لدى المسجونين دراسة نفسية مقارنة:[1]

مقدمة:

تعد السلطة من الموضوعات الأساسية التي تلعب دورا هاما في حياة كل فرد. فكما أن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، بل لا بد له من الوجود مع الآخرين بدرجة ما. وحتى في حالة عدم الحضور الفعلي للآخر، كما

---

(١) ملخص أطروحة الماجستير، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم النفس، ١٩٩٠.



بين ذلك التحليل النفسي؛ نجد الفرد يتواصل مع الآخر في المستوى المتخيل المهلوس.

كذلك استتبع وجود الفرد مع الآخرين؛ خضوعه للسلطة، والتي تقوم بدور هام في عملية التشريع والضبط الاجتماعي، والذي وجد كقوة فعالة في تنظيم السلوك الاجتماعي الثقافي في الأشكال الأكثر بدائية وقدما للحياة الإنسانية، فكما أن الفرد محاط بالغلاف الجوي، فهو أيضا محاط من الميلاد إلى الوفاة بالضبط الاجتماعي، والذي ربما لا يكون مدركًا له ما لم تقده تجربة غير عادية للتعرف عليه.

وإذا نظرنا إلى الفرد وجدناه بحكم فترة طفولته الكبيرة نسبيا يكون أكثر اعتمادا على والديه، ومن هم أكبر منه في معيشته؛ فنحن نعتمد على الكبار في أحكامنا، وفي حمايتنا من كافة الأخطار التي تحيط بنا؛ فتبعا لمدة طفولتنا الكبيرة والطويلة، فنحن جميعا نتعلم بعض التصرفات الاعتمادية الخضوعية، ولكن نظرا للخبرات المتنوعة؛ فنحن لا نتعلم جميعا تصرفات واحدة.. فالأم تعد مصدر السلطة بالنسبة للطفل، وهي أيضا مصدر لإشباع حاجاته، وأول موضوع

لحبـه، والاسـتمالة لا الإجبـار - كمـا يقـول مورتن Morton - على أساس السلطة.

كما أن السلطة الوالدية تعد أولى مصادر التشريع في واقع الفرد، تلك التي يستدمج صورتها الطفل، ويتوحد بأوامرها ونواهيها في البدايات الأولى لوجوده. وبغض النظـر عما تشيعه هذه النماذج السلطوية مـن مظـاهر قهـر ونفـور، أو مظاهر مرونة وتسامح؛ فهي في النهار جهاز يهيمن على تنظيم سلوك الطفل، ويؤهلـه لمواجهـة مصـادر السـلطة والتشريع القائمة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الأشمل، خاصة وأن هذه التشريعات التي يزجونها في نفوس أبنائهم هي محصلة ما تم رصده من قيم ومعـايير خلقيـة، وأحكام دينية وحقوقية. وكان القمع الذي يمارسه الآباء فـي إحكام قبضتهم على أبنائهم يعبر عما يستشعرونه مـن قهـر الواقع الاجتماعي لهم، ومن ثم ينتقل إلى أبنائهم عبر عمليات التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا فإن مفهوم السلطة من المفاهيم الأساسية، والتي يختلف شكلها من مجتمع إلى آخر؛ حيث يختلف شكل السلطة في مجتمع الصعيد عنه في المجتمع الرعـوي أو الزراعـي

أو الصناعي، وهكذا. ومن هنا فإن المجتمع (أي مجتمع) قد استن مجموعة من القوانين على جميع الأفراد الالتزام بهـا، ومن هنا فإن الخروج عن هذه القوانين يعد جريمة؛ لأنه هدم أو عدم اعتراف بسلطة المجتمع.

ولو أخذنا الثأر Ravenge كمثال على ذلـك؛ نجـد أن الفرد يعزل سلطة المجتمع، ويقرر حقه بوسائله الفردية.

وقد تم الاتفاق على أن يكون السجن هو المكان الذي يـتم فيه عزل هـؤلاء الأفـراد المجـرمين بهـدف إصـلاحهم أو تهذيبهم، أو حتى إيلامهم حتى يعودوا بعد قضـاء مـدة العقوبة أو الإصلاح مواطنين غير عدوانيين تجاه المجتمـع ومؤسساته، وقد وجد أن موقف النزلاء من الضـباط داخـل السجن (وهو موقف من رموز السـلطة) يتميـز بـالخوف والخضوع والاحترام المبالغ فيه، ولكن في بعض المواقـف كالإضرابات؛ يتفجر سخط النزلاء ضد ضباط معينين، وقـد يحاول بعض النزلاء الاعتداء بالضرب على أحـد الضـباط لقسوته أو لمواقف شخصية حدثت داخل السجن.

ومن هنا فإننا في أمس الحاجة إلـى دراسـة ديناميـات صورة السلطة لدى المسجونين، والتعرف على هذه الصورة

التي قد يثور ضدها خارج السجن، ثم قد يخضع لها داخـل السجن.

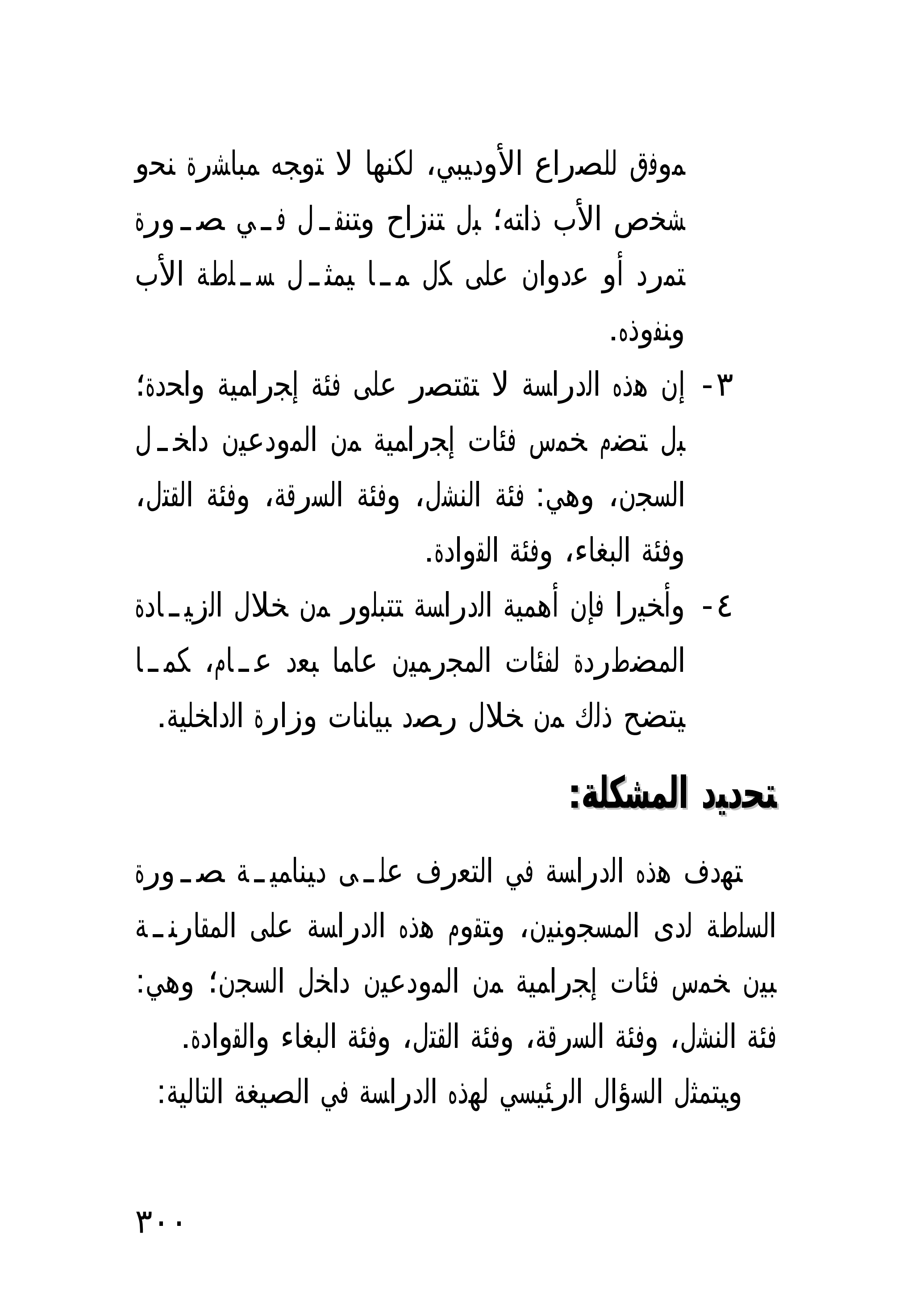
ونحن على قناعة ـ رغم كل ما سبق ـ أنه لم تعد مهمة الباحث في ميدان الجريمـة أن يـدين المجـرم أو يعاقبـه، أو يصدر عليه حكما أخلاقيا؛ بل أصبحت مهمته أن يبحـث في أعماق المجرم، وأن يعيد النظر في سلوكه مبتدئًا بفكـرة أنه إنسان فقد توافقه مع نفسه وجماعته، ولجأ للجريمة حتـى يستعيد هذا التوافق المفقود.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى الأسباب الآتية:

١- قلة الدراسات السيكولوجية في مجال الجريمة علـى وجه العموم، ومن هنا تساهم هذه الدراسة في سـد هذه الثغرة.

٢- إن هذه الدراسات مع قلتها لـم تتنـاول ديناميـات صورة الساطة لدى المجرمين؛ لأنه أمكن فصل فئة من الجرائم تكشف عن حساسية مرتكبيها حيال كـل ما يمثل النفوذ أو السلطة، ويكون الدافع الرئيسي لها كراهية لا شعورية نحو الأب، نجمت عن حل غير



موفق للصراع الأوديبي، لكنها لا توجه مباشرة نحو شخص الأب ذاته؛ بل تنزاح وتنتقل في صورة تمرد أو عدوان على كل ما يمثل سلطة الأب ونفوذه.

٣- إن هذه الدراسة لا تقتصر على فئة إجرامية واحدة؛ بل تضم خمس فئات إجرامية من المودعين داخل السجن، وهي: فئة النشل، وفئة السرقة، وفئة القتل، وفئة البغاء، وفئة القوادة.

٤- وأخيرا فإن أهمية الدراسة تتبلور من خلال الزيادة المضطردة لفئات المجرمين عاما بعد عام، كما يتضح ذلك من خلال رصد بيانات وزارة الداخلية.

تحديد المشكلة:

تهدف هذه الدراسة في التعرف على ديناميـة صورة السلطة لدى المسجونين، وتقوم هذه الدراسة على المقارنة بين خمس فئات إجرامية من المودعين داخل السجن؛ وهي: فئة النشل، وفئة السرقة، وفئة القتل، وفئة البغاء والقوادة.

ويتمثل السؤال الرئيسي لهذه الدراسة في الصيغة التالية:

ما هي ديناميات صورة السلطة لدى المسجونين، وهل تتباين الصورة بتباين السلوك الإجرامي؟

الهدف من الدراسة:

١- التعرف على ديناميات صورة السلطة لدى الفئات الإجرامية الآتية: نشل، وسرقة، وقتل، وبغاء، وقوادة.

٢- التعرف على التباين في صورة السلطة لدى الفئات الإجرامية الآتية: نشل، وسرقة، وقتل، وبغاء، وقوادة.

٣- التعرف على صورة السلطة لدى الفئات الإجرامية (الفئات الخمس موضع هذه الدراسة)، ولدى الأفراد الذين لم يرتكبوا أي جرائم، وبالتالي لم يصدر ضدهم أحكام أودت بهم إلى السجن.

مفاهيم الدراسة:

المفاهيم الإجرائية للباحث:

أولاً- مفهوم السلطة Authority:

فالسلطة هي موقف الفرد من الأوامـر والنـواهي التـي يتلقاها؛ إما خضوعا لها، أو تمردا عليها، باعتبـار أن هـذا الضبط لسلوك الفرد هام جدا لصالحه ولصالح الآخرين".

هذا التعريف له الخصائص الآتية:

١- ركز على الفرد الذي تمارس عليه عملية الضـبط، وموقف الفرد من الضبط، والذي يتراوح عادة بـين طرفي الخضوع الكامل، أو التمرد الشامل.

٢- وضع أهمية السلطة في حياة كل فرد؛ لأنها توجـد أساسا لصالحه ولصالح الآخرين.

٣- إنه تعريف مرن للسلطة يشتمل على كافة الأوامـر والنواهي التي يتلقاها الفرد عبـر مراحـل حياتـه المختلفة.

٤- إن السلطة هامة جدا في حياة الفرد، ولا يستطيع أن يوجد بدونها.

ثانيا- المسجون Personer:

"المسجون هو شخص ارتكب إحـدى الجـرائم الخمـس موضع الدراسة أو أكثر؛ مخالفًا بذلك نصا في القانون عمدا، ومودع في إحدى المؤسسات العقابية".

هذا التعريف له الخصائص الآتية:

١- ركز على الفرد المرتكب جريمة أو أكثر.

٢- من المحتمل أن يرتكب الفرد جريمة أو أكثر.

٣- اقتصر التعريف على المسجون الذي ارتكب جريمة أو أكثر من الجرائم الخمس موضع هذه الدراسة.

٤- إن ارتكاب الجريمة يكون بصورة عمديـة وليسـت عفوية.

٥- إن المسجون لا بد أن يودع في إحدى المؤسسـات العقابية.

ثالثًا- النشل Pick – poket:

"النشال هو الشخص الذي ضبط ملتبسا بجريمة النشـل، وقد يكون هذا الشخص بمفرده، أو قد يشترك معه آخـرون

في اختلاس ما يملكه الغير، وتم إيداعه في السجن بموجـب نص في القانون".

رابعا- السرقة Robbery:

"السرقة فعل ضبط فيه الشخص متلبسا بأخـذ ممتلكـات الغير عنوة وبالإكراه، وتم إيداعه السجن بموجب نص فـي القانون".

خامسا: القتل Murder:

"القاتل هو شخص أزهق روح الآخر، أو الآخرين، بهدف تحقيق مصلحة اجتماعية (الثأر أو الشرف)، أو لتحقيق رغبة فردية، وبصورة عمدية، وقـبض عليـه متلبسـا بوسـيلة أو بأخرى، وحكم عليه وأودع بموجب ذلك فـي المؤسسـة العقابية".

سادسا- البغاء Prosititution:

"الأنثى البغي هي التي يقبض عليها متلبسة تمارس الجنس مع شخص أو عدة أشخاص آخرين، بطريقة غير مشروعة، وبصورة عمدية؛ "حتى يتضح في الأذهان الفرق بين البغـاء

والاغتصاب"، وحكم عليها بموجب نص في القانون، وأودعت في إحدى المؤسسات العقابية".

سابعا: القوادة Pimp:

"القواد هو الشخص الذي ضبط متلبسا بتسهيل مهمة البغاء بين البغي والعميل، وأودع السجن بموجب نص في القانون".

عينة الدراسة:

أولاً- المجموعة التجريبية: وتكونت من ١٠٠ مسجون ومسجونة، بواقع ٢٠ مسجونًا من كل فئة إجرامية (نشل – سرقة – قتل – بغاء – قوادة)، وقد تم اختيارهم من سجن الرجال وسجن النساء بالقناطر الخيرية.

ثانيا- المجموعة الضابطة: وقد تكونت من ٤٠ شخصا، و٢٠ من الذكور، و٢٠ من الإناث، والذين لم يرتكبوا أي سلوك إجرامي، وبالتالي لم يمروا بخبرة السجن.

وقد حاول الباحث قدر جهده أن يوحد كافة الخصائص بين المسجونين وغير المسجونين، حتى تتفرع وبصورة موضوعية لدراسة "السلوك الإجرامي".

أدوات الدراسة:

١- اختيار الاتجاه نحو السلطة لأحمد خيري حافظ.
٢- اختيار تداعي الكلمات: من إعداد الباحث.
٣- المقابلة الشخصية المنظمة: من إعداد الباحث.

نتائج الدراسة:

النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة كثيرة جدا، بيد أننا سنحاول في هذا الحيز أن نقدم مجملاً عاما لهذه الصورة.

مجمل عام لديناميات صورة السلطة لدى المجموعة التجريبية (نشل، سرقة، قتل، بغاء، قوادة):

أولاً- السلطة الوالدية:

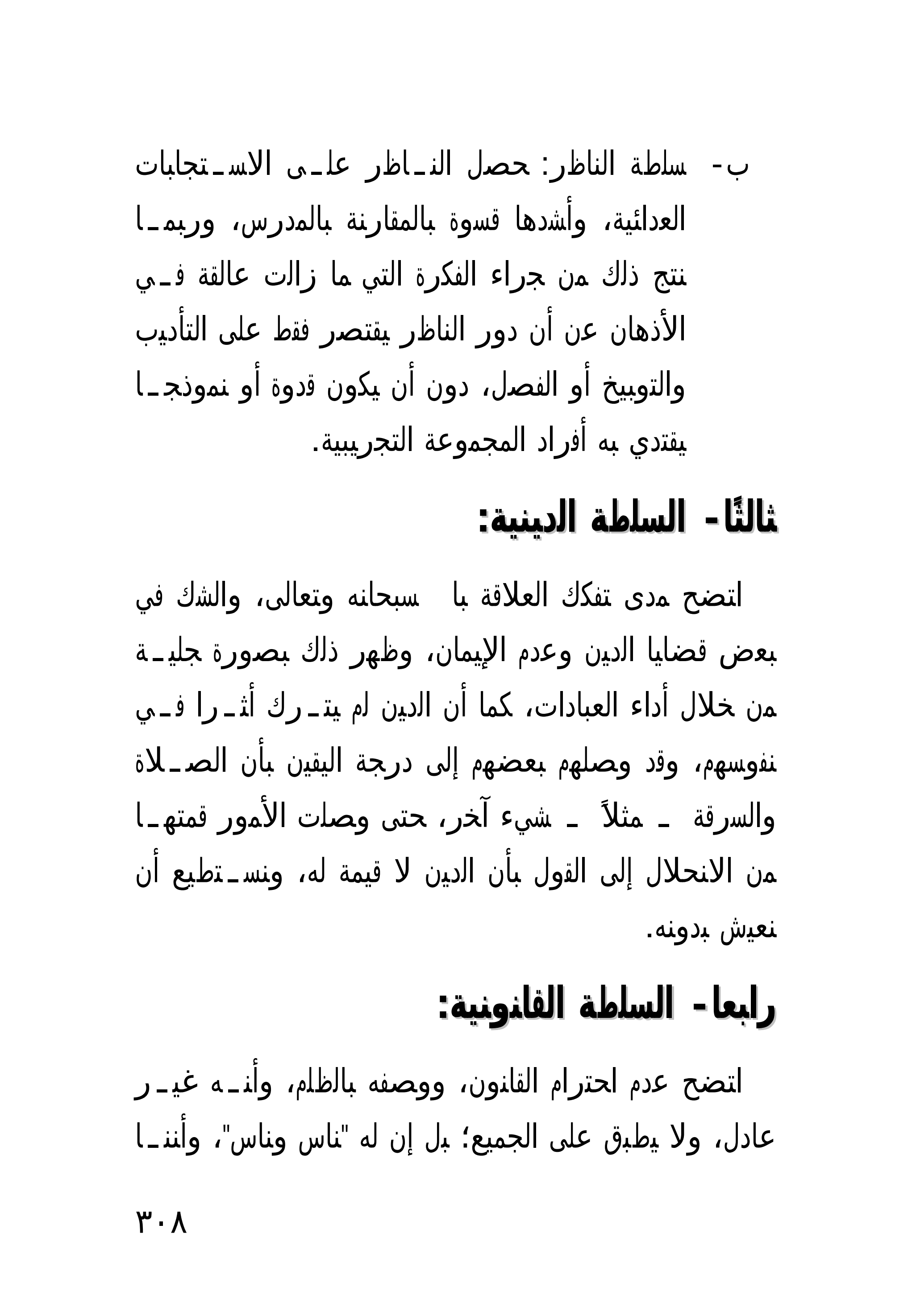
أ- الأب: حيث اتصف بالقسوة في المعاملة، أو الانحلال، أو الإهمال، كما أن الأب سكير، مدمن؛ ولذلك لم يتوحد به أفراد هذه المجموعة.

ب- الأم: حيث اتصفت بإعطائهم الحرية المطلقة دون توجيه أو إرشاد، كما اتصفت بأنها "مخلقة" بالعصبية الشديدة، وأنها على خلاف مستمر مع الأب؛ مما أدى إلى كثرة حالات الطلاق، وبالتالي تشرد الأبناء.

ج- الأخ الأكبر: اتصف بالاستبداد والسيطرة، ولذلك كنتيجة حتمية ساءت العلاقة بينه وبين إخوته الآخرين.

ثانيا- السلطة التعليمية:

أ- سلطة المدرس: اتصف بالقسوة الشديدة، والإجبار على إعطاء دروس خصوصية؛ مما جعل أفراد هذه المجموعة التجريبية يدخلون في "عراك" مع بعض المدرسين، وصل في بعض الأحيان إلى سبهم أو ضربهم، وبالتالي التسرب من الدراسة.



ب- سلطة الناظر: حصل الناظر على الاستجابات العدائية، وأشدها قسوة بالمقارنة بالمدرس، وربما نتج ذلك من جراء الفكرة التي ما زالت عالقة في الأذهان عن أن دور الناظر يقتصر فقط على التأديب والتوبيخ أو الفصل، دون أن يكون قدوة أو نموذجا يقتدي به أفراد المجموعة التجريبية.

ثالثًا- السلطة الدينية:

اتضح مدى تفكك العلاقة بالله سبحانه وتعالى، والشك في بعض قضايا الدين وعدم الإيمان، وظهر ذلك بصورة جلية من خلال أداء العبادات، كما أن الدين لم يترك أثرا في نفوسهم، وقد وصلهم بعضهم إلى درجة اليقين بأن الصلاة والسرقة - مثلاً - شيء آخر، حتى وصلت الأمور قمتها من الانحلال إلى القول بأن الدين لا قيمة له، ونستطيع أن نعيش بدونه.

رابعا- السلطة القانونية:

اتضح عدم احترام القانون، ووصفه بالظلم، وأنه غير عادل، ولا يطبق على الجميع؛ بل إن له "ناس وناس"، وأننا



لسنا في حاجة إلى قانون. ويستطيع كل واحد أن يحكم نفسه. ولعل "خرق" هذه القوانين هو أكبر دليل على هذا العداء ضد السلطة.

خامسا- سلطة الشرطة:

اتسم هذا الجانب بأشد صورة العـداء شراسـة وقسـوة، وينظر إلى البوليس والمباحث على أنهم هم المجرمون الذي يستحقون السجن ولسنا نحن، وأنهم مرتشون، يلقون الـتهم، والكراهية الشديدة لهم. وهكذا تتكامل الحلقـات مـن عـداء للسلطة الوالدية والتعليمية، ثم الدينية، فالقانون ومن يقومـون بحماية هذا القانون.

سادسا- السلطة القضائية:

اتسمت الصفات العدائية بشدة ضراوتها تجـاه القاضـي ووكيل النيابة؛ لدرجة اتهام القاضي "بأحط وأحقر الصفات"، وكيف أنه بحكمه عليهم قد دمر حياتهم.

سابعا- السلطة داخل السجن:

اتسم هذا الجانب أيضا بالعـداء الشـديد، وبكـره لهـم أو تجنبهم ومنافقتهم حتى ينجوا من عقـابهم، ويقـول أحـد المسجونين: "إنه من الأشياء المؤسفة أن نسجن مـع الـذين نكرههم!".

ثامنًا- السلطة بصيغة عامة:

وصلت الاستجابات العدائية قمتها؛ حيث العداء للسـلطة وكافة رموزها؛ في كلمات تشير إلى ذلك. وهكـذا تتكامـل الحلقات؛ من العداء لكافة أشكال السلطة هذا العداء الذي قـد يكمن وراء إجرام الفرد وانحرافه.

مجمل عام لديناميات صـورة السـلطة لـدى المجموعة الضابطة (ذكور/ إناث):

بصفة عامة فإن صورة السلطة لدى أفـراد المجموعـة الضابطة كانت إيجابية، ولكن الشيء الذي لفت نظرنا هو أن نسبة العداء للشرطة والبوليس لـدى الـذكور مـن أفـراد المجموعة الضابطة؛ قد تساوت مـع نسـبة عـداء أفـراد المجموعة التجريبية. وقد غصنا فـي التـاريخ المصـري الحاضر والماضي لتفسير هـذا العـداء للبـوليس ورجـل

الشرطة، مستندين إلى تعسف البوليس في الاعتقال، وقانون الطوارئ، والذي قد يؤدي إلى حالة من الخوف وعدم الاطمئنان. وإن كافة أفراد المجموعة الضابطة أيضا لا ينكرون دور البوليس في القبض على المجرمين والعمل على استتباب الأمن في المجتمع.

كما أن الموقف من السلطة بصفة عامة كان إيجابيا باستثناء توجيه بعض المطالب إليها. وقد فسرنا ذلك بأنه لا توجد سلطة بدرجة مثالية، ورغم ذلك يظل الفارق قائما مع وجود هوة في ديناميات صورة السلطة لدى المسجونين ولدى الأفراد غير المسجونين.

رابعا- الفروق بين الجنسين من المجـرمين فـي الـذكاء وديناميات الشخصية

مقدمة

تحظى دراسة السلوك الإجرامي باهتمام البـاحثين؛ ذلـك لأن الجريمة كانت وما زالت وستظل لغزا يحتاج إلـى مـن يفك طلاسمه. كما أن الجريمة في شتى صـورها؛ ظـاهرة خطيرة، تضر وتهدد مصالح الجماعة، وكيان وأمن واستقرار المجتمع، كما كانت الجريمة وما زالـت مصـدر تنغـيص وتكدير للأمن العام؛ ولذا فإن المجتمعات قد نشطت للبحـث والدراسة، وسن وتشريع القوانين، وإعادة النظر في العقوبات السالبة للحرية حتى تحد من تفشي الجريمة وخطورتها؛ ولذا تتعدد الرؤى والنظريات التي حاولت سبر أغوار الجريمـة والقائمين عليها. فلقد ذهـب مـثلاً لمبـروزو Lombroso صاحب نظرية المجرم بالولادة في تفسيره للسلوك الإجرامي إلى وجود خصائص جسمية تميز المجرم عن غيـره مـن الأفراد؛ حيث أجرى دراسة فحص فيها ٥٠٩٧ سجينًا مـن نزلاء السجون الإيطالية، ووجد أنهم يختلفون عن الإنسـان

العادي، ويشبهون الإنسان البدائي في كثير من خصائصه الجسمية. إلا أن دراسات شارلز جورنج Gorng S، والتي أجراها على ٣٠٠٠ سجين إنجليزي، مستخدما العديد من المقاييس الأنثربومترية، والتي أوضحت عدم وجود فروق تذكر بين المجرمين وغيرهم من الأشخاص الذين لم يرتكبوا الجريمة. كذلك نجد الاتجاهات النفسية والاجتماعية، والتي أخذت في اعتبارها كافة العوامل التي تقود إلى السلوك الإجرامي.

ولذا فإن دراسة الجريمة هامة للأسباب الآتية:

١- تمثل الجريمة مشكلة اقتصادية نظرا للخسائر التي تنشأ عن النشاط الإجرامي، والنفقات التي تتحملها الدولة في محاولات المكافحة والوقاية، وبناء السجون، وتكاليف إنفاق المساجين.

٢- إن الجريمة تعد واحدة من أهم المشكلات التي تؤدي إلى اختلال الأمن الاجتماعي؛ لأن مرتكبيها يقومون بأفعال تهدد الحكومات والصالح العام؛ لأنها ضد القانون وضد القيم الأخلاقية.

٣- تعد الجريمة مشكلة نفسية؛ لأن مرتكبيها ما هـم إلا كائنات إنسانية لهم دوافعهم التي تسـبب انحـراف سلوكهم. وبما أن علم النفس يدرس سلوك الشخص إذن لا بد من الوقوف على التعرف على السـمات التي تميز فئة الإجرام.

والموقف من إجرام الرجل قد حظي بدراسات إلى حد ما متعددة، على عكس عدم الاهتمام بدارسة جرائم المرأة. ولعل السبب في قلة عدد البحوث التي أجريت على جرائم المـرأة كما يبرر البعض؛ إنما يرجع إلى ضآلة الجرائم التي ترتكبها المرأة على مر العصور وانخفاض نسبتها. وقد فسر البعض قلة ارتكاب المرأة للجريمة إلى العديد من العوامل والأسباب؛ مثل ما يشاع عن المرأة مـن الرقـة والعذوبـة والحنـان، والكراهية الشديدة للقسوة، والنفور من العنف والعدوان، وأن المرأة بطبيعتها كائن ضعيف يحتاج إلى حماية الآخر، خاصة الرجل، وأن المرأة تدافع ولا تهاجم، تدعو إلـى الاسـتقرار لا إلى الحرب والعدوان. إلا أن بعض العلماء يعارض الرأي السابق، ويرى أن المرأة مثلها مثل الرجال ترتكب الجريمة،

وأن جـرائم المـرأة مـن نـوع "صـفة القنـاع" Masked character؛ وذلك يرجع إلى العوامل الآتية:

١- إن أنماط جرائم المرأة قليلاً ما تكتشف أو تضـبط، والذي يساعد على ذلك هو دورهـا التقليـدي فـي المجتمع، فهذا الدور يواري جرائمها؛ لأن الدراسات التاريخية تشير إلى أن المرأة من خـلال أدوارهـا كزوجة وكصديقة أو سكرتيرة أو ممرضة؛ يمكن أن ترتكب الكثير من الجرائم، وخاصـة عـن طريـق السموم دون كشفها.

٢- حتى عند اكتشاف وضبط هذه الجرائم؛ فهي قلـيلاً ما تسجل لأن معظمها سرقة من المحلات، أو سرقة من المنازل، أو سرقات البغايا لمن يتعامل معهن.

٣- وفي حالة تسجيل هذه الجرائم فـإن المـرأة لـديها فرص أفضل في تجنب القبض عليها لسببين:

الأول- أن هناك تعاطفًا معها من جانـب العـاملين فـي الجهاز الجنائي.

الثاني- وفي حالة اشتراكها مع الرجل في ارتكاب الجريمة؛ فإن فرصة القبض على الرجل تكون أكثر منها؛ لأن صفة الشهامة عند الرجل تدفعه للتستر عليها.

٤- إن دور المرأة في الجرائم يكون تخطيطيا وليس تنفيذيا (Otto Polaak ١٩٦٠ pp. ١٤٩: ١٥٢).

وعموما فإن المجرمين قد اتفقت العديد من الدراسات على أنهم فئة سيكوباتية، تتميز بسلوك ضد المجتمع. ويرى جلوفر Glover أن السمة الرئيسية للسيكوباتي المجرم هي الانحراف الأخلاقي، وأن هذه السمة يتم تقييمها من خلال اعتبارات اجتماعية أكثر منها إكلينيكية، وأن السيكوباتي يقاس سلوكه بمدى تجاهله أو اختراقه للقوانين التي تحكم المجتمع (Cart m ١٩٦٦).

وقد جاءت تصنيفات السيكوباتية؛ وفقًا للفئات الآتية:

١- المجرمون.

٢- النصابون

٣- المتقلبون انفعاليا.

٤- غير الأكفاء.

٥- أشباه الباردونيين.

٦- الأفاكون
٧- مدمنو المخدرات والخمر.
٨- المصابون بجنون السرقة.
٩- المنحلون أخلاقيا.
١٠- المنحرفون جنسيا.
١١- أشباه المتذمرين.
١٢- مدعو المرض.
(صبري جرجس ١٩٥٧ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

وتعد أهم سمات أو صفات الشخصيات السكوباتية تكون كالآتي:

١- أن نزعاتهم إلى الإجرام ومخالفة القوانين والتمرد على السلطة تظهر منذ سن مبكرة.

٢- لا يتأثرون بأساليب العقاب؛ بل على العكس قد يدفعهم العقاب إلى مزيد من ارتكاب السلوك الإجرامي، وكأن لسان حاله يقول: أخطأت فتمت معاقبتي.

٣- يرتكب السيكوباتي جرائمه دون خجل، بـل علـى العكس قد يتفاخر بذلك؛ لأنه ليس في مقـدورهم أن يحتفظوا بسرية جرائمهم وأعمالهم.

٤- لا يستفيد من التجارب السابقة، كما أنه يعيش فـي ملذات الحاضر وتجرفه أهواء اللحظة الراهنة، كما أنه لا يعبأ بالنتائج التي تترتب على ذلك.

٥- أن السيكوباتي قد يرتكـب كافـة الجـرائم دون أن يدعي أنه متخصص في نوع واحد مـن الجـرائم؛ بمعنى آخر أنه قـد يرتكـب الجريمـة الصـغيرة والخطيرة.

٦- قد تكون جرائم السيكوباتي لا معنـى لهـا؛ إذ قـد يسرق أشياء لا نفع منها، إضافة إلى أنهم كثيـري الكذب والحلف با   (عمال على بطال).

وخاصة إن كان الكذب سينجيهم ولو إلى حين.

٧- على الرغم من استمرار سلوكهم المضاد للمجتمـع إلا أنهم يبدون كقـوم ظرفـاء، كمـا أن تقلبـاتهم الانفعالية هي أهم ما يميزهم.

٨- الافتقاد إلى القدرة على التركيز؛ لذلك يكون عاجزا عن بذل الجهد المتواصل؛ مما يعطي إحساسا كاذبا بنقص الدافعية.

٩- عجز السيكوباتي عن تكوين روابط شخصية عميقة؛ بل يميل إلى إحداث المعاناة لكل من يرتبط به؛ حيث تضعف مشاعر السلبية ارتباطاته الفردية والأسـرية والاجتماعية.

١٠- يتميـز السـيكوباتي بالأنانيـة والتـبجح والعنـد والمخادعة، مع ميل شديد إلى أن يكون محط أنظار الآخرين وباستمرار (محمد غانم ٢٠٠).

كما أن الدليل الإحصائي الرابع ١٩٩٤ (DSM ٤) ذكـر أن السيكوباتي يظهر سلوكه الإجرامي قبل سـن ١٥ عامـا ويتميز بالآتي:

١- الهروب المتكرر من المدرسة.

٢- الهروب المتكرر من المنزل؛ بل ويمضي أكثر مـن ليلة ينام خارجه.

٣- دائما ما يكون هو البادئ بالمشاجرات؛ بل ويحرض عليها.

٤- إذا بدأ الشجار لا بد أن يستخدم الأسلحة.
٥- يتعمد إيذاء الحيوانات الأليفة.
٦- إجبار الشخص الآخر على ممارسة الجنس وبـالقوة أو بالاغتصاب.
٧- تعمد إتلاف الأشياء التي لا يمتلكها.
٨- كثيرا ما يلجأ إلى إشعال الحرائق ويتلاذذ بذلك.
٩- كثير الكذب بداعٍ أو بدونه.
١٠- يمكن أن يؤذي الشخص حتى وإن لم يفعل له شيئًا (من الباب للطاق).
١١- يقوم بسرقة أشياء قد لا يحتاج إليها، ولكنها السرقة من أجل السرقة.
١٢- كثيرا ما يقوم بسرقة شخص بالإكراه.

ومن خلال الرجوع إلى العديد من نتائج الدراسات التـي استخدمت اختبارات الذكاء خاصة مقياس وكسلر، وبلفيـو لذكاء الراشدين؛ تم التوصل إلى النتائج الآتية:

١- انخفاض متوسط درجة المعلومات بشكل دال يفـي مجموعة الإناث المجرمات عن مجموعة المجرمين الذكور. والمعروف أن اختبار المعلومـات يمكـن

اعتباره مقياسا لمدى معرفة الفرد وذاكرته البعيـدة، ومن ناحية أخرى تدل الدرجة على هذا الاختبـار؛ على مقدار تنبه الفرد للعالم من حوله، بل وتعكـس أيضا طبيعة المحيط الاجتماعي والثقافي للفـرد؛ إذ يفترض الاختبار توفر فرصة عاديـة أو متوسـطة لتلقي المعلومات اللفظية؛ وهذا ما قرره وكسلر فـي معرض حديثة عن فئة السيكوباتيين، كمـا أن هـذه النتيجة تتفق وطبيعة النوع؛ إذ يفترض أن فـرص احتكاك الذكور بالواقع أكثر من احتكاك الإناث.

٢- انخفاض متوسط درجة الفهم العام بشـكل دال فـي مجموعة المجرمات عنه في مجموعة المجـرمين. ويرى وكسلر أن اختبار الفهم العام يمكن اعتبـاره مقياسا للحس العام Comm sense، وأن النجاح فيه يعتمد على قدر معين من الخبرة العملية، وعلى قدرة الفرد على تقويم خبراته الماضية؛ ولذا فهو أقـرب في دلالاته إلى اختبار الواقع.

٣- انخفاض درجة تكميـل الصـور فـي مجموعـة المجرمات عنه في مجموعة المجرمين من الذكور.

ومن المعلوم أن اختبار تكميل الصور يقيس قـدرة الشخص على التمييز بين التفاصيل الأساسية وغير الأساسية، ولكن قدرة الشخص على أن يفعل ذلـك تعتمد إلى حد كبير على مدى ألفته بالأشـياء التـي يتعرف عليها. كذلك فإن المقياس يقيس القدرة على التركيز البصري، والتركيز ما هو إلا جهـد يبـذل لأخذ المثيرات من العالم الخارجي، وبالتـالي فـإن ضعف التركيز ما هو إلا ضـعف فـي الاتصـال بالواقع؛ ولذا فإن وكسلر يرى أن الدرجة المنخفضة تميز فئة الفصاميين، أو تميز خصائص البناء النفسي الذهاني.

٤- انخفاض متوسط الذكاء (نسبة الذكاء اللفظي والعملي والكلي)، ومعامل الكفاءة غير دالٍ إحصـائيا فـي مجموعة المجرمات عنه في مجموعة المجـرمين. وإن الفرق بين مجموعـة المجـرمين ومجموعـة المجرمات لم يكن دالاً فيما يتعلق بمتوسـط نسـب الذكاء جميعها. وتشير هذه النتيجة إلى مدى التشابه بين المجرمين والمجرمات بالنسبة لمتغير الـذكاء،

وأن انخفاض متوسط الذكاء لدى المجموعتين إنمـا يشير إلى أن الذكاء هو القدرة على التوافق والتعامل بكفاءة مع البيئة؛ ولذا فإن الجريمـة هـي إعـلان صريح عن فشل التوافق.

٥- وجدت بعض الدراسات انخفاض متوسـط درجـة الاستدلال الحسابي بشكل دال في مجموعة النسـاء عن مجموعة الرجال من المجرمين. ومن المعلـوم أن اختبار الاستدلال الحسابي يقيس القـدرة علـى اليقظة العقلية، وأن درجة هذا الاختبار تتأثر بتذبذب الانفعال، وبالحالات الانفعالية العارضة. وتتفق هذه النتيجة مع الواقع؛ لأن المرأة معروف عنها الانفعال والتقلب الانفعالي، وعدم تحكيم العقل والمنطق.

٦- انخفاض درجة المتشابهات لدى المجرمات مقارنـة بالمجرمين.

ومعروف أن اختبار المتشابهات يقيس تكـوين المفهـوم اللفظي، وقدرة الفرد على التعبير اللفظي عن العلاقات بـين موضوعين. وتشير الاستجابة الضعيفة إلى جمود أو صلابة أو تحريف في العمليات الفكرية. ونظـرا لأن المتشـابهات



تشير إلى علاقات بين خصائص؛ فإن الاستجابة لها تكشف عن الطريقة التي ينظر بها المفحوص إلى عالمه، والطريقة التي يربط بها بين الأشياء - كما يقرر وكسلر-مما يعني نقص القدرة العقلية وخاصة في التفكير المجرد.

تحليل أنماط الصفحة النفسية ومقارنتها بين مجموعة المجرمين والمجرمات:

يقصد وكسلر بتحليل النمط؛ تحديد الأنماط الفريدة من الاختبارات التي تميز بين الفئات الإكلينيكية المختلفة. ويفترض تحليل النمط وجود صفحات نفسية مميزة لكل فئة إجرامية. ومن الواضح أن هذا الافتراض يقوم على أساس اختلاف مدى الاضطراب في الوظائف العقلية، وتأثرها باضطرابات العقل والنفس المختلفة.

وقد اتضح من خلال الدراسات المختلفة التي تناولت فئة المجرمين الآتي:

١- انخفاض درجة المعلومات العامة في مجموعة المجرمات عنها مقارنة بمجموعة المجرمين.

٢- انخفاض درجة الفهم العام في مجموعة المجرمات مقارنة بمجموعة المجرمين.

٣- انخفاض درجة تكميل الصور في مجموعة المجرمات مقارنة بمجموعة المجرمين.

٤- انخفاض درجات جميع الاختبارات الفرعية باستثناء رسوم المكعبات؛ وذلك في مجموعة المجرمات عن مجموعة المجرمين.

٥- ارتفاع درجة الفهم العام في مجموعة المجرمين عن متوسط الاختبارات الفرعية الأخرى.

٦- انخفاض درجات جميع الاختبارات الفرعية باستثناء اختباري؛ ترتيب الصور، وتكميل الصور في مجموعة المجرمين عن المجموعة الضابطة (أي الذين لم يرتكبوا جرائم، وبالتالي لم يدخلوا السجن).

٧- ارتفاع درجة إعادة الأرقام في مجموعة المجرمين عن متوسط الاختبارات الفرعية الأخرى، والأمر بالمثل بالنسبة لمجموعات المجرمات.

٨- ارتفاع درجة تجميع الأشياء في مجموعة المجرمين عن متوسط الاختبارات الفرعية الأخرى، والأمر كذلك بالنسبة لمجموعة المجرمات.

٩- ارتفاع درجة تجميع الأشياء في مجموعة المجرمين عن متوسط الاختبارات الفرعية الأخرى، والأمـر كذلك بالنسبة لمجموعة المجرمات.

١٠- انخفاض درجة المتشابهات في مجموعة المجرمين عن متوسط الاختبارات الفرعية الأخرى، والأمـر كذلك أيضا بالنسبة لمجموعة المجرمات.

١١- انخفاض درجة رمـوز الأرقـام فـي مجموعـة المجرمين والمجرمات. ومـن الجـدير بالـذكر أن النتائج السابقة قد تم استخلاصها من دراسات عديدة قد تناولت ذكاء المجرمين، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى وجود العديد من الفروق، خاصة في تحليل الـنمط، ووفقًا لطبيعة الجريمة.

ثانيـا: ديناميـات شخصـية المجـرمين والمجرمات:

اتضح من خلال نتائج العديد من الدراسات التي استخدمت اختبار تفهم الموضوع (TAT)، وكذا اسـتخدام المقـابلات الإكلينيكية المتعمقة الآتي:

١- تطرف أنماط النماذج الأسرية في أساليب التنشـئة الاجتماعية في مجموعتي المجرمين والمجرمات.

٢- اضطراب الحياة الأسرية في مجموعتي المجـرمين والمجرمات.

٣- زيادة درجة القابليـة للاسـتهواء فـي مجمـوعتي المجرمين والمجرمات.

٤- زيادة الجانب العدواني ومظاهر الاضـطراب فـي مجموعتي المجرمين والمجرمات.

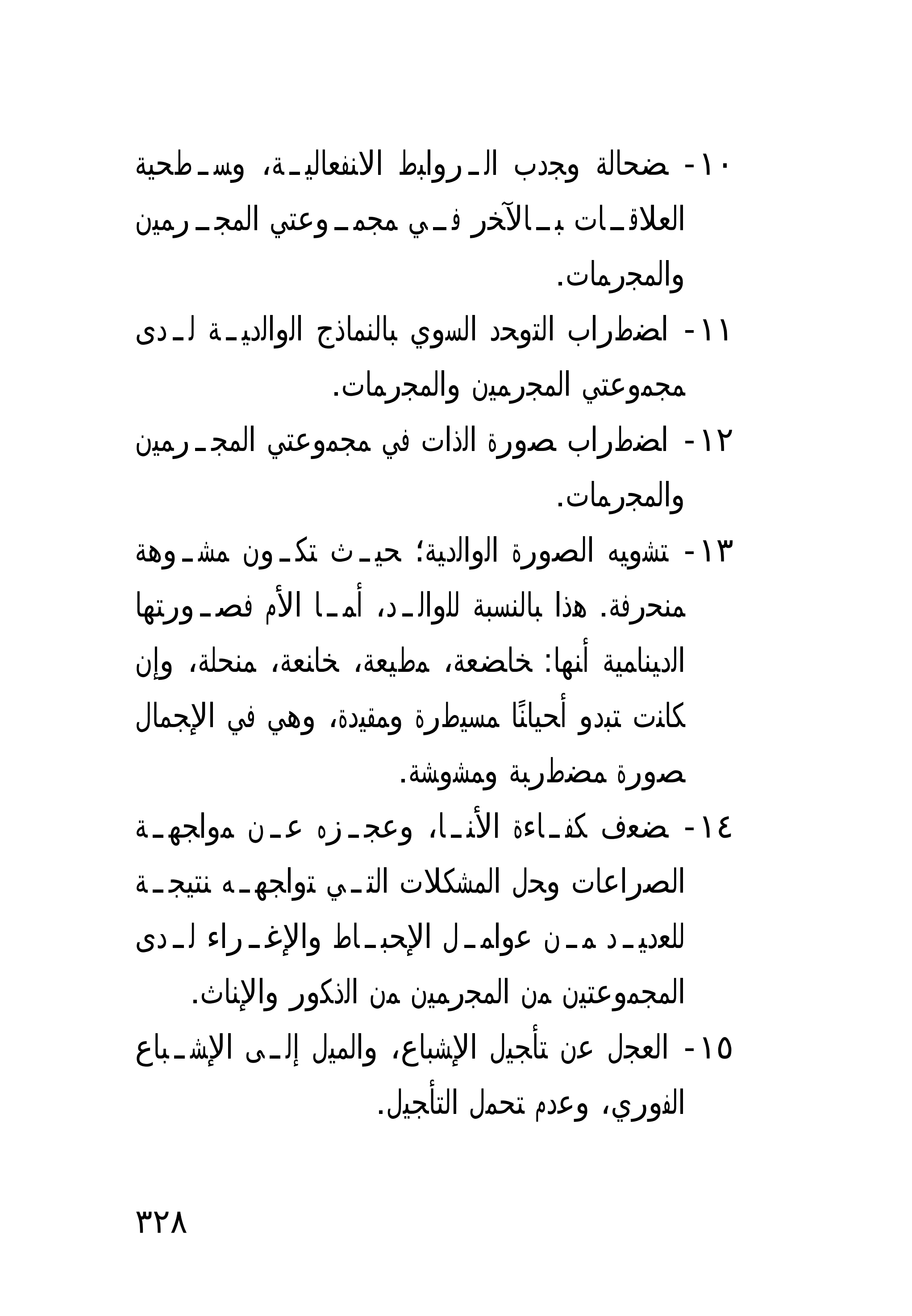
٥- انحراف مظاهر الحيـاة الجنسـية فـي مجموعـة المجرمات بدرجة أكبر من مجموعة المجرمين.

٦- فقر الجانب الـديني فـي مجمـوعتي المجرمـات والمجرمين.

٧- زيادة مشاعر القلـق فـي مجمـوعتي المجـرمين والمجرمات.

٨- وضوح الجانب السيكوباتي في مجموعتي المجرمين والمجرمات.

٩- وضوح الجانب الاكتئابي في مجموعتي المجـرمين والمجرمات.



١٠- ضحالة وجدب الروابط الانفعالية، وسطحية العلاقات بالآخر في مجموعتي المجرمين والمجرمات.

١١- اضطراب التوحد السوي بالنماذج الوالدية لدى مجموعتي المجرمين والمجرمات.

١٢- اضطراب صورة الذات في مجموعتي المجرمين والمجرمات.

١٣- تشويه الصورة الوالدية؛ حيث تكون مشوهة منحرفة. هذا بالنسبة للوالد، أما الأم فصورتها الدينامية أنها: خاضعة، مطيعة، خانعة، منحلة، وإن كانت تبدو أحيانًا مسيطرة ومقيدة، وهي في الإجمال صورة مضطربة ومشوشة.

١٤- ضعف كفاءة الأنا، وعجزه عن مواجهة الصراعات وحل المشكلات التي تواجهه نتيجة للعديد من عوامل الإحباط والإغراء لدى المجموعتين من المجرمين من الذكور والإناث.

١٥- العجل عن تأجيل الإشباع، والميل إلى الإشباع الفوري، وعدم تحمل التأجيل.

١٦- السلوك الاعتمادي الاتكالي على الآخـرين لـدى المجموعتين من المجرمين والمجرمات.

١٧- تذبذب صورة الأنـا الأعلـى لـدى المجـرمين والمجرمات، ويبدو أن الأنا كثير الثغـرات؛ إذ قـد يبدو متساهلاً أحيانًا أمام انسياق الأنا وراء رغبـات اللهو وأحيانًا أخرى يبدو فجا ومدمرا.

(لمزيد من التفاصـيل راجـع: نجيـة إسـحاق ١٩٨٤، ودكتوراة نجية إسحق ١٩٩٠، وماجستير كاتب هذه السطور ١٩٩٠، وكتاب علم النفس الجنائي ٢٠٠٠).

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١- أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ١٩٨٥، دار المعارف، القاهرة، من ص ٣٧٣ إلى ٤٥٦.

٢- أحمد عكاشة: الطب النفسي المعاصر، ط ٤، ١٩٨٠، الأنجلو، القاهرة، من ص ٣٩١ إلى ٤٠٥.

٣- أحمد فائق: مدخل إلى علم النفس، ١٩٨٤، ط ٤، مطبعة كومت للطبع والنشر، القاهرة، من ص ٢٥٨ إلى ٢٩٠.

٤- إلهامي عبد العزيز: مدخل للقياس النفسي، ب ت، دار الحكيم للطباعة والنشر، القاهرة من ص ١٢: ٣٠.

٥- آمال أحمد صادق: الفروق بين الجنسين في القدرات الموسيقية، مجلة دراسات وبحوث، جامعة حلوان، م ١، ع ٢، ديسمبر ١٩٧٨، القاهرة.

٦- آمال أحمد صادق: مقاييس جديدة للقدرة الموسيقية، في كتاب: بحوث في تقنين الاختبارات النفسية (تحرير فؤاد أبو حطب)، المجلد ٢، الأنجلو، ١٩٧٩، القاهرة.

٧- أنستازي فولي: سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات، ترجمة السيد محمد خيري وآخرين، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

٨- بنيسلوبي جري: العبقرية: تاريخ الفكـرة، ترجمـة محمـد عبد الواحد، مراجعة عبد الغفار مكـاوي، عـالم المعرفـة، العدد ٢٠٨، أبريل ١٩٩٦، الكويت.

٩- جابر عبد الحميد، يوسف الشيخ: سيكولوجية الفروق الفردية، دار النهضة العربية، ١٩٦٤، القاهرة.

١٠- ستيفن روز وآخرين: عالم الأحيـاء والأيـديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، مراجعـة محمـد عصـفور، سلسـلة عـالم المعرفـة، العـدد ١٤٨، أبريل ١٩٩٠، الكويت.

١١- سيد عبد العال: أسس القياس السـيكولوجي، ١٩٨٦، مكتبـة سعيد رأفت، القاهرة.

١٢- سيد عبد العال، قدري حنفي: موضوعات في القياس النفسي، مكتبة فينوس، جامعة عين شمس، ١٩٨٠، القاهرة.

١٣- سعد عبد الرحمن: القياس النفسي، مكتبة الفلاح، بيـروت، ١٩٧٧.

١٤- سعد جلال: القياس النفسي: المقـاييس والاختبـارات، دار الفكر العربي، ١٩٨٥، القاهرة.

١٥- سعد جلال: في الصحة العقلية، دار الفكر العربـي، ط ٢، ١٩٨٦، القاهرة.

١٦- عبد الرحمن محمد العيسوي: تنمية الذكاء الإنساني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، العدد ٤، ب. ت، القاهرة.

١٧- عبد الحليم محمود السيد: الإبـداع والشخصـية: دراسـة سيكولوجية، دار المعارف، ١٩٧١، القاهرة.

١٨- فؤاد أبو حطب: القدرات العقلية، ط ٤، ١٩٩٠، الأنجلـو، القاهرة.

١٩- فؤاد البهي السيد: الـذكاء، دار الفكـر العربـي، ١٩٧٦، القاهرة.

٢٠- فاروق محمـد صـادق: سـيكولوجية التخلـف العقلـي، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٦.

٢١- فتحي مصطفى الشرقاوي: الفـروق الفرديـة، دار آتـون للنشر، ١٩٩٠، القاهرة.

٢٢- محمد عبد السلام أحمد: القياس النفسي والتربوي، النهضة المصرية، ١٩٦٠، القاهرة.

٢٣- محمود السيد أبو النيل: علم النفس الفارق، دراسات عربية وعالمية، ١٩٤٨، غير مبين الناشر، القاهرة.

٢٤- محمد رمضان: الفروق الفردية، ١٩٨٢، غير مبين الناشر، القاهرة.

٢٥- محمد حسن غانم: ديناميات الاحتياجات: الضغوط ومركز التحكم لدى مدمني المخدرات، دراسـة حضـارية مقارنـة، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٩٦.

٢٦- متري أمين: ضعاف العقـول، سلسـلة اقـرأ، ١٨٠، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٧.

٢٧- لويس ملكية: علم النفس الإكلينيكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، القاهرة.

٢٨- ويليام بيتشر: الهندسة الوراثية للجميـع، ترجمـة أحمـد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، مكتبـة الأسـرة، ١٩٩٦، القاهرة.

ثانيا- المراجع الأجنبية

٢٩- Anastasi, A.; Psychalogical testing, ٥th ed. N. g. Macmillan co. inc. ١٩٨٢.

٣٠- Buros, O. K (ED): Sevent mental measurements Gearbooks: Highland Park, N. J. Eryphon Pren, ١٩٧٢.

٣١- Jensen, A. R: Straight talk about mental tests, M. Y. free pren, ١٩٨١.

٣٢- Guilford, J. P.: the matire of human intelbiglan. N. Y. Mcgrow Hill, ١٩٦٧.